

نهج البلاغة

الجزء: ١

خطب الإمام علي (ع)

الكتاب: نهج البلاغة
المؤلف: خطب الإمام علي (ع)
الجزء: ١
الوفاة: ٤٠
المجموعة: مصادر الحديث الشيعية - قسم الفقه
تحقيق: شرح : الشيخ محمد عبده
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
المصدر:
ملاحظات:

الفهرست

الصفحة	العنوان
٢	من هو الإمام علي (ع)
٣	مقدمة مفسر الكتاب الشيخ محمد عبده
١٠	مقدمة جامع الكتاب السيد الشريف الرضي
١٣	باب المختار من خطب أمير المؤمنين وما يجري مجراها ومن خطبة له في ابتداء خلق السماوات والأرض وخلق آدم وفيها تمجيد الله وبيان قدرته
٢٠	صفة خلق آدم
٢٧	ومنها في ذكر الحج وحكمته
٢٧	ومن خطبة له بعد انصرافه من صفين يصف فيها حال الناس قبل بعثة النبي وتنتهي بمزايا لآل البيت
٣٠	الخطبة الشقشقية وفيها تألمه من جور مثيري الفتنة في خلافته وحكاية حاله مع من سبقه
٣٨	ومن خطبة له في هداية الناس وكمال يقينه
٤٠	ومن خطبة له في النهي عن الفتنة
٤١	ومن كلام له في أنه لا يخدع
٤٢	ومن خطبة له في ذم قوم باتباع الشيطان
٤٢	ومن كلام له في دعوى الزبير انه لم يبائع بقلبه
٤٢	ومن كلام له في أنهم أرعدوا وهو لا يرعد حتى يوقع
٤٣	ومن خطبة له في وعيده لقوم
٤٣	ومن كلام له في وصيته لابنه محمد بن الحنفية بالثبات والحدق في الحرب
٤٤	ومن كلام له في أن له محبين في أصلاب الرجال، وكلام في ذم أهل البصرة
٤٦	ومن كلام له في ذم أهل البصرة وفيما رده على المسلمين من قطائع عثمان
٤٦	ومن كلام له لما بويج بالمدينة وفيه يكون من امر الناس وكلامه في الوصية بلزوم الوسط
٥١	ومن كلام يصف به من يتصدى للحكم بين الناس وليس لذلك بأهل
٥٤	ومن كلام له يذم به اختلاف العلماء في الفتيا
٥٦	ومن كلام له في تجبيه الأشعث بن قيس
٥٧	ومن كلام له في تعظيم ما بعد الموت والحث على العبرة
٥٩	ومن خطبة له فيمن اتهموه بقتل عثمان رضي الله عنه
٦٠	ومن خطبة له النهي عن التحاسد والوصية بالقراة والعشيرة
٦٣	ومن خطبة له في الحث على قتال الخارجين
٦٣	ومن خطبة له في الضجر من تناقل أصحابه وبيان ان الباطل قد يعلو بالاتحاد والحق يضيع بالاختلاف
٦٦	ومن خطبة له في حالهم قبل البعثة وشكواه من انفراده بعدها وذمه لمن بايع بشرط
٦٧	ومن خطبة له في الحث على الجهاد وذم القاعدين
٧٠	ومن خطبة له في ادبار الدنيا واقبال الآخرة والحث على التزود لها
٧٣	ومن خطبة له في ذم المتخاذلين

- ٧٥ ومن كلام له في معنى قتل عثمان رضي الله عنه
- ٧٦ ومن كلام له في وصف طلحة والزبير واستعطافهما
- ٧٧ ومن خطبة له في الدهر وأهله في حال الناس قبل البعثة وبعدها وتعدد أعماله
- ٨٠ ومن خطبة له عند خروجه لقتال أهل البصرة
- ٨٢ ومن خطبة له في استنفار الناس إلى أهل الشام
- ٨٤ ومن خطبة له في لوم الناس بعد التحكيم
- ٨٦ ومن خطبة له في تخويف أهل النهروان
- ٨٨ ومن كلام له في ثباته في الأمر بالمعروف
- ٨٩ ومن خطبة له في معنى الشبهة
- ٩٠ ومن خطبة له في ذم المتقاعدين عن القتال
- ٩١ ومن كلام له في الخوارج يبين أن لا بد للناس من أمير
- ٩٢ ومن خطبة له في الوفاء
- ٩٢ ومن كلام له في اتباع الهوى وفي ادبار الدنيا وكلام في الأناة بالحرب مع لزوم الاستعداد
- ٩٣ ومن كلام له بعد إرساله جريرا إلى معاوية
- ٩٤ ومن كلام له في هروب مصقلة بن هبيرة إلى معاوية
- ٩٥ ومن خطبة له في تعظيم الله وتصغير الدنيا
- ٩٦ ومن كلام له في تضرعه إلى الله عند الذهاب إلى الحرب
- ٩٧ ومن كلام له في ذكر الكوفة
- ٩٧ ومن خطبة له عند المسير لحرب الشام
- ٩٨ ومن كلام له في تمجيد الله
- ٩٩ ومن كلام له يذكر كيف تكون الله
- ١٠٠ ومن خطبة له في التحريض
- ١٠١ ومن خطبة له في الدنيا
- ١٠٢ ومن كلام له في ذكر الأضحية يوم النحر
- ١٠٣ ومن خطبة له في تراحم الناس لبيعته ثم اختلاف بعضهم عليه
- ١٠٤ ومن كلام له في تهاونه بالموت لكنه يحب السلم
- ١٠٤ ومن كلام له في وصف حربهم على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٠٥ ومن كلام له يخبر به عمن يأمر بسبه
- ١٠٦ ومن كلام له مع الخوارج
- ١٠٧ ومن كلام له لما عزم على حرب الخوارج
- ١٠٨ ومن كلام له عندما خوف من الغيلة
- ١٠٨ ومن خطبة له في الدنيا
- ١٠٩ ومن خطبة له لزوم الاستعداد لما بعد موت
- ١١٢ ومن خطبة له في تنزيه الله
- ١١٤ ومن كلام له في التحريض كان يقوله في بعض أيام صفين
- ١١٦ ومن كلام له في الاحتجاج على الأنصار
- ١١٦ ومن كلام له عندما قتل محمد بن أبي بكر

- ١١٧ ومن كلام له في ذم أصحابه
- ١١٨ وقال في سحرة اليوم الذي ضرب فيه
- ١١٨ ومن خطبة له في ذم أهل العراق
- ١٢٠ ومن خطبة له علم الناس فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
- ١٢٣ ومن كلام له قاله لمروان عندما اسره يوم الجمل وأطلقه ويصف غدره
- ١٢٤ ومن كلام له لما عزموا على بيعه عثمان
- ١٢٥ ومن كلام له فيمن اتهموا بالمشاركة في دم عثمان
- ١٢٥ ومن خطبة له في الوعظ
- ١٢٦ ومن كلام له في حال بني أمية
- ١٢٧ ومن كلمات كان يدعو بها
- ١٢٨ ومن كلام له في بطلان التنجيم
- ١٢٩ ومن خطبة له في ذم النساء
- ١٣٠ ومن كلام له في الزهادة
- ١٣٠ ومن كلام له في صفة الدنيا
- ١٣٢ ومن خطبة له عجيبة فيما قبل الموت وبعده وتسمى الغراء
- ١٤٣ ومنها في صفة خلق الانسان
- ١٤٧ ومن كلام له في عمرو بن العاص
- ١٤٨ ومن خطبة له في الوعظ
- ١٤٩ ومن خطبة له في صفة الجنة والحث على العمل وذكر نعمة الدين وذم الرياء والكذب
- ١٥١ ومن خطبة له فيها صفات من يحبه الله وحال أمير المؤمنين مع الناس
- ١٥٥ ومن خطبة له فيها وصف الأمة عند خطئها
- ١٥٦ ومن خطبة له في حال الناس من قبل البعثة وان الناس اليوم لا يختلفون عن سلفهم
- ١٥٨ ومن خطبة له في تعديد شيء من صفات الله تعالى
- ١٦٠ ومن خطبة له تعريف بخطبة الأشباح وهي من جلائل الخطب وفيها من وصف السماء والأرض والسحاب وغير ذلك
- ١٨١ ومن خطبة له لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان
- ١٨٢ ومن خطبة له يذكر فيها ما كان من تغلبه على فتنة الخوارج وما يصيب الناس من بني أمية
- ١٨٤ ومن خطبة له يصف فيها الأنبياء
- ١٨٦ ومن خطبة له في حال الناس عند البعثة وما كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم
- ١٨٧ ومن كلام له في توبيخ أصحابه على التباطؤ على نصرته الحق
- ١٩٠ ومن كلام له في وصف بني أمية وحال الناس في دولتهم
- ١٩١ ومن خطبة له في وصف الدنيا
- ١٩٣ ومن خطبة له أخرى في صفة دليل السنة يعني بذلك نفسه وبيان ما يكون من أمره مع أصحابه
- ١٩٤ ومن خطبة أخرى يوصي بعدم عصيانهم ويصف مثير الفتنة عليه
- ١٩٦ ومن كلام له فيه وصف فتنة مقبلة
- ١٩٧ ومن خطبة له في التهديد ووصف الناس في بعض الأزمان

- ١٩٩ ومن خطبة له في حال الناس قبل البعثة وما صاروا اليه بعدها
- ٢٠٠ ومن خطبة له في الموضوع نفسه مع زيادة كلام في شأن آل البيت وبنى أمية وفي النهي عن طلب ما لا يطلب
- ٢٠٣ ومن خطبة له في شرف الاسلام ووصف النبي صلى الله عليه وسلم وما وصل للمسلمين بالاسلام وما وصلوا اليه بتساهلهم في امره
- ٢٠٥ ومن كلام له عندما تأخر قومه في الحرب ثم تراجعوا على العدو
- ٢٠٦ ومن خطبة له وهي من خطب الملاحم يذكر فيها طيب الحكمة وحال الناس معه وأمر الفتن وما تفعل ووصف الناس في بعض الأزمان
- ٢٠٩ ومن خطبة له في تمجيد الله ووصف ملائكة وانصراف الناس عما وعدهم الله ووصف الانسان عند الموت والمعاد وشأنه
- ٢١٥ ومن خطبة له في فرائض الاسلام
- ٢١٦ ومن خطبة له في وصف الدنيا
- ٢٢١ ومن خطبة له يذكر فيها ملوك الموت
- ٢٢١ ومن خطبة له في التحذير من الدنيا
- ٢٢٣ ومن خطبة له فيها الحض على التقوى وذكر شيء من أوصاف الدنيا والفرق بينها وبين الآخرة ووصف حال الناس في العمل لهما
- ٢٢٦ ومن خطبة له في الاستسقاء
- ٢٢٩ ومن خطبة له في تعظيم ما حجب عن الناس وكشف له والاخبار بما سيكون من أمر الحجاج الثقفي
- ٢٣١ ومن كلام له في التوبيخ على البخل بالمال والنفس وكلام في دعوة أصحابه لنصرته
- ٢٣١ ومن كلام له في تقيعهم على التقاعد وفي أن الرئيس لا يلزمه تناول صغار الاعمال
- ٢٣٣ ومن كلام له في وصف نفسه والحث على طلب الحمد
- ٢٣٣ ومن كلام له في توبيخ أصحابه وذكر الأولين في شجاعتهم وتقاهم وتحريك الحمية
- ٢٣٥ ومن كلام له في احتجاجه على الخوارج

نهج البلاغة
وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
شرح الأستاذ الإمام
الشيخ محمد عبدة
مفتي الديار المصرية سابقا
الجزء الأول
الناشر:
دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت لبنان

(١)

من هو الإمام علي؟
اجتمع للإمام علي بن أبي طالب من صفات الكمال، ومحمود الشمائل،
والخلال، وسناء الحسب وباذخ الشرف، مع الفطرة النقية، والنفس المرضية،
ما لم يتهياً لغيره من أفذاذ الرجال.
تحدث من أكرم المناسب، وانتمى إلى أطيب الأعراق، فأبوه أبو
طالب عظيم المشيخة من قريش. وجدّه عبد المطلب أمير مكة وسيد البطحاء
ثم هو قبل من هامت بني هاشم وأعيانهم، وبنو هاشم كانوا كما وصفهم
الجاحظ: " ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحلى العالم، والسنام الأضخم،
والكاهل الأعظم، ولباب كل جوهر كريم، وشر كل عنصر شريف،
والطينة البيضاء، والمغرس المبارك والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم،
وينبوع العلم. "
واختص بقرابته القرية من الرسول عليه السلام، فكان ابن عمه،
وزوج ابنته وأحب عترته إليه، كما كان كاتب وحيه، وأقرب الناس إلى
فصاحته، وبلاغته، وأحفظهم لقوله وجوامع كلمه، أسلم على يديه صبيا قبل
أن يمس قلبه عقيدة سابقة أو يخالط عقله شوب من شرك موروث،
ولازمه فتيا يافعا، في غدوه ورواحه وسلمه وحر به، حتى تخلق بأخلاقه،
واتسم بصفاته وفقه عنه الدين، وثقف ما نزل به الروح الأمين، فكان من
أفقه أصحابه وأقضاهم، وأحفظهم وأوعاهم، وأدقهم في الفتيا، وأقربهم
إلى الصواب، وحتى قال فيه عمر: لا بقيت لمعضلة ليس فيها أبو الحسن،
وكانت حياته كلها مفعمة بالأحداث، مليئة بجلال الأمور، فعلى عهد الرسول
عليه السلام، ناضل المشركين واليهود، فكان فارس الحلبة ومسعر الميدان
صليب النبع جميع الفؤاد. ذلك هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

مقدمة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبدة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد لله سراج (١) النعم. والصلاة على النبي وفاء الذمم. واستمطار الرحمة على آله الأولياء، وأصحابه الأصفياء، عرفان الجميل وتذكّار الدليل (٢): وبعد فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادفة بلا تعمل. أصبته على تغير حال وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال. فحسبته تسلية، وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملا من عباراته. من مواضع مختلفات، وموضوعات متفرقات. فكان يخيل إلي في كل مقام أن حروبا شنت وغارات شنت وأن للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة. وأن للأوهام عرامة (٣) وللريب دعارة. وأن جحافل الخطابة، وكتائب الذرابة، في عقود النظام وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج (٤) والقويم الأملج. وتمتلج المهج برواضع الحجج. فتفل من دعارة الوسوس (٥) وتصيب مقاتل الخوانس. والباطل منكسر ومرج الشك في خمود (٦) وهرج الريب في ركود. وأن مدبر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

-
- (١) السراج: ما أحيط به على شيء (٢) معرفة طريق الحق والهداية إليه.
(٣) العرمة الشراسة. والدعارة سوء الخلق. والجحافل الجيوش. والكتائب الفرق منها والذرابة حدة اللسان في فصاحة. والكلام تخيل حرب بين البلاغة وهائجات الشكوك والأوهام.
(٤) تنافح تضارب أشد المضاربة. والصفيح السيف والأبلج اللامع البياض. والقويم الرمح والأملج الأسمر. وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القويمة المبددة للوهم وإن خفي مدركها وتمتلج أي تمتص. والمهج دماء القلوب لا تبقي للأوهام شيئا من مادة البقاء.
(٥) فل الشيء ثلمه والقوم هزمهم. والخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء.
(٦) المرج الاضطراب. والهرج هيجان الفتنة

بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد. وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية. في حلال من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية. وتدنو من القلوب الصافية: توحى إليها رشادها. وتقوم منها مرادها. وتنفر بها عن مداحض المزال. إلى جواد الفضل والكمال. وطورا كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة (١)، وأنياب كاشره. وأرواح في أشباح النمر، ومخالب النسر. قد تحفزت للوثاب، ثم انقضت للاختلاب فخلبت القلوب عن هواها، وأخذت الخواطر دون رماها. واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء.

وأحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا، لا يشبه خلقا جسدانيا، فصل عن الموكب الإلهي، واتصل بالروح الإنساني. فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى. ونما به إلى مشهد النور الأجلبي. وسكن به إلى عمار جانب التقديس. بعد استخلاصه من شوائب التلبس (٢). وآفات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمة، يعرفهم مواقع الصواب ويصبرهم مواضع الارتياب ويحذرهم مزلق الاضطراب. ويرشدهم إلى دقاق السياسة. ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. جمع متفرقة وسماه بهذا الاسم (نهج البلاغة) ولا أعلم اسما أليق بالدلالة على معناه منه. وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه، ولا أن آتي بشئ في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار كما سترى في مقدمة الكتاب. ولولا أن غرائز الجبلة، وقواضي الذمة، تفرض علينا عرفان الجميل لصاحبه، وشكر المحسن على إحسانه، لما احتجنا إلى التنبيه على ما أودع نهج البلاغة، من فنون الفصاحة. وما خص به من وجوه البلاغة، خصوصا وهو لم يترك غرضا من أغراض الكلام إلا إسابة ولم يدع للفكر ممرا إلا جابه (٣).

(١) باسرة: عابسة.

(٢) التلبس: التخليط التدليس

(٣) جابه يجوبه: خرقة ومضى به

إلا أن عبارات الكتاب لبعد عهدها منا، وانقطاع أهل جيلنا عن أصل لساننا قد نجد فيها غرائب ألفاظ في غير وحشية، وجزالة تركيب في غير تعقيد، فربما وقف فهم المطالع دون الوصول إلى مفهومات بعض المفردات أو مضمونات بعض الجمل. وليس ذلك ضعفا في اللفظ أو وهنا في المعنى وإنما هو قصور في ذهن المتناول. ومن ثم همت بي الرغبة أن أصحب المطالعة بالمراجعة والمشاركة بالمكاشفة، وأعلق على بعض مفرداته شرحا وبعض جملة تفسيراً وشئ من أشاته تعييناً، واقفا عند حد الحاجة مما قصدت. موجزا في البيان ما استطعت. معتمدا في ذلك على المشهور من كتب اللغة والمعروف من صحيح الأخبار. ولم أتعرض لتعديل ما روي عن الإمام في مسألة الإمامة أو تجريحه، بل تركت للمطالع الحكم فيه بعد الالتفات إلى أصول المذاهب المعلومة فيها، والأخبار المأثورة الشاهدة عليها، غير أنني لم أتحاسن تفسير العبارة، وتوضيح الإشارة لا أريد في وجهي هذا إلا حفظ ما أذكر، وذكر ما أحفظ. تصونا من النسيان وتحريزا من الحيدان (١). ولم أطلب من وجه الكتاب إلا ما تعلق منه بسبك المعاني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام. وحسبي هذه الغاية فيما أريد لنفسى ولمن يطالع عليه من أهل اللسان العربي. وقد عني جماعة من أجلة العلماء بشرح الكتاب وأطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الأسرار، وكل يقصد تأييد مذهب وتعضيد مشرب. غير أنه لم يتيسر لي ولا واحد من شروحهم إلا شذرات وجدتها منقولة عنهم في بطون الكتب، فإن وافقت أحدهم فيما رأى فذلك حكم الاتفاق، وإن كنت خالفتهم فإلى صواب فيما أظن على أنني لا أعد تعلقي هذا شرحا في عداد الشروح، ولا أذكره كتابا بين الكتب، وإنما هو طراز لنهج البلاغة وعلم توشى به أطرافه (٢). وأرجو أن يكون فيما وضعت من وجيز البيان فائدة للشبان من أهل هذا الزمان فقد رأيتهم قياما على طريق الطلب، يتدافعون لنيل الأرب من لسان العرب. يبتغون لأنفسهم سلائق عربية وملكات لغوية، وكل يطلب لسانا خاطبا، وقلمًا كاتبًا، لكنهم يتوخون وسائل ما يطلبون في مطالعة المقامات وكتب المراسلات مما

(١) الحيدان، كفيضان: الميل والجور. (٢) العلم ما ينصب في الطريق ليهتدي به.

كتبه المولدون. أو قلدهم فيه المتأخرون. ولم يراعوا في تحريره إلا رقة الكلمات، وتوافق الجناسات. وانسجام السجعات. وما يشبه ذلك من المحسنات اللفظية والتي وسموها بالفنون البديعة. وإن كانت العبارات خلوا من المعاني الجليلة، أو فائدة الأساليب الرفيعة.

على أن هذا النوع من الكلام بعض ما في اللسان العربي وليس كل ما فيه، بل هذا النوع إذا نفرد يعد من أدنى طبقات القول، وليس في حلاه المنوطة بأواخر ألفاظه ما يرفعه إلى درجة الوسط. فلو أنهم عدلوا إلى مدارس ما جاء عن أهل اللسان، خصوصاً أهل الطبقة العليا منهم لأحرزوا من بغيتهم ما امتدت إليه أعناقهم، واستعدت لقبوله أعراقهم. وليس في أهل هذه اللغة إلا قائل بأن كلام الإمام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وآله

– وأغزره مادة وأرفعه أسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني. فأجدر بالطالبين لنفائس اللغة، والطامعين في التدرج لمراقبها أن يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم، وأفضل مأثورهم، مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت لأجلها وتأمل ألفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها. ليصيبوا بذلك أفضل غاية وينتهوا إلى خير نهاية، وأسأل الله نجاح عملي وأعمالهم. وتحقيق أملي وآمالهم. ولنقدم للمطالع موجزاً من القول في نسب الشريف الرضي جامع الكتاب، وطرفاً من خبره. فهو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى

ابن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وأمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ولد الشريف الرضي في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. واشتغل بالعلم ففاق في الفقه والفرائض وبذ أهل زمانه في العلم والأدب. قال صاحب اليتيمة هو اليوم أبدع أبناء الزمان وأنجب سادات العراق، يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر، وفضل باهر، وحظ من جميع

المحامد وافر، تولى نقابة نقباء الطالبين بعد أبيه في حياته سنة ثمانية وثمانين وثلاثمائة، ضمت إليه مع النقابة سائر الأعمال التي كان يليها أبوه، وهي النظر في المظالم، والحج بالناس. وكان من سمو المقام بحيث يكتب إلى الخليفة القادر بالله العباسي أحمد بن المقتدر من قصيدة طويلة: نفتخر بها ويساوي نفسه بالخليفة:
عطفا أمير المؤمنين فإننا * في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا، كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني * أنا عاطل منها وأنت مطوق
ويروى أن القادر قال له عند سماع هذا البيت: على رغم أنفك الشريف
ومن غرر شعره فيما يقرب من هذا قوله:
رمت المعالي فامتنعن ولم يزل * أبدا ينازع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل * ضجرا: دواء الفارك (١) التخليق
وابتداً يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل. قال صاحب اليتيمة، وهو
أشعر الطالبين: من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت أنه
أشعر قريش لم أبعد عن الصدق. وقال بعض واصفيه رحمه الله: كان شاعرا مفلقا
فصيح النظم ضخم الألفاظ قادرا على القريض متصرفا في فنونه، إن قصد الرقة في
النسيب أتى بالعجب العجائب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى
بما لا يشق له فيه غبار، وإن قصد المراثي جاء سابقا والشعراء منقطعة الأنفاس. وكان
مع هذا مترسلا كاتباً بليغاً متين العبارات سامي المعاني. وقد اعتنى بجمع شعره في
ديوان جماعة، وأجود ما جمع منه مجموع أبي حكيم الحيري، وهو ديوان كبير يدخل
في أربع مجلدات كما ذكره صاحب اليتيمة. وصنف كتابا في معاني القرآن العظيم قالوا
يتعذر وجود مثله، وهو يدل على سعة اطلاعه في النحو واللغة وأصول الدين. وله
كتاب في مجازات القرآن. وكان علي الهمة تسمو به عزيمته إلى أمور عظام لم يجد من
الأيام عليها معينا فوقفت به دونها حتى قضى. وكان عفيفا متشددا في العفة بالغاً فيها
إلى النهاية لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة حتى أنه رد صلات أبيه! وقد اجتهد
بنو بويه على قبوله صلاتهم فلم يقبل. وكان يرضى بالإكرام وصيانة الجانب وإعزاز

(١) الفارك: المرأة الكارهة لزوجها.

الأتباع والأصحاب. حكى أبو حامد محمد بن محمد الأسفرائيني الفقيه الشافعي. قال: كنت يوما عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضي (صاحب كلامنا الآن) أبو الحسن فأعظمه وأجل مكانه ورفع من منزلته وخلي ما كان بيده من القصص والرقاع وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف. ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو قاسم (أخو الشريف الرضي) فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا أكرمه ذلك الاكرام وتشاغل عنه برقاع يقرأها فجلس قليلا ثم سأله أمرا فقضاه ثم انصرف. قال أبو حامد فقلت: أصلح الله الوزير هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون وهو الأمل والأفضل منهما وإنما أبو الحسن شاعر. قال فقال لي إذا انصرف الناس وخلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة. قال وكنت مجمعا على الانصراف فعرض من الأمر ما لم يكن في الحساب فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس حتى تقوض الناس. وبعد أن انصرف عنه أكثر غلمانه ولم يبق عنده غيري قال لخدام له هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام وأمرتك بوضعهما في السفط الفلاني، فأحضرهما فقال هذا كتاب الرضي اتصل بي إنه قد ولد له ولد فأنفذت إليه ألف دينار وقلت هذا للقبالة فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء وذوو مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال، فردها وكتب إلي هذا الكتاب فاقراءه، فقرأته فإذا هو اعتذار عن الرد وفي جملته: إننا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نساءنا ولسن ممن يأخذن أجره ولا يقبلن صلة. قال فهذا هذا. وأما المرتضى فإننا كنا وزعنا وقسطنا على الأملاك ببعض النواحي تقسيطا نصرفه في حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى، فأصاب ملكا للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهما ثمنها دينار واحد، وقد كتب منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب فاقراءه وهو أكثر من مائة سطر يتضمن من الخشوع والخضوع والاستمالة والهزء والطلب والسؤال في أسقاط هذه الدراهم المذكورة ما يطول شرحه قال فخر الملك فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل: هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحى ونفسه هذه النفس، أم ذلك الذي لم يشهر إلا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس؟. فقلت وفق الله سيدنا الوزير والله ما وضع الأمر إلا في موضعه ولا أحله إلا في محله.

وتوفي الرضي في المحرم سنة أربع وأربعمئة ودفن في داره بمسجد الأنباريين بالكرخ ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه، وصلى عليه الوزير فخر الملك أبو غالب، ومضى بنفسه آخر النهار إلى المشهد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود إلى داره. ومما رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهورة التي من جملتها:

يا للرجال لفجعة جذمت يدي * ووددت لو ذهبت علي برأسي
ما زلت أحذر وردها حتى أت * فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمنا فلما صممت * لم يثنها مطلي وطول مكاسي
لا تنكروا من فيض دمعي عبرة * فالدمع غير مساعد ومواسي
لله عمرك من قصير طاهر * ولرب عمر طال بالأدناس

وحكى ابن خلكان عن بعض الفضلاء أنه رأى في مجموع أن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي (صاحب الترجمة) بسر من رأى وهو لا يعرفها، وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديابقتها، وبقياء رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة، فوقف عليها متعجبا من صروف الزمان وطوارق الحداث، وتمثل بقول الشريف الرضي:

ولقد بكيت على ربوعهم * وطلولها بيد البلي نهب
فبكيت حتى شج من لغب * نضوي، ولج بعذلي الركب
وتلفت عيني فمذ خفيت * عني الطلول تلفت القلب
فمر به شخص وهو ينشد الأبيات فقال له: هل تعرف هذه الدار لمن هي؟ فقال لا. فقال هذه الدار لصاحب الأبيات الشريف الرضي، فعجب كلاهما من حسن الاتفاق. وفي رواية العلماء من مناقب الشريف الرضي ما لو تقصيناه ل طال الكلام، وإنما غرضنا أن يلم القارئ بسيرته بعض الالمام. والله أعلم.

مقدمة السيد الشريف الرضي

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمنا لنعمائه. ومعازدا من بلائه. وسبيلا إلى جنانه (١) وسببا لزيادة إحسانه. والصلاة على رسوله نبي الرحمة، وإمام الأئمة، وسراج الأمة. المنتخب من طينة الكرم (٢) وسلالة المجد الأقدم. ومغرس الفخار المعرق (٣) وفرع العلاء المثمر المورق وعلى أهل بيته مصابيح الظلم، وعصم الأمم (٤) ومنار الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة. صلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاء لفضلهم (٥) ومكافأة لعملهم. وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم. ما أنار فجر ساطع وخوى نجم طالع (٦) فإني كنت في عنفوان السن (٧)، وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم: حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته أمام الكلام. وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين عليا عليه السلام. وعاقبت عن إتمام بقية الكتاب

(١) في بعض النسخ ووسيلا وهو جمع وسيلة وهي ما يتقرب به. ورواية سبيلا أحسن

(٢) طينة الكرم أصله وسلالة المجد فرعه

(٣) الفخار قال بعضهم بالكسر ويغلط من يقرأ بالفتح لأنه مصدر فاخر، والمصدر من فاعل الفاعل بكسر أوله، غير أنه لا يبعد أن يكون مصدر فخر. والثلاثي إذا كانت عينه أو لامه حرف حلق جاء المصدر منه على فعال بالفتح نحو سمح سماحا

(٤) العصم جمع عصمة وهو ما يعتصم به: والمنار الأعلام واحدها منارة. والمثاقيل جمع مثقال وهو مقدار وزن الشيء، تقول مثقال حبة ومثقال دينار، فمثاقيل الفضل زناته أي أن الفضل يعرف بهم مقداره

(٥) إزاء لفضلهم أي مقابلة له

(٦) خوى النجم سقط وخوت النجوم انحلت فلم تمطر كأخوت وخوت بالتشديد

(٧) عنفوان السن أولها.

محاجزات الزمان (١) ومماطلات الأيام. وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبواباً. وفصلته فصولاً فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة. فاستحسن جماعة من الأصدقاء والإخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعهم ومتعجبين من نواصحه (٢) وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، ومتشعبات غصونه، من خطب وكتب ومواعظ وآداب علما أن ذلك يتضمن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام (٣) ولا مجموع الأطراف في كتاب. إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها (٤) ومنشأ البلاغة ومولدها. ومنه عليه السلام ظهر مكنونها. وعنه أخذت قوانينها. وعلى أمثلته هذا كل قائل خطيب (٥) وبكلامه استعان كل واعظ بليغ. ومع ذلك فقد سبق وقصروا. وتقدم وتأخروا. لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي (٦) وفيه عبقة من الكلام النبوي. فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر. واعتمدت به أن أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة إلى المحاسن الدائرة والفضائل الجملة (٧). وأنه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد (٨). وأما كلامه فهو من البحر الذي لا يساجل (٩)، والجم الذي لا يحافل (١٠) وأردت أن يسوغ لي

(١) محاجزات الزمان ممانعته ومماطلات الأيام مدافعاتها.

(٢) النواصع الخالصة، وناصع كل شيء خالصه

(٣) الثواقب المضئية ومنه الشهاب الثاقب، ومن الكلم ما يضئ لسامعها طريق الوصول إلى ما دلت عليه فيهدي بها إليه

(٤) المشرع تذكير المشرعة مورد الشاربة كالشرعية

(٥) هذا كل قائل اقتفى واتبع

(٦) عليه مسحة من جمال، أي علامة وأثر، وكأنه يريد بهاء منه وضياء. والعبقة الرائحة

(٧) اعتمدت قصدت، والدائرة بفتح فسكون الكثيرة

(٨) يؤثر أي ينقل عنهم ويحكي

(٩) لا يغالب في الامتلاء وكثرة الماء

(١٠) لا يغالب في الكثرة من قولهم ضرع حافل أي ممتلئ كثير اللبن

التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق
 - أولئك آبائي فجئني بمثلهم* إذا جمعتنا يا جرير المجامع
 ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة: أولها الخطب والأوامر. وثانيها
 الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ. فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء
 باختيار محاسن الخطب (١) ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب، مفردا
 لكل صنف من ذلك بابا ومفصلا فيه أوراقا لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ
 عني عاجلا ويقع إلي آجلا. وإذا جاء شئ من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء
 حوار (٢) أو جواب سؤال أو غرض آخر من الأغراض في غير الأنحاء التي ذكرت
 وقررت القاعدة عليها نسبته إلى أليق الأبواب به وأشدّها ملامحة لغرضه (٣). وربما جاء
 فيما أختاره من ذلك فصول غير متسقة، ومحاسن كلم غير منتظمة، لأنني أورد النكت
 واللمع ولا أقصد التتالي والنسق. ومن عجائبه عليه السلام التي إنفرد بها وأمن المشاركة
 فيها أن كلامه عليه السلام الوارد في الزهد والموعظ والتذكير والزواج إذا تأمله
 المتأمل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ أمره
 وأحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لا حفظ له في الزهادة
 ولا شغل له بغير العبادة، وقد قبع في كسر بيت (٤) أو انقطع في سفح جبل. لا يسمع
 إلا حسه ولا يرى إلا نفسه ولا يكاد يوقن بأنه كلام من يتغمس في الحرب مصلّتا
 سيفه (٥) فيقطع الرقاب ويجدل الأبطال (٦) ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا، وهو
 مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال (٧). وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه

(١) أجمع عليه عزم، والمحاسن جمع حسن على غير قياس

(٢) بالفتح وبالكسر المحاورة

(٣) الملامحة الإبصار والنظر، والمراد هنا المناسبة لأن من ينظر إلى شئ ويصبره كأنه يميل إليه
 ويلائمه

(٤) قبع القنفذ كمنع أدخل رأسه في جلده، والرجل أدخل رأسه في قميصه، أراد منه

انزوى وكسر البيت جانب الخباء، وسفح الجبل أسفله

(٥) أصلت سيفه جرده من غمده، ويقط الرقاب يقطعها عرضا، فإن كان القطع طولا قيل يقط، قال ابن عائشة:

كانت ضربات علي أبكارا إن اعتلى قد وإن اعترض قط، ومنه قط القلم

(٦) يجدل الأبطال يلقيهم على الجدالة كسحابة وهي وجه الأرض وينطف من نطف كنصر وضرب نطفًا وتناظفا

سال، والمهجع جمع مهجة وهي دم القلب والروح

(٧) الأبدال قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم، إذا مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر

اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد، وألف بين الأشتات (١). وكثيرا ما أذكر الإخوان بها واستخرج عجبهم منها. وهي موضوع للعبارة بها والفكرة فيها. وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا. فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعا غير وضعه الأول، إما بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة، فتقتضي الحال أن يعاد استظهارا للاختيار، وغيره على عقائل الكلام (٢). وربما بعد العهد أيضا بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا لا قصدا واعتمادا. ولا أدعي مع ذلك أنني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام (٣) حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يند ناد، بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلى، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي (٤) وما على إلا بذل الجهد وبلاغ الوسع، وعلى الله سبحانه نهج السبيل (٥) ورشاد الدليل إن شاء الله

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها. ويقرب عليه طلابها. فيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد، ويمضي في أثناءه من الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة (٦) وجلاء كل شبهة. ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة. وأتجنز التسديد والمعونة، وأستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان، ومن زلة الكلام قبل زلة القدم. وهو حسبي ونعم الوكيل.

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره
ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحصورة والمواقف
المذكورة والخطوب الواردة

(١) موضع العجب أن أهل الشجاعة والإقدام والمغامرة والجرأة يكونون في العادة قساة فتاكين متمردين جبارين. والغالب على أهل الزهد وأعداء الدنيا وهاجري ملاذها المشتغلين بالوعظ والنصيحة والتذكير أن يكونوا ذوي رقة ولين وضعف قلوب وخور طباع. وهاتان حالتان متضادتان فاجتماعهما في أمير المؤمنين كرم الله وجهه مما يوجب العجب، فكان كرم الله وجهه إشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم، وأزهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظا وتذكيرا وأشدّهم اجتهدا في العبادة، وكان أكرم الناس أخلاقا وأسفرهم وجها وأوفاهم هشاشة وبشاشة حتى عيب بالدعابة.

(٢) عقائل الكلام كرائمه، وعقيلة الحي كريمته

(٣) أقطار الكلام جوانبه. والناد النافر

(٤) الربة عروة حبل يجعل فيها رأس البهيمة

(٥) نهج السبيل إبانته وإيضاحه

(٦) الغلة العطش وبلالها ما تبل به وتروى.

١ - ومن خطبة له عليه السلام
" يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم "
الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون. ولا يحصي نعماءه
العادون. ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم (١)
ولا يناله غوص الفطن (٢). الذي ليس لصفته حد محدود (٣) ولا نعت
موجود. ولا وقت معدود ولا أجل ممدود. فطر الخلائق بقدرته.
ونشر الرياح برحمته. ووتد بالصخور ميدان أرضه (٤). أول الدين
معرفته (٥) وكمال معرفته التصديق به. وكمال التصديق به توحيده.

(١٤)

وكمال توحيده الاخلاص له. وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه. ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله (١). ومن جهله فقد أشار إليه. ومن أشار إليه فقد حده (٢). ومن حده فقد عده، ومن قال فيم

العالم وليس منه بدون تنزيه وهي معرفة ناقصة وكمالها التصديق به ذاته بصفته الخاصة التي لا يشركه فيها غيره وهي وجوب الوجود: ولا يكمل هذا التصديق حتى يكون معه لازمه وهو التوحيد لأن الواجب لا يتعدد كما عرف في فن الإلهيات والكلام. ولا يكمل التوحيد إلا بتمحيض السر له دون ملامحة لشيء من شؤون الحوادث في التوجه إليه واستشراق نوره، ولا يكون هذا الاخلاص كاملاً حتى يكون معه نفي الصفات الظاهرة في التعينات المشهودة في الشخصات، لأن معرفة الذات الأقدس في نحو تلك الصفات اعتبار للذات ولشيء آخر مغاير لها معها فيكون قد عرف مسمى الله مؤلفاً لا متوحداً، فالصفات المنفية بالإخلاص صفات المصنوعين وإلا فلإمام كلام قد ملئ بصفاته سبحانه، بل هو في هذا الكلام يصفه أكمل الوصف الجهل يستلزم القول بالتشخيص الجسماني وهو يستلزم صحة الإشارة إليه تعالى الله عن ذلك (٢) إنما تشير إلى شيء إذا كان منك في جهة فأنت تتوجه إليها بإشارتك، وما كان في جهة فهو منقطع عن غيرها فيكون محدود أي له طرف ينتهي إليه، فمن أشار إليه فقد حده، ومن حد فقد عد، أي أحصى وأحاط بذلك المحدود لأن الحد حاصر لمحدوده. وإذا قلت لشيء فيم هو فقد جعلته في ضمن شيء ثم تسأل عن تعيين ذلك الذي تضمنه، وإذا قلت على أي شيء فأنت ترى أنه مستعمل على شيء بعينه وما عداه خال منه

فقد ضمنه. ومن قال علام فقد أخلى منه. كائن لا عن حدث (١)
موجود لا عن عدم. مع كل شيء لا بمقارنة. وغير كل شيء لا
بمزايلة (٢). فاعل لا بمعنى الحركات والآلة. بصير إذ لا منظور إليه
من خلقه (٣). متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش
لفقده (٤). أنشأ الخلق إنشاء. وابتدأه ابتداء. بلا روية أجالها (٥). ولا تجربة
استفادها. ولا حركة أحدثها. ولا همامة نفس اضطرب فيها (٦). أحال
الأشياء لأوقاتها (٧). ولأم بين مختلفاتها (٨). وغرز غرائزها (٩) وألزمها
أشباحها (١٠) عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها. عارفا بقرائنها

(١) الحدث الإبداء أي هو موجود لكن لا عن إبداء وإيجاد موجد، والفقرة
الثانية لازمة لهذه لأنه إن لم يكن وجوده عن إيجاد موجد فهو غير مسبوق الوجود
بالعدم (٢) المزايلة المفارقة والمباينة (٣) أي بصير بخلق قبل وجودهم (٤) العادة
والعرف على أنه لا يقال متوحد إلا لمن كان له من يستأنس بقربه ويستوحش لبعده
فانفرد عنه. والله متوحد مع التنزه عن السكن (٥) الروية الفكر، وأجالها أدارها
ورددتها. وفي نسخة أجالها بالمهملة أي صرفها (٦) همامة النفس بفتح الهاء اهتمامها
بالأمر وقصدها إليه (٧) حولها من عدم إلى الوجود في أوقاتها، أو هو من حال في
متن فرسه أي وثب وأحاله غيره أوثبه، ومن أقر الأشياء في أحيانها صار كمن أحال غيره
على فرسه (٨) كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادي (٩) الغرائز جمع غريزة وهي
الطبيعة. وغرز الغرائز كضوء الأضواء أي جعلها غرائز. والمراد أودع فيها طبائعها
(١٠) الضمير في أشباحها للغرائز. أي ألزم الغرائز أشباحها أي أشخاصها لأن كل

وأحنائها (١). ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء (٢) وشق الأرجاء وسكائك الهواء (٣). فأجرى فيها ماء متلاطما تياره (٤)، متراكما زخاره. حمله على متن الرياح العاصفة، والزعرع القاصفة. فأمرها برده (٥)، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده. الهواء من تحتها فتيق (٦)، والماء من فوقها

مطبوع على غريزة لازمته، فالشجاع لا يكون خوارا مثلا (١) جمع حنو بالكسر أي الجانب، أو ما أعوج من الشيء بدنا كان أو غيره، كناية عما خفي. أو من قولهم أحناء الأمور أي مشتبهاتها وقرائنها ما يقترب بها من الأحوال المتعلقة بها والصادرة عنها (٢) ثم أنشأ الخ الترتيب والتراخي في قول الإمام لا في الصنع الإلهي كما لا يخفى. والأجواء جمع جو وهو هذا الفضاء العالي بين السماء والأرض. واستفيد من كلامه أن الفضاء مخلوق وهو مذهب قوم كما استفيد منه أن الله خلق في الفضاء ماء حمله على متن ريح فاستقل عليها حتى صارت مكانا له ثم خلق فوق ذلك الماء ريحا أخرى سلطها عليه فموجته تمويجا شديدا حتى ارتفع فخلق منه الأجرام العليا. وإلى هذا يذهب قوم من الفلاسفة منهم تالسين الإسكندري يقولون إن الماء أي الجوهر السائل أصل كل الأجسام كثيفها من متكثفه ولطيفها من شفافه، والأرجاء الجوانب واحدها رجا كعصا (٣) السكائك جمع سكاكة بالضم وهي الهواء الملاقي عنان السماء وبابها نحو ذؤابة

وذوائب (٤) التيار الموج. والمتراكم ما يكون بعضه فوق بعض. والزخار الشديد الزخر أي الامتداد والارتفاع. والريح العاصفة الشديدة الهبوب كأنها تهلك الناس بشدة هبوبها وكذلك الزعرع كأنها تزعرع كل ثابت. وتقصف أي تحطم كل قائم (٥) أمرها برده أي منعه من الهبوط لأن الماء ثقيل وشأن الثقيل الهوى والسقوط وسلطها على شده أي وثاقه كأنه سبحانه أوثقه بها أو منعه من الحركة إلى السفلى التي هي من لوازم طبعه. وقرنها إلى حده أي جعلها مكانا له أي جعل حد الماء المذكور وهو سطحه الأسفل مماسا

لسطح الرياح التي تحمله أو أراد من الحد المنع أي جعل من لوازمها ذلك (٦) الفتيق

دفيق. ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها (١) وأدام مربها. وأعصف مجراها وأبعد منشأها. فأمرها بتصفيق الماء الزخار (٢)، وإثارة موج البحار. فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء. ترد أوله إلى آخره، وساجيه إلى مائره (٣). حتى عب عبابه، ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفثق، وجو منفهق (٤). فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوبا (٥) وعلياهن سقفا محفوظا. وسمكا مرفوعا. بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها (٦). ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب (٧). وأجرى فيها سراجا مستطيرا (٨)، وقمرا منيرا. في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر (٩) ثم فتق

المفتوق والدفيق المدفوق (١) اعتقم مهبها جعل هبوبها عقيما. والريح العقيم التي لا تلقح سحابا ولا شجرا وكذلك كانت هذه لأنها أنشئت لتحريك الماء ليس غير. والمرب ميمى من أرب بالمكان مثل ألب به أي لازمه. فأدام مربها أي ملازمته، أو أن أدام من أدمت الدلو ملأته. والمرب بكسر أوله المكان والمحل (٢) تصفيقه تحريكه وتقليبه. ومخضته حركته بشدة كما يمحض السقاء بما فيه من اللبن ليستخرج زبده. والسقاء جلد السخلة يجذع فيكون وعاء اللبن والماء جمعه أسقية وأسقيات وأساق. وعصفت به الخ الرياح إذا عصفت بالفضاء الذي لا أجسام فيه كانت شديدة لعدم المانع وهذه الرياح عصفت بهذا الماء ذلك العصف الذي يكون لها لو لم يكن مانع (٣) الساجي الساكن والمائر الذي يذهب ويحيى أو المتحرك مطلقا. وعب عبابه ارتفع علاه. وركامه أثبجه وهضبته وما تراكم منه بعضه على بعض (٤) المنفهق المفتوح الواسع (٥) المكفوف الممنوع من السيالان، ويدعمها أي يسندها ويحفظها من السقوط (٦) الدسار واحد الدسر وهي المسامير أو الخيوط تشد بها ألواح السفينة من ليف ونحوه (٧) الثواقب المنيرة المشرقة (٨) مستطيرا منتشر الضياء وهو الشمس (٩) الرقيم اسم من أسماء

ما بين السماوات العلا. فملأهن أطوارا من ملائكته (١) منهم
سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون
ومسبحون لا يسأمون. لا يغشاهم نوم العين. ولا سهو العقول.
ولا فترة الأبدان. ولا غفلة النسيان. ومنهم أمناء على وحيه،
والسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره. ومنهم الحفظة لعباده
والسدنة لأبواب جنانه. ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم،
والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم،
والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم. ناكسة دونه أبصارهم (٢).

الفلك، سمي به لأنه مرقوم بالكواكب. ومائر متحرك. ويفسر الرقيم باللوح. وشبه
الفلك باللوح لأنه مسطح فيما يبدو للنظر (١) جعل الملائكة أربعة أقسام: الأول
أرباب العبادة ومنهم الراكع والساجد والصاف والمسبح، وقوله صافون أي قائمون
صفوفا لا يتزايلون أي لا يتفارقون. والقسم الثاني الأمناء على وحي الله لأنبيائه
والألسنة الناطقة في أفواه رسله والمختلفون بالأقضية إلى العباد، بهم يقضي الله على من
شاء بما شاء. والقسم الثالث حفظة العباد كأنهم قوى مودعة في أبدان البشر ونفوسهم
يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالإنسان
من السلامة. ومنهم سدنة الجنان جمع سادن وهو الخادم، والخادم يحفظ ما عهد إليه
وأقيم على خدمته. والقسم الرابع حملة العرش كأنهم القوة العامة التي أفاضها الله في
العالم الكلي فهي الماسكة له الحافظة لكل جزء منه مركزه وحدود مسيره في مداره
فهي المخترقة له النافذة فيه الآخذة من أعلاه إلى أسفله ومن أسفله إلى أعلاه. وقوله
المارقة من السماء: المروق الخروج. وقوله الخارجة من الأقطار أركانهم: الأركان
الأعضاء
والجوارح. والتمثيل في الكلام لا يخفى على أهل البصائر (٢) الضمير في دونه للعرش

متلفعون تحته بأجنتهم. مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب
العزة وأستار القدرة. لا يتوهمون ربهم بالتصوير. ولا يجرون
عليه صفات المصنوعين. ولا يحدونه بالأماكن. ولا يشيرون
إليه بالنظائر

صفة خلق آدم عليه السلام

ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها (١)،
تربة سنّها بالماء حتى خلصت. ولاطها بالبلّة حتى لزبت (٢). فجبل منها
صورة ذات أحناء ووصول (٣) وأعضاء وفصول. أجمدها حتى استمسكت،
وأصلدها حتى صلصت (٤). لوقت معدود. وأمد معلوم. ثم نفخ

كالضمير في تحته. ومتلفعون من تلفعت بالثوب إذا التحفت به (١) الحزن بفتح
فسكون: الغليظ الخشن والسهل ما يخالفه. والسبخ ما ملح من الأرض. وأشار باختلاف
الأجزاء التي جبل منها الإنسان إلى أنه مركب من طباع مختلفة وفيه استعداد للخير
والشر والحسن والقيح (٢) سن الماء صبه والمراد صب عليها أو سنّها هنا بمعنى
ملسّها كما قال:

ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء * تمشي في مرمر مسنون
وقوله حتى خلصت أي صارت طينة خالصة. وفي بعض النسخ حتى خضلت بتقديم
الضاد المعجمة على اللام أي ابتلت ولعلها أظهر. لاطها خلطها وعجنها أو هو من
لاط الحوض بالطين ملطه وطينه به. والبلّة بالفتح من البلل. ولزب ككرم تداخل
بعضه في بعض وصلب، ومن باب نصر بمعنى التصق وثبت واشتد (٣) الأحناء جمع حنو
وهو بالكسر والفتح كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج واللحي والضلع
أو هي الجوانب مطلقا. وجبل أي خلق (٤) أصلدها جعلها صلبة ملساء متينة. وصلصت

فيها من روحه فمثلت إنسانا ذا أذهان يجيلها (١). وفكر يتصرف بها،
وجوارح يستخدمها (٢)، وأدوات يقلبها. ومعرفة يفرق بها بين الحق
والباطل والأذواق والمشام والألوان والأجناس. معجونا بطينة
الألوان المختلفة (٣)، والأشباه المؤتلفة. والأضداد المتعادية
والأخلاق المتباينة. من الحر والبرد. والبله والجمود. واستأدى
الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم (٤) وعهد وصيته إليهم. في
الاذعان بالسجود له والخشوع لتكريمته. فقال سبحانه اسجدوا
لآدم فسجدوا إلا إبليس اعترته الحمية وغلبت عليه الشقوة (٥)

يبست حتى كانت تسمع لها صلصلة إذا هبت عليها رياح وذلك هو الصلصال. واللام في
قوله لوقت متعلقة بمحذوف كأنه قال حتى يبست وجفت معدة لوقت معلوم، ويمكن
أن تكون متعلقة بجبل أي جبل من الأرض هذه الصورة ولا يزال يحفظها لوقت
معدود ينتهي بيوم القيامة

(١) مثل كرم قام منتصبا. والأذهان قوى التعقل،
ويجيلها يحركها في المعقولات (٢) يستخدمها يجعلها في مآربه وأوطاره كالخدم الذين
تستعملهم في خدمتك وتستعملهم في شؤونك. والأدوات جمع أداة وهي الآلة. وتقليبها
تحريكها في العمل بها فيما خلقت له (٣) معجونا صفة إنسانا. والألوان المختلفة
الضروب والفنون. وتلك الألوان هي التي ذكره من الحر والبرد والبله والجمود
(٤) استأدى الملائكة وديعته طلب منهم أداءها. والوديعة هي عهده إليهم بقوله
إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.
ويروى الخنوع بالنون بدل الخشوع هو بمعنى الخضوع. وقوله فقال اسجدوا الخ
عطف على استأدى (٥) الشقوة بكسر الشين وفتحها ما حتم عليه من الشقاء. والشقاء
ضد السعادة وهو النصب الدائم والألم الملازم. وتعززه بخلقه النار استكباره مقدار نفسه

وتعزز بخلقة النار واستهون خلق الصلصال. فأعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية. وإنجازا للعدة. فقال إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم. ثم أسكن سبحانه آدم دارا أرغد فيها عيشته، وآمن فيها محلته، وحذره إبليس وعداوته. فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الأبرار (١). فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه. واستبدل بالجدل وجلا (٢). وبالاغترار ندما. ثم بسط الله سبحانه له في توبته. ولقاه كلمة رحمته، ووعدته المرد إلى جنته.

بسبب أنه خلق من جوهر لطيف ومادة أعلى من مادة الصلصال. والصلصال الطين الحر خلط بالرمل أو الطين ما لم يجعل خزفا. والمراد من الصلصال هذا مادة الأرض التي خلق آدم عليه السلام منها. وجوهر ما خلق منه الجن - وهم من الجواهر اللطيفة - أعلى من جوهر ما خلق منه الإنسان وهو مجبول من عناصر الأرض. والنظرة بفتح فكسر الانتظار به حيا ما دام الإنسان عامرا للأرض متمتعا بالوجود فيكون من الشيطان في هذا الأمد ما يستحق به سخط الله وما تتم به بلية الشقاء عليه ويكون الله جل شأنه قد أنجز وعده في قوله إنك من المنظرين الخ (١) اغتر آدم عدوه الشيطان

أي انتهز منه غرة فأغواه وكان الحامل للشيطان على غواية آدم حسده له على الخلود في دار المقام ومرافقته الأبرار من الملائكة الأطهار (٢) أدخل الشيطان عليه الشك في أن ما تناول منه سائغ التناول بعد أن كان في نهى الله له عن تناول ما يوجب له اليقين بحظره عليه وكانت العزيمة في الوقوف عندما أمر الله فاستبد بها الوهن الذي أفضى إلى المخالفة. والجدل بالتحريك الفرح وقد كان في راحة الأمن بالإخبارات إلى الله وامتنال الأمر فلما سقط في المخالفة تبدل ذلك بالوجل والخوف من حلول العقوبة وقد ذهب عنه الغرة وانتبه إلى عاقبة ما اقترف فاستشعر الندم بعد الاغترار

وأهبطه إلى دار البلية (١)، وتناسل الذرية (٢). واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم (٣)، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم (٤) فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه (٥). واجتالتهم الشياطين عن معرفته (٦)، واقتطعتهم عن عبادته. فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه (٧) ليستأدوهم ميثاق فطرته (٨). ويذكروهم منسي نعمته. ويحتجوا عليهم بالتبليغ. ويشيروا لهم دفائن العقول (٩)

(١) أهبطه من مقام كان الإلهام الإلهي لانسياق قواه إلى مقتضى الفطرة السليمة الأولى إلى مقر قد خلط له وفيه الخير والشر واختط له فيه الطريقان ووكل إلى نظره العقلي وابتلي بالتمييز بين النجدين واختيار أي الطريقين، وهو العناد الذي تكدر به صفو هذه الحياة على الآدميين (٢) تناسل الذرية من خصائص تلك المنزل الثانية التي أنزل الله فيها آدم وهو مما ابتلي به الإنسان امتحانا لقوته على التربية واقتداره على سياسة من يعولهم والقيام بحقوقهم وإلزامهم بتأدية ما يحق عليهم (٣) أخذ عليهم الميثاق أن يبلغوا ما أوحى إليهم ويكون ما بعده بمنزلة التأكيد له أو أخذ عليهم أن لا يشرعوا للناس إلا ما يوحى إليهم (٤) عهد الله إلى الناس هو ما سيأتي يعبر عنه بميثاق الفطرة (٥) الأنداد الأمثال وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى (٦) اجتالتهم بالجيم صرفتهم عن قصدهم الذي وجهوا إليه بالهداية المغروزة في فطرتهم. وأصله من الدوران كأن الذي يصرفك عن قصدك يصرفك تارة هكذا وأخرى هكذا (٧) واطر إليهم أنبياءه أرسلهم وبين كل نبي ومن بعده فترة لا بمعنى أرسلهم تباعا بعضهم يعقب بعضها (٨) كأن الله تعالى بما أودع في الإنسان من الغرائز والقوى وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى قد أخذ عليه ميثاقا بأن يصرف ما أوتي من ذلك فيما خلق له وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات فبعث إليه النبيين ليطالبوا من الناس أداء ذلك الميثاق أي ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم وما ينبغي أن تسوقهم إليه غرائزهم (٩) دفائن العقول أنوار العرفان التي

ويروهم الآيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع. ومعايش تحييمهم وآجال تفنيهم. وأوصاب تهرمهم (١). وأحداث تتابع عليهم. ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل. أو حجة لازمة، أو محجة قائمة (٢). رسل لا تقصر بهم قلة عددهم. ولا كثرة المكذبين لهم. من سابق سمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله (٣). على ذلك نسلت القرون (٤). ومضت الدهور. وسلفت الآباء. وخلفت الأبناء. إلى أن بعث الله سبحانه محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله لإنجاز عدته (٥)، وتمام نبوته. مأخوذا على النبين ميثاقه، مشهورة سماته (٦)، كريما ميلاده. وأهل

تكشف للإنسان أسرار الكائنات وترتفع به إلى الإيقان بصانع الموجودات وقد يحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال فيأتي النبيون لإثارة تلك المعارف الكامنة وإبراز تلك الأسرار الباطنة

(١) السقف المرفوع السماء. والمهاد الموضوع الأرض. والأوصاب المتاعب (٢) المحجة الطريق القويمة الواضحة (٣) من سابق بيان للرسل، وكثير من الأنبياء السابقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم كما ترى ذلك في التوراة. والغابر الذي يأتي بعد أن يشير به السابق جاء معروفا بتعرف من قبله (٤) نسلت بالبناء للمجهول ولدت. وبالبناء للفاعل مضت متتابعة (٥) الضمير في عدته لله تعالى لأن الله وعد بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم على لسان أنبيائه السابقين. وكذلك الضمير في نبوته لأن الله تعالى أنبأ به وأنه سيبعث وحيا لأنبيائه. فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوة. ولما كان الله هو المخبر به أضيفت النبوة إليه (٦) سماته علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين

الأرض يومئذ ملل متفرقة. وأهواء منتشرة. وطوائف متشتتة. بين مشبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه أو مشير إلى غيره (١). فهداهم به من الضلالة. وأنقذهم بمكانه من الجهالة. ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله لقاءه. ورضي له ما عنده وأكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقارنة البلوى. فقبضه إليه كريما صلى الله عليه وآله: وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم هملا. بغير طريق واضح. ولا علم قائم (٢): كتاب ربكم فيكم مبينا حلاله وحرامه (٣) وفرائضه وفضائله وناسخه ومنسوخه. ورخصه وعزائمه. وخاصه وعامه. وعبره وأمثاله. ومرسله ومحدوده. ومحكمه

الذين بشروا به (١) الملحد في اسم الله الذي يميل به عن حقيقة مسماه فيعتقد في الله صفات يجب تنزيهه عنها. والمشير إلى غيره الذي يشرك معه في التصرف إلها آخر فيعبده ويستعينه (٢) أي أن الأنبياء لم يهملوا أممهم مما يرشداهم بعد موت أنبيائهم وقد كان من محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما كان منهم فإنه خلف في أمته كتاب الله تعالى حاويا لجميع ما يحتاجون إليه في دينهم (٣) حلاله كالأكل من الطيبات، وحرامه كأكل أموال الناس بالباطل، وفرائضه كالزكاة أخت الصلاة، وفضائله كنوافل الصدقات التي يعظم الأجر فيها ولا حرج في التقصير عنها، وناسخه ما جاء قاضيا يمحو ما كان عليه الضالون من العقائد أو إزالة السابق من الأحكام كقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه الآية. ومنسوخه ما كان حكاية عن تلك الأحكام كقوله وعلى الذين هادوا حرما كل ذي ظفر الآية. ورخصه كقوله فمن اضطر في مخمصة. وعزائمه كقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه. وخاصه كقوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية، وعامه كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن. والعبر كآيات التي تخبر

ومتشابهه مفسرا مجمله ومبينا غوامضه. بين مأخوذ ميثاق في علمه
وموسع على العباد في جهله. وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم
في السنة نسخه، وواجب في السنة أخذه، ومرخص في الكتاب
تركه. وبين واجب بوقته. وزائل في مستقبله. ومباين بين محارمه (١)
من كبير أوعد عليه نيرانه. أو صغير أرصد له غفرانه. وبين مقبول
في أدناه موسع في أقصاه (٢).

عما أصاب الأمم الماضية من النكال ونزل بهم من العذاب لما حادوا عن الحق وركبوا
طرق الظلم والعدوان. والأمثال كقوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الآية. وقوله كمثل
الذي استوقد نارا وأشباه ذلك كثير. والمرسل المطلق. والمحدود المقيد. والمحكم
كآيات

الأحكام والأخبار الصريحة في معانيها. والمتشابه كقوله يد الله فوق أيديهم. والموسع
على العباد في جهله كالحروف المفتحة بها السور نحو ألم والر. والمثبت في الكتاب
فرضه مع بيان السنة لنسخه كالصلاة فإنها فرضت على الذين من قبلنا غير أن السنة
بينت لنا الهيئة التي اختصنا الله بها وكلفنا أن نؤدي الصلاة بها، فالفرض في الكتاب.
وتبيين نسخه لما كان قبله في السنة، والمرخص في الكتاب تركه ما لم يكن منصوبا
على عينه. بل ذكر في الكتاب ما يشتمله وغيره كقوله فاقرأوا ما تيسر منه وقد عينته
السنة بسورة مخصوصة في كل ركعة فوجب الأخذ بما عينته السنة ولو بقينا عند مجمل
الكتاب كان لنا أن نقرأ في الصلاة غير الفاتحة جوازا لا مؤاخذا معه. والواجب بوقته
الزائل في مستقبله كصوم رمضان يجب في جزء من السنة ولا يجب في غيره. (١) ومباين
بين محارمه بالرفع لا بالجر خبر لمبتدأ محذوف أي والكتاب قد خولف
بين المحارم التي حظرها فمنها كبير أوعد عليه نيرانه كالزنا وقتل النفس، ومنها صغير
أرصد له غفرانه كالنظرة بشهوة ونحوها (٢) رجوع إلى تقسيم الكتاب. والقبول في
أدناه الموسع في أقصاه كما في كفارة اليمين يقبل فيها إطعام عشرة مساكين. وموسع

(منها ذكر في الحج) وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للأنام يردونه ورود الأنعام ويألهون إليه ولوه الحمام (١) جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزته. واختار من خلقه سماعا أجابوا إليه دعوته. وصدقوا كلمته. ووقفوا مواقف أنبيائه. وتشبهوا بملائكته. المطيفين بعرشه يحرزون الأرباح في متجر عبادته. ويتبادرون عند موعد مغفرته. جعله سبحانه وتعالى للإسلام علما والعائدين حرما. فرض حجه وأوجب حقه وكتب عليكم وفادته (٢) فقال سبحانه ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.

٢ - ومن خطبة له بعد انصرافه من صفين (٣) أحمدته استتماما لنعمته. واستسلاما لعزته. واستعصاما من معصيته. وأستعينه فاقة إلى كفايته إنه لا يضل من هداه. ولا يئل من عاداه (٤) ولا يفترق من كفاه. فإنه أرجح ما وزن (٥) وأفضل ما

في كسوتهم وعتق الرقبة (١) يألهون إليه أي يفزعون إليه أو يلوذون به ويعكفون عليه (٢) الوفادة الزيارة.

(٣) صفين كسجين محلة عدها الجغرافيون من بلاد الجزيرة (ما بين الفرات والدجلة) والمؤرخون من العرب عدوها من أرض سوريا وهي اليوم في ولاية حلب الشهباء وهذه الولاية كانت من أعمال سوريا (٤) وأل يئل خلص (٥) الضمير في فإنه

(٢٧)

خزن. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادة ممتحنا
إخلاصها. معتقدا مصاصها (١) نتمسك بها أبدا ما أبقانا. وندخرها
لأهاويل ما يلقانا (٢) فإنها عزيمة الإيمان. وفاتحة الإحسان ومرضاة
الرحمن. ومدحرة الشيطان (٣) وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أرسله
بالدين المشهور. والعلم المأثور (٤) والكتاب المسطور. والنور
الساطع. والضياء اللامع. والأمر الصادع. إزاحة للشبهات.
واحتجاجا بالبينات. وتحذيرا بالآيات. وتخويفا بالمثلات (٥) والناس في
فتن انجذم فيها حبل الدين (٦) وترعزعت سوارى اليقين (٧) واختلف
النجر (٨) وتشئت الأمر. وضاق المخرج وعمي المصدر (٩) فالهدى
خامل والعمى شامل. عصي الرحمن. ونصر الشيطان. وخذل الإيمان

للحمد المفهوم من أحمد (١) مصاص كل شئ خالصه (٢) الأهاويل جمع أهوال
جمع هول فهي جمع الجمع (٣) مدحرة الشيطان أي تبعده وتطرده (٤) العلم بالتحريك
ما يهتدى به وهو هنا الشريعة الحقة. والمأثور المنقول عنه (٥) المثلثات بفتح فضم
العقوبات جمع مثلة بضم الثاء وسكونها بعد الميم وجمعها مثولات ومثلثات وقد تسكن
ثاء الجمع تخفيفا (٦) انجذم انقطع (٧) السوارى جمع سارية العمود والدعامة
(٨) النجر بفتح النون وسكون الجيم الأصل أي اختلفت الأصول فكل يرجع إلى
أصل يظنه مرجع حق وما هو من الحق في شئ (٩) مصادرهم في أوهامهم وأهوائهم
مجهولة غير معلومة خفية غير ظاهرة فلا عن بينة يعتقدون ولا إلى غاية صالحة ينزعون

فانهارت دعائمه (١)، وتنكرت معالمه (٢)، ودرست سبله (٣)، وعفت شرکه. أطاعوا الشيطان فسلکوا مسالکھ. ووردوا مناهله (٤) بهم سارت أعلامه. وقام لواؤه في فتن داستهم بأخفافها. ووطئتھم بأظلافها (٥) وقامت على سنابکھا. فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران (٦). نومهم سهود وکحلهم دموع. بأرض عالمها ملجم وجاهلها مکرم (ومنها يعني آل النبي عليه الصلاة والسلام) موضع سره ولجأ أمره (٧) وعيبة علمه (٨) وموئل حکمه وکھوف

(١) انهارت هوت وسقطت. والدعائم جمع دعامة وهي ما يستند إليه الشئ ويقوم عليه. ودعامة السقف مثلاً ما يرتفع عليه من الأعمدة (٢) التنكر التغير من حال تسر إلى حال تکره أي تبدلت علاماته وآثاره بما أعقب السوء وجلب المکروه (٣) درست کاندرست أي انطمست، والشرك قال بعضهم جمع شراك ککتاب وهي الطريق والذي يفهم من القاموس أنها بفتحات جواد الطريق أو ما لا يخفى عليك ولا يستجمع لك من الطرق، اسم جمع لا مفرد له من لفظه. وعفت بمعنی درست (٤) المناهل جمع منهل وهو مورد الشاربة من النهر (٥) الأظلاف جمع ظلف بالکسر للبقر والشاء وشبههما کالخف للبعير والقدم للانسان. السنابک جمع سنبل کقنفذ طرف الحافر (٦) خير دار هي مكة المکرمة. وشر الجيران عبدة الأوثان من قريش. وقوله نومهم سهود الخ كما تقول فلان جوده بخل وأمنه مخافة فهم في أحداث أبدلتهم النوم بالسهر والكحل بالدمع. والعالم ملجم لأنه لو قال حقاً والجمهور على الباطل لانتاشوه ونهشوه والجاهل مکرم لأنه على شاکلة العامة مشايخ لهم في أهوائهم فنزلته عندهم منزلة أو هامهم وعاداتهم وهي في المقام الأعلى من نفوسهم. وهذه الأوصاف کلها لتصوير حال الناس في الجاهلية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (٧) اللجأ محرکة الملاذ وما تلتجئ إليه کالوزر محرکة

ما تعتصم به (٨) العيبة بالفتح الوعاء. والموئل المرجع أي أن حکمه وشرعه يرجع

كتبه. وجبال دينه. بهم أقام انحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائضه (١).
(ومنها يعني قوما آخرين) زرعوا الفجور: وسقوه الغرور. وحصدوا
الثور (٢) لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد
ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا. هم أساس الدين. وعماد
اليقين. إليهم يفى الغالي. وبهم يلحق التالي (٣) ولهم خصائص حق
الولاية. وفيهم الوصية والوراثة. الآن إذ رجع الحق إلى أهله (٤)
ونقل إلى منتقله

٣ - ومن خطبة له وهي المعروفة بالشقشقية (٥)
أما والله لقد تقمصها فلان (٦) وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب

إليهم وهم حفاظ كتبه يحوونها كما تحوى الكهوف والغيان ما يكون فيها. والكتب
القرآن، وجمعه لأنه فيما حواه كجملة ما تقدمه من الكتب ويزيد عليها ما خص الله
به هذه الأمة (١) كنى بانحناء الظهر عن الضعف وبإقامته عن القوة وبهم آمنه من
الخوف الذي ترتعد منه الفرائض (٢) جعل ما فعلوا من القبائح كزرع زرعه
وما سكنت إليه نفوسهم من الامهال واغترارهم بذلك بمنزلة السقي فإن الغرور يبعث على
مداومة القبيح والزيادة فيه ثم كانت عاقبة أمرهم هذا الثور وهو الهلاك (٣) يريد
أن سيرتهم صراط الدين المستقيم فمن غلا في دينه وتجاوز بالإفراط حدود الجادة فإنما
نجاته بالرجوع إلى سيرة آل النبي وتفيؤ ظلال أعلامهم. وقوله وبهم يلحق التالي
يقصد به أن المقصر في عمله المتباطئ في سيره الذي أصبح وقد سبقه السابقون إنما
يتسنى له الخلاص بالنهوض ليلحق بآل النبي ويحذو حذوهم (٤) الآن ظرف متعلق براجع
وإذ زائدة للتوكيد، سوغ ذلك ابن هشام في نقله عن أبي عبيدة أو أن إذ للتحقيق بمعنى
قد كما نقله بعض النحاة (٥) لقوله فيها إنها شقشقة هدرت ثم قرت كما يأتي (٦)
الضمير

من الرحى. ينحدر عني السيل (١) ولا يرقى إلي الطير. فسدت دونها
ثوبا (٢) وطويت عنها كشحا. وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء (٣)
أو أصبر على طخية عمياء (٤) يهرم فيها الكبير. ويشيب فيها الصغير.
ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه (٥) فرأيت أن الصبر على هاتا
أحجى (٦) فصبرت وفي العين قذى. وفي الحلق شجا (٧) أرى تراثي نهبا

يرجع إلى الخلافة. وفلان كناية عن الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه
(١) تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي وأن ما يصل إلى
غيره من فيض الفضل وإنما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب
منه من شاء الله وعلى ذلك قوله ولا يرقى الخ غير أن الثانية أبلغ من الأولى في
الدلالة على الرفعة (٢) فسدت الخ كناية عن غض نظره عنها. وسدل الثوب أرخاه.
وطوى عنها كشحا مال عنها. وهو مثل لأن من جاع فقد طوى كشحه ومن شبع فقد
ملأه فهو قد جاع عن الخلافة أي ما لم يلتقمها (٣) وطفقت الخ بيان لعة الاغضاء.
والجذاء بالجميم والذال المعجمة والذال المهملة، وبالحاء المهملة مع الذال المعجمة بمعنى
المقطوعة ويقولون رحم جذاء أي لم توصل وسن جذاء أي متهتمة، والمراد هنا
ليس ما يؤيدها كأنه قال تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدت دونها ثوبا
وطويت عنها كشحا (٤) طخية بطاء فحاء بعدها ياء ويثلاث أولها أي ظلمة. ونسبة العمى
إليها مجاز عقلي. وإنما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق وهو تأكيد لظلام
الحال واسودادها (٥) يكدح يسعى سعى المجهود (٦) أحجى ألزم من حجي به كرضي
أولع به ولزمه ومنه هو حجي بكذا أي جدير وما أحجاء، وأحج به أي أخلق به.
وأصله من الحجا بمعنى العقل فهو أحجى أي أقرب إلى العقل. وهاتا بمعنى هذه أي
رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير (٧) الشجا
ما اعترض في الحق من عظم ونحوه. والتراث الميراث

حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده (١) (ثم تمثل بقول
الأعشى)

شتان ما يومي على كورها * ويوم حيان أخي جابر (٢)
فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته (٣) إذ عقدها لآخر بعد وفاته

(١) أدلى بها ألقى بها إليه.

(٢) الكور بالضم الرحل أو هو مع أداته. والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في
الآيات قبل في قوله.

- وقد أسلى الهم إذ يعتري * بجسرة دوسرة عاقر
والجسر العظيم من الإبل. والدوسرة الناقة الضخمة. وحيان كان سيداً في بني حنيفة
مطاعاً فيهم وكان ذا حظوة عند ملوك فارس وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة وكان
الأعشى ينادمه. والأعشى هذا هو الأعشى الكبير أعشى قيس وهو أبو بصير ميمون
ابن قيس بن جندل. وأول القصيدة:

علقم ما أنت إلى عامر * الناقض الأوتار والوتر
وجابر أخو حيان أصغر منه، ومعنى البيت أن فرقاً بعيداً بين يومه في سفره
وهو على كور ناقتة وبين يوم حيان في رفايته فإن الأول كثير العناء شديد الشقاء
والثاني وافر النعيم وافي الراحة ويتلو هذا البيت آيات منها:
في مجدل شيد بنيانه * يزل عنه ظفر الطائر
ما يجعل الجد الظنون الذي * جنب صوب اللجب الماطر
مثل الفراتي إذا ما طما * يقذف بالبوصى والماهر
(المجدل كمنبر القصر. والجد بضم أوله البئر القليلة الماء. والظنون البئر لا يدرى أفيها
ماء أم لا. واللجب المراد منه السحاب لا اضطرابه وتحركه. والفراتي الفرات. وزيادة
الياء للمبالغة. والبوصى ضرب من السفن معرب بوزى والماهر السابح المجيد) ووجه
تمثل الإمام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل (٣) روي أن أبا بكر قال بعد البيعة أقيلوني فلست
بخيركم. وأنكر الجمهور هذه الرواية عنه والمعروف عنه وليتكم ولست بخيركم.

لشد ما تشطرا ضرعيها (١) فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها (٢) ويخشن مسها. ويكثر العثار فيها. والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة (٣) إن أشنق لها خرم. وإن أسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس (٤) وتلون واعتراض. فصبرت على طول المدة وشدة المحنة. حتى إذا مضى لسبيله. جعلها في جماعة زعم أنني

(١) لشد ما تشطرا ضرعيها جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين، فالفاء في فصيرها عطف على عقدها. وتشطرا مسند إلى ضمير التثنية وضرعيها تثنية ضرع وهو للحيوانات مثل الثدي للمرأة. قالوا إن للناقة في ضرعها شطرين كل خلفين شطر ويقال شطر بناقته تشطيرا صر خلفين وترك خلفين. والشطر أيضا أن تحلب شطرا وتترك شطرا، فتشطرا أي أخذ كل منهما شطرا، سمي شطري الضرع ضرعين مجازا وهو هنا من أبلغ أنواعه حين أن من ولي الخلافة لا ينال الأمر إلا تاما ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهما، فأطلق على تناول الأمر واحدا بعد واحد اسم التشطر والاقتراس كأن أحدهما ترك منه شيئا للآخر، وأطلق على كل شطر اسم الضرع نظرا لحقيقة ما نال كل (٢) الكلام بالضم الأرض الغليظة. وفي نسخه كلمها وإنما هو بمعنى الجرح، وكأنه يقول خشونتها تجرح جرحا غليظا (٣) الصعبة من الإبل ما ليست بذلول. وأشنق البعير وشنقه كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه (العظم الناتئ خلف الأذن) بقادمة الرحل أو رفع رأسه وهو راكبه واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس. وأسلس أرخى. وتقحم رمى بنفسه في القحمة أي الهلكة. وسيأتي معنى هذه العبارة في الكتاب. وراكب الصعبة إما أن يشنقها فيخرم أنفها وإما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته (٤) مني الناس ابتلوا وأصيبوا. والشماس بالكسر إباء ظهر الفرس عن الركوب والنفار. والخبط السير على غير جادة. والتلون التبديل والاعتراض السير على غير خط مستقيم، كأنه يسير عرضا في حال سيره طولاً. يقال بعير

أحدهم فيا لله وللشورى (١) متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى

عرضي يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته، وفي فلان عرضية أي عجرفة وصعوبة (١) إجمال القصة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دنا أجله وقرب مسيره إلى ربه استشار فيمن يوليه الخلافة من بعده فأشير عليه بابنه عبد الله فقال لا يليها (أي الخلافة) اثنان من ولد الخطاب حسب عمر ما حمل، ثم رأي أن يكل الأمر إلى ستة قال إن النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو راض عنهم، وإليهم بعد التشاور أن يعينوا واحدا

منهم يقوم بأمر المسلمين، والستة رجال الشورى هم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، وكان سعد من بني عم عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة وكان في نفسه شيء من علي كرم الله وجهه من قبل أخواله لأن أمه جنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور. وعبد الرحمن كان صهرا لعثمان لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختا لعثمان من أمه، وكان طلحة ميالا لعثمان لصلات بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي لأنه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر، وبعد موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا وانضم طلحة في الرأي إلى عثمان والزبير إلى علي وسعد إلى عبد الرحمن وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير، وقال إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن فأقبل عبد الرحمن على علي وقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده فقال علي أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي، ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك فأجابه بنعم، فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال اللهم اسمع واشهد اللهم إني جعلت ما في رقبتني من ذلك في رقبة عثمان وصفق بيده في يد عثمان وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه. قالوا وخرج الإمام علي واجدا، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن والله لقد تركت عليا وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، فقال يا مقداد لقد

صرت أقرن إلى هذه النظائر (١) لكنني أسففت إذ أسفوا (٢) وطرت إذ طاروا. فصغى رجل منهم لضغنه (٣) ومال الآخر لصهره (٤) مع هن وهن (٥) إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه (٦) بين نثيله ومعتلفه. وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع (٧) إلى أن انتكث قتله. وأجهز عليه عمله (٨) وكبت به بطنته (٩) فما راعني

تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد والله إنني لأعجب من قریش أنهم تركوا رجلا ما أقول ولا أعلم أن رجلا أقضى بالحق ولا أعلم به منه، فقال عبد الرحمن يا مقداد إنني أخشى عليك الفتنة فاتق الله. ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد الرحمن هذا عمل يديك، فقال ما كنت أظن هذا به ولكن لله علي أن لا أكلمه أبدا، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل إن عثمان دخل عليه في مرضه يعودده فتحول إلى الحائط لا يكلمه. والله أعلم والحكم لله يفعل ما يشاء. (١) المشابه بعضهم بعضا دونه

(٢) أسف الطائر دنا من الأرض يريد أنه لم يخالفهم في شيء (٣) صغى صغى وصغا صغوا مال، والضغن الضغينة يشير إلى سعد (٤) يشير إلى عبد الرحمن (٥) يشير إلى أغراض آخر يكره ذكرها (٦) يشير إلى عثمان وكان ثالثا بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه كما تراه في خبر القضية. ونافجا حضنيه رافعا لهما، والحضن ما بين

الإبط والكشح. يقال للمتكبر جاء نافجا حضنيه. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاما، والنثيل الروث، والمعتلف من مادة علف موضع العلف وهو معروف أي لا هم له إلا ما ذكر (٧) الخضم على ما في القاموس الأكل أو بأقصى الأضرار أول ملء الفم بالمأكول أو خاص بالشئ الرطب. والقضم الأكل بأطراف الأسنان أخف من الخضم، والنبتة بكسر النون كالنبات في معناه (٨) انتكث قتله انتقض. وأجهز عليه عمله تم قتله. تقول أجهزت على الجريح وذففت عليه (٩) البطنة بالكسر البطر والأشر

إلا والناس كعرف الضبع إلي (١) ينثالون علي من كل جانب. حتى
لقد وطئ الحسان. وشق عطفائي مجتمعين حولي كربيضة الغنم (٢)
فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومركت أخرى وقسط آخرون (٣)
كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول. (تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) بلى والله
لقد سمعوها ووعوها. ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم (٤) وراقهم
زبرجها. أما والذي فلق الحبة. وبرأ النسمة (٥) لولا حضور الحاضر (٦)
وقيام الحجة بوجود الناصر. وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على
كظة ظالم ولا سغب مظلوم (٧)

والكظة (أي التخمة) والاسراف في الشبع. وكبت به من كبا الجواد إذا سقط لوجهه (١)
عرف الضبع ما كثر على عنقها من الشعر وهو تخين يضرب به المثل في الكثرة
والازدحام، وينثالون يتتابعون مزدحمين. والحسان ولداه الحسن والحسين، وشق
عطفاه خدش جانباه من الاصطكاك. وفي رواية شق عطفائي والعطاف الرداء وكان
هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة (٢) ربيضة الغنم الطائفة الرابضة من الغنم يصف
ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه (٣) الناكثة أصحاب الجمل، والمارقة أصحاب
النهر وان

والقاسطون أي الجائرون أصحاب صفين (٤) حليت الدنيا من حليت المرأة إذا
تزينت بحليها، والزبرج الزينة من وشى أو جوهر (٥) النسمة محركة الروح، وبرأها
خلقها (٦) من حضر لبيعته ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره (٧) والناصر الجيش
الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة. والكظة ما يعتري
الآكل من امتلاء البطن بالطعام والمراد استئثار الظالم بالحقوق، والسغب شدة الجوع

لألقيت حبلها على غاربها (١) ولستقيت آخرها بكأس أولها. ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز (٢) (قالوا) وقام إليه رجل من أهل السواد عند (٣) بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فأقبل ينظر فيه. قال له ابن عباس رضي الله عنهما. يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت. فقال هيئات يا ابن عباس تلك شقشقة (٤) هدرت ثم قرت. قال ابن عباس فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد (قوله كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم) يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها. يقال أشنق الناقة إذا جذب رأسها

والمراد منه هضم حقوقه (١) الغارب الكاهل والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر (٢) عفطة العنز ما تنثره من أنفها كالعفطة، عفطت تعفط من باب ضرب، غير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة، والأشهر في العنز النفطة بالنون، يقال ما له عافط ولا نافط أي نعجة ولا عنز، كما يقال ما له ثاغية ولا راغية، والعفطة الحبة أيضا لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم (٣) السواد العراق وسمي سوادا لخضرته بالزرع والأشجار. والعرب تسمي الأخضر أسود قال الله تعالى "مدهامتان" يريد الخضرة كما هو ظاهر (٤) الشقشقة بكسر فسكون فكسر شيء كالرئة يخرج البعير من فيه إذا هاج، وصوت البعير بها عند إخراجها هدير، ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة، قال

بالزمام فرفعه وشنقها أيضا، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق. وإنما قال أشنق لها ولم يقل أشنقها لأنه جعله في مقابلة قوله أسلس لها فكأنه عليه السلام قال إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها.

٤ - ومن خطبة له عليه السلام

بنا اهتديتم في الظلماء. وتسنتم العلياء (١) وبنا انفجرتم عن السرار. وقر سمع لم يفقه الواعية (٢) وكيف يراعي النبأ من أصمته الصيحة (٣). ربط جنان لم يفارقه الخفقان (٤) ما زلت أنتظر بكم عواقب

في القاموس: والخطبة الشقشقة العلوية وهي هذه (١) تسنتم العليا ركبتم سنامها وارتقيتم إلى أعلاها، والسرار كسحاب وكتاب آخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر. وانفجرتم دخلتم في الفجر. والمراد كنتم في ظلام حالكم وهو ظلام الشرك والضلال فصرتم إلى ضياء ساطع بهدايتنا وإرشادنا والضمير لمحمد صلى الله عليه وآله والإمام ابن عمه ونصيره في دعوته. ويروى أفجرتم بدل انفجرتم وهو أفصح وأوضح لأن الفعل لا يأتي لغير المطاوعة إلا نادرا. أما أفعل فيأتي لصيرورة الشيء إلى حال لم يكن عليها كقولهم أجرب الرجل إذا صارت إبله جربي وأمثاله كثير (٢) الواعية الصاخة، والصارخة والصراخ نفسه. والمراد هنا العبر والمواعظ الشديدة الأثر. ووقرت أذنه فهي موقورة ووقرت كسمعت صمت. دعاء بالصمم على من لم يفهم الزواجر والعبر (٣) الصيحة هنا الصوت الشديد، والنبأ أراد منها الصوت الخفي، أي من أصمته الصيحة فلم يسمعها كيف يمكن أن يسمع النبأ فيراعيها.

ويشير بالصيحة إلى

زواجر كتاب الله ومقال رسوله، وبالنبأ إلى ما يكون منه رضي الله عنه وقد رأينا هذا أقرب مما أشرنا إليه في الطبعة السابقة (٤) ربط جأشه رباطة اشتد قلبه، ومثله رباطة

الغدر. وأتوسمكم بحلية المغترين (١) سترني عنكم جلباب الدين (٢) وبصرنيكم صدق النية. أقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة (٣)، حيث تلتقون ولا دليل. وتحتفرون ولا تميهون (٤). اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان (٥) غرب رأي امرئ تخلف عني (٦) ما شككت في الحق مذ أريته. لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه (٧) أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال. اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظماً

الجنان أي القلب وهو دعاء للقلب الذي لازمه الخفقان والاضطراب خوفاً من الله بأن يثبت ويستمسك (١) ينتظر بهم الغدر يترقب غدرهم ثم كان يتفرس فيهم الغرور والغفلة وأنهم لا يميزون بين الحق والباطل ولهذا لا يبعد أن يجهلوا قدره فيتركوه إلى من ليس له من الحق على مثل حاله. والحلية هنا الصفة (٢) جلباب الدين ما لبسوه من رسومه الظاهرة، أي أن الذي عصمكم مني هو ما ظهرتم به من الدين وإن كان صدق نيتي قد بصرني ببواطن أحوالكم وما تكنه صدوركم. وصاحب القلب الطاهر تنفذ فراسته إلى سرائر النفوس فتستخرجها (٣) المضلة بكسر الضاد وفتحها الأرض يضل سالكها، وللضلال طرق كثيرة لأن كل ما جار عن الحق فهو باطل، وللحق طريق واحد مستقيم وهو الوسط بين طرق الضلال، لهذا قال أقمت لكم على سنن الحق وهو طريقه الواضح فيما بين جواد المضلة وطرقها المتشعبة حيث يلاقي بعضكم بعضاً وكلكم تائهون فلا فائدة في التقائكم حيث لا يدل أحدكم صاحبه لعدم علمه بالدليل (٤) تميهون تجدون ماء من أمأهوا أركيتهم أنبطوا ماءها، أو تستقون من أمأهوا دوابهم سقوها (٥) أراد من العجماء رموزه وإشاراته فإنها وإن كانت غامضة على من لا (خبرة) لهم لكنها جلية ظاهرة (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) لهذا سماها ذات البيان مع أنها عجماء (٦) غرب غاب، أي لا رأي إن تخلف عني ولم يطعني (٧) (يعني)

٥ - ومن خطبة له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة. وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا عن تيجان المفاخرة (١). أفلح من نهض بجناح. أو استسلم فأراح (٢) هذا ماء آجن (٣). ولقمة يغص بها أكلها. ومجنتي الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه (٤) فإن أقل يقولوا حرص على الملك. وإن أسكت يقولوا جزع من الموت (٥) هيهات بعد

بموسى عليه السلام إذ رموه بالخيفة ويفرق بين الواقع وبين ما يزعمون فإنه لا يخاف على حياته ولكنه يخاف من غلبة الباطل كما كان من نبي الله موسى، وهو أحسن تفسير لقوله تعالى (فأوحس في نفسه خيفة موسى) وأفضل تبرئة لنبي الله من الشك في أمره (١) قلب قصد به المبالغة. والقصد ضعوا تيجان المفاخرة عن رؤوسكم وكأنه يقول طأطئوا رؤوسكم تواضعا ولا ترفعوها بالمفاخرة إلى حيث تصيبها تيجانها، ويروى وضعوا تيجان المفاخرة بدون لفظ عن وهو ظاهر. وعرج عن الطريق مال عنه وتنكبه (٢) المفلاح أحد رجلين إما ناهض للأمر بجناح أي بناصر ومعين يصل بمعونته إلى ما نهض إليه، وإما مستسلم يريح الناس من المنازعة بلا طائل وذلك عند عدم الناصر، وهذا ينحو نحو قول عنتره لما قيل له إنك أشجع العرب فقال لست بأشجعهم ولكنني أقدم إذا كان الإقدام عزما وأحجم إذا كان الإحجام حزما (٣) الآجن المتغير الطعم واللون لا يستساغ، والإشارة إلى الخلافة، أي أن الإمرة على الناس والولاية على شؤونهم مما لا يهنا لصاحبه بل ذلك أمر يشبه تناوله تناول الماء الآجن ولا تحمد عواقبه كاللقمة يغص بها أكلها فيموت بها (٤) يشير إلى أن ذلك لم يكن الوقت الذي يسوغ فيه طلب الأمر فلو نهض إليه كان كمجنتي الثمرة قبل إيناعها ونضجها وهو لا ينتفع بما جنى، كما أن الزارع في غير أرضه لا ينتفع بما زرع (٥) إن

اللتيا والتي (١) والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه. بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة (٢).

٦ - ومن كلام له لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال (٣) والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم (٤). حتى يصل إليها طالبها ويختلها راصدها. ولكنني أضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه. وبالسامع المطيع العاصي المريب أبدا. حتى يأتي علي يومي

تكلم بطلب الخلافة رماه من لا يعرف حقيقة قصده بالحرص على السلطان وإن سكت وهم يعلمونه أهلا للخلافة يرمونه بالجزع من الموت في طلب حقه (١) أي بعد ظن من يرميني بالجزع بعد ما ركبت الشدائد وقاسيت المخاطر صغيرها وكبيرها. قيل إن رجلا تزوج بقصيرة سيئة الخلق فشقي بعشرتها ثم طلقها وتزوج أخرى طويلة فكان شقاؤه بها أشد فطلقها وقال لا أتزوج بعد اللتيا والتي يشير بالأولى إلى الصغيرة وبالثانية إلى الكبيرة فصارت مثلا في الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها. وقوله هيهات الخ نفي لما عساهم يظنون من جزعه من الموت عند سكوته (٢) أدمجه لفه في ثوب فاندمج، أي انطويت على علم والتفتت عليه. والأرشية جمع رشاء بمعنى الحبل، والطوى جمع طوية وهي البئر، والبعيدة بمعنى العميقة، أو هي بفتح الطاء كعلي، بمعنى السقاء ويكون البعيدة نعتا سببيا أي البعيدة مقرها من البئر أو نسبة البعد إليها في العبارة مجاز عقلي (٣) يرصد يترقب أو هو رباعي من الإرصاء بمعنى الإعداد، أي ولا يعد لهما القتال (٤) اللدم الضرب بشئ ثقيل يسمع صوته. قال أبو عبيد يأتي صائد الضبع فيضرب بعقبه الأرض عند باب جحرها ضربا غير شديد وذلك هو اللدم ثم يقول خامري أم عامر بصوت ضعيف يكررها مرارا فتنام الضبع على ذلك فيجعل في عرقوبها حبلا ويجرها فيخرجها، وخامري أي استتري في جحرك ويقال خامر

فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي مستأثرا علي منذ قبض الله نبيه صلى

الله عليه وسلم حتى يؤم الناس هذا

٧ - ومن خطبة له عليه السلام

اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا (١)، واتخذهم له أشراكا.

فباض وفرخ في صدورهم (٢). ودب ودرج في حجورهم (٣). فنظر بأعينهم

ونطق بألسنتهم. فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل (٤) فعل من

قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه.

٨ - (ومن كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك)

يزعم أنه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه. فقد أقر بالبيعة وادعى

الوليعة (٥) فليأت عليها بأمر يعرف. وإلا فليدخل فيما خرج منه

٩ - ومن كلام له عليه السلام

وقد أاعدوا وأبرقوا، ومع هذين الأمرين الفشل. ولسنا نرعد

الرجل منزله إذا لزمه (١) ملاك الشئ بالفتح ويكسر قوامه الذي يملك به. والاشراك

جمع شريك كشریف وأشراف فجعلهم شركاءه أو جمع شرك وهو ما يصاد به فكأنهم

آلة الشيطان في الاضلال (٢) باض وفرخ كناية عن توطئه صدورهم وطول مكثه

فيها، لأن الطائر لا يبيض إلا في عشه. وفراخ الشيطان وساوسه (٣) دب ودرج الخ

أي أنه تربى في حجورهم كما يربى الأطفال في حجور والديهم حتى بلغ صوته وملك

قوته (٤) الخطل أقبح الخطأ. والزلل الغلط والخطأ (٥) الوليعة الدخيلة وما يضمّر في

حتى نوقع (١). ولا نسيل حتى نمطر.

١٠ - ومن خطبة له عليه السلام

ألا وإن الشيطان قد جمع (حزبه). واستجلب خيله ورجله. وإن معي لبصيرتي ما لبست علي نفسي ولا لبس علي. وأيم الله لا أفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه (٢) لا يصدرون عنه ولا يعودون إليه (٣)

١١ - ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

تزول الجبال ولا تزل. عض على ناجذك (٤). أعر الله جمجمتك. تد

في الأرض قدمك (٥). أرم ببصرك أقصى القوم. وغض بصرك (٦) واعلم

القلب ويكتم، والبطانة (١) إذا أوقعنا بعدو أو وعدنا آخر بأن يصيبه ما أصاب سابقه، وإذا أمطرنا أسلنا، أما أولئك الذين يقولون نفعل ونفعل وما هم بفاعلين فهم بمنزلة من يسيل قبل المطر وهو محال غير موجود فهم كالأعدام فيما به يوعدون (٢) أفرطه ملأه حتى فاض. والماتح من متح الماء نزعه، أي أنا نازع مائه من البئر فمالئ به الحوض وهو حوض البلاء والفناء، أو أنا الذي أسقيهم منه (٣) أي أنهم سيردون الحرب فيموتون عندها ولا يصدرون عنها ومن نجا منهم فلن يعود إليها (٤) النواجذ أفسى الأضراس أو كلها أو الأنياب والناجذ واحدتها. قيل إذا عض الرجل على أسنانه اشتدت أعصاب رأسه وعظامه ولهذا يوصى به عند الشدة ليقوي، والصحيح أن ذلك كناية عن الحمية فإن من عادة الإنسان إذا حمي واشتد غيظه على عدوه عض على أسنانه. وأعر أمر من أعار، أي ابذل جمجمتك لله تعالى كما يبذل المعير ماله للمستعير (٥) أي ثبتها من وتد يتد (٦) ارم ببصرك الخ أي أحط بجميع حركاتهم وغض

أن النصر من عند الله سبحانه

١٢ - ومن خطبة له عليه السلام

لما أظفره الله بأصحاب الجمل وقد قال له بعض أصحابه وددت أن أحي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك. فقال له عليه السلام أهوى أخيك معنا؟ (١) فقال نعم، قال فقد شهدنا. ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان (٢) ويقوى بهم الإيمان.

١٣ - ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة كنتم جند المرأة. وأتباع البهيمة (٣). رغا فأجبتم. وعقر

النظر عما يخيفك منهم أي لا يهولنك منهم هائل (١) هوى أخيك أي ميله ومحبه (٢) يعرف بهم أي سيجود بهم الزمان كما يجود الأنف بالرعاف يأتي بهم على غير انتظار (٣) يريد الجمل، ومجمل القصة أن طلحة والزبير بعد ما بايعا أمير المؤمنين فارقاه في المدينة وأتيا مكة مغاضبين، فالتقيا بعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فسألتهما الأخبار فقالا

إنا تحملنا هربا من غوغاء العرب بالمدينة وفارقنا قومنا حيارى لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمتنعون أنفسهم، فقالت ننهض إلى هذه الغوغاء أو نأتي الشام. فقال أحد الحاضرين لا حاجة لكم في الشام قد كفاكم أمرها معاوية فلنأت البصرة فإن لأهلها هوى مع طلحة، فعزموا على المسير وجهزهم يعلى بن منبه وكان واليا لعثمان على اليمن وعزله علي كرم الله وجهه وأعطى للسيدة عائشة جملا اسمه عسكر ونادى مناديا

في الناس بطلب ثأر عثمان فاجتمع نحو ثلاثة آلاف فسارت فيهم إلى البصرة وبلغ

فهربتم. أخلاقكم دقاق (١) وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق،
وماؤكم زعاق (٢). والمقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص
عنكم متدارك برحمة من ربه. كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة (٣)
قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها.
(وفي رواية) وأيم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأني أنظر إلى مسجدها
كجؤجؤ سفينة. أو نعامة جائمة (٤). (وفي رواية) كجؤجؤ طير في
لجة بحر. (وفي رواية) أخرى بلادكم أنتن بلاد الله تربة، أقربها
من الماء وأبعدها من السماء. وبها تسعة أعشار الشر. المحتبس فيها
بذنبه والخارج بعفو الله. كأني أنظر إلى قريتك هذه قد طبقتها
الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر

الخبر عليا فأوسع لهم النصيحة وحذرهم الفتنة فلم ينجح النصح. فتجهز لهم وأدركهم
بالبصرة وبعد محاولات كثيرة منه يبغي بها حقن الدماء انتشبت الحرب بين الفريقين
واشتد القتال، وكان الجمل يعسوب البصريين قتل دونه خلق كثير من الفئتين
وأخذ خطامه سبعون قرشيا ما نجا منهم أحد وانتهت الموقعة بنصر علي كرم الله
وجهه بعد عقر الجمل. وفيها قتل طلحة والزبير وقتل سبعة عشر ألفا من أصحاب الجمل
وكانوا ثلاثين ألفا. وقتل من أصحاب علي ألف وسبعون (١) دقة الأخلاق دناءتها
(٢) مالح (٣) الجؤجؤ الصدر (٤) من جثم إذا وقع على صدره أو تلبد بالأرض. وقد
وقع ما أوعده به أمير المؤمنين فقد غرقت البصرة جاءها الماء من بحر فارس من جهة
الموضع المعروف بجزيرة الفرس ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام ولم يبق ظاهرا

١٤ - ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك
أرضكم قريبة من الماء. بعيدة من السماء. خفت عقولكم
وسفهت حلومكم. فأنتم غرض لنابل (١)، وأكلة لآكل، وفريسة
لصائل.

١٥ - ومن كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين
من قطائع عثمان رضي الله عنه (٢)
والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإمام لرددته فإن
في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق (٣).
١٦ - ومن كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينة
ذمتي بما أقول رهينة (٤). وأنا به زعيم إن من صرحت له العبر

منها إلا مسجدها الجامع، ومعنى قوله أبعدا من السماء أنها في أرض منخفضة
والمنخفض أبعد عن السماء من المرتفع بمقدار انخفاضه وارتفاع المرتفع (١) الغرض
ما ينصب ليرمى بالسهم. والنابل الضارب بالنبل (٢) قطائع عثمان ما منحه للناس من
الأراضي (٣) أي أن من عجز عن تدبير أمره بالعدل فهو عن التدبير بالجور أشد
عجزا، فإن الجور مظنة أن يقاوم ويصد عنه، وهذه الخطبة رواها الكلبي مرفوعة
إلى أبي صالح عن ابن عباس إن عليا خطب ثاني يوم من بيعته في المدينة فقال: ألا
أن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل ما أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإن
الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج الخ (٤) الذمة العهد تقول هذا الحق في

عما بين يديه من المثالات (١) حجزته التقوى عن تقحم الشبهات. ألا وإن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله (٢) والذي بعثه بالحق لتبليبن بلبلة. ولتغربلن غربلة. ولتساطن سوط القدر (٣) حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم. وليسبقن سابقون كانوا قصرُوا. وليقصرن سابقون كانوا سبقوا (٤).

ذمتي كما تقول في عنقي وذلك كناية عن الضمان والالتزام. والزعيم الكفيل. يريد أنه ضامن لصدق ما يقول كفيل بأنه الحق الذي لا يدافع (١) العبر بكسر ففتح جمع عبرة بمعنى الموعظة، والمثالات العقوبات، أي من كشف له النظر في أحوال من سبق بين يديه وحقق له الاعتبار والاتعاظ أن العقوبات التي نزلت بالأمم والأجيال والأفراد من ضعف وذل وفاقة وسوء حال إنما كانت بما كسبوا من ظلم وعدوان وما لبسوا من جهل وفساد أحوال ملكته التقوى وهي التحفظ من الوقوع فيما جلب تلك العقوبات لأهلها فمنعته عن تقحم الشبهات والتردي فيها، فإن الشبهة مظنة الخطيئة والخطيئة مجلبة. العقوبة (٢) إن بلية العرب التي كانت محيطة بهم يوم بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم هي

بلية الفرقة ومحنة الشتات حيث كانوا متباغضين متنافرين يدعو كل إلى عصبيته وينادي نداء عشيرته يضرب بعضهم رقاب بعض، فتلك الحالة التي هي مهلكة الأمم قد صاروا إليها بعد مقتل عثمان، بعثت العداوات التي كان قد قتلها الدين، ونفخت روح الشحناء بين الأمويين والهاشميين واتباع كل ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣) لتبليبن أي لتخلطن. من نحو تبليبت الألسن اختلطت، ولتغربلن أي لتقطعن من غربلت اللحم أي قطعته ولتساطن من السوط وهو أن تجعل شيئين في الإناء وتضربهما بيدك حتى يختلطا. وقوله سوط القدر أي كما تختلط الابزار ونحوها في القدر عند غليانه فينقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها، وكل ذلك حكاية عما يؤولون إليه من الاختلاف وتقطع الأرحام وفساد النظام (٤) ولقد سبق معاوية إلى مقام الخلافة وقد كان في قصوره عنه بحيث لا يظن وصوله إليه، وقصر آل بيت النبوة عن بلوغه

والله ما كنتم وشمة (١) ولا كذبت كذبة. ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم. ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار (٢). ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمته فأوردتهم الجنة. حق وباطل. ولكل أهل (٣) فلئن أمر الباطل لقديما فعل. ولئن قل الحق فلربما ولعل. ولقلما أدبر شئ فأقبل (٤). أقول إن في هذا الكلام الأدنى من مواقع

وقد كانوا أسبق الناس إليه (١) الوشمة الكلمة وقد كان رضي الله عنه لا يكتف شيئا يحوك بنفسه، كان أمارا بالمعروف نهاء عن المنكر لا يحابي ولا يداري ولا يكذب ولا يداجي، وهذا القسم توطئة لقوله ولقد نبئت بهذا المقام أي أنه قد أخبر من قبل على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بأن سيقوم هذا المقام ويأتي عليه يوم مثل هذا اليوم (٢) الشمس بضممتين وضم فسكون جمع شمس وهي من شمس كنصر أي منع ظهره أن يركب، وفاعل الخطيئة إنما يقتربها لغاية زينت له يطلب الوصول إليها فهو شبهه براكب فرس يجريه إلى غايته، لكن الخطايا ليست إلى الغايات بمطايا فإنها اعتساف عن السبيل واختباط في السير، لهذا شبهها بالخيول الشمس التي قد خلعت لجمها لأن من لم يلجم نفسه بلجام الشريعة أفلتت منه إلى حيث ترديه وتتقحم به في النار. وتشبيهه التقوى بالمطايا الدلل ظاهر فإن التقوى تحفظ النفس من كل ما ينكبها عن صراط الشريعة فصاحبها على الجادة لا يزال عليها حتى يوافي الغاية والدلل جمع ذلول وهي المروضة الطائعة السلسلة القياد (٣) أي أن ما يمكن أن يكون عليه الإنسان ينحصر في أمرين الحق والباطل ولا يخلو العالم منهما، ولكل من الأمرين أهل، فللحق أقوام وللباطل أقوام. ولئن أمر الباطل أي كثر بكثرة أعوانه فلقد كان منه قديما لأن البصائر الزائغة عن الحقيقة أكثر من الثابتة عليها. ولئن كان الحق قليلا بقلة أنصاره فلربما غلبت قلته كثرة الباطل ولعله يقهر الباطل ويمحقه (٤) هذه الكلمة صادرة

الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان. وإن حظ العجب منه أكثر
من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا
يقوم بها لسان. ولا يطلع فجها إنسان (١). ولا يعرف ما أقول إلا
من ضرب في هذه الصناعة بحق. وجرى فيها على عرق (٢). (وما
يعقلها إلا العالمون).
ومن هذه الخطبة
شغل من الجنة والنار أمامه (٣) ساع سريع نجا (٤) وطالب بطئ

من ضجر بنفسه يستبعد بها أن تعود دولة لقوم بعد ما زالت عنهم ومن هذا المعنى
قول الشاعر.

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما * ذوي نبت جنبيه وجف المشارع
فقلت إلى أن يرجع النهر جاريا * ويوشب جنباه يموت الضفادع
(١) لا يطلع من قولهم اطلع الأرض أي بلغها، والفج الطريق الواسع بين
جبلين في قبل من أحدهما (٢) العرق الأصل أي سلك في العمل بصناعة الفصاحة
والصدور عن ملكتها على أصولها وقواعدها (٣) شغل مبني للمجهول نائب فاعله
من والجنة والنار مبتدأ خبره أمامه. والجملة صلة من أي كفى شاغلا أن تكون الجنة
والنار أمامك. ومن كانت أمامه الجنة والنار على ما وصف الله سبحانه فحري به أن تنفذ
أوقاته جميعها في الاعداد للجنة والابتعاد عما عساه يؤدي إلى النار (٤) يقسم الناس
إلى ثلاثة أقسام الأول الساعي إلى ما عند الله السريع في سعيه وهو الواقف عند حدود
الشرعية لا يشغله فرضها عن نفلها ولا شاقها عن سهلها والثاني الطالب البطئ له
قلب تعمره الخشية وله صلة إلى الطاعة لكن ربما قعد به عن السابقين ميل إلى الراحة
فيكتفى من العمل بفرضه وربما انتظر به غير وقته وينال من الرخص حظه وربما

رجا ومقصر في النار هوى. اليمين والشمال مضلة. والطريق الوسطى هي الجادة (١). عليها باقي الكتاب وآثار النبوة. ومنها منفذ السنة وإليها مصير العاقبة. هلك من ادعى وخاب من افترى. من أبدى صفحته للحق هلك (٢) وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره. لا يهلك على التقوى سنخ أصل (٣). ولا يظماً عليها زرع قوم. فاستتروا بيوتكم. وأصلحوا ذات بينكم. والتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد إلا ربه ولا يلم لائم إلا نفسه

كانت له هفوات ولشهوته نزوات على أنه رجاع إلى ربه كثير الندم على ذنبه فذلك الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يرجو أن يغفر له والقسم الثالث المقصر وهو الذي حفظ الرسم ولبس الاسم وقال بلسانه أنه مؤمن وربما شارك الناس فيما يأتون من أعمال ظاهرة كصوم وصلاة وما شابههما وظن أن ذلك كل ما يطلب منه ثم لا تورده شهوته منهلا إلا عب منه ولا يميل به هواه إلى أمر إلا انتهى إليه فذلك عبد الهوى وجدير به أن يكون في النار هوى (١) اليمين والشمال مثال لما زاغ عن جادة الشريعة. والطريق الوسطى مثال للشريعة القويمة. ثم أخذ يبين أن الجادة والطريق الوسطى وهي سبيل النجاة جاء الكتاب هاديا إليها والسنة لا تنفذ إلا منها فمن خالف الكتاب ونبذ السنة ثم ادعى أنه على الجادة فقد كذب ولهذا يقول خاب من ادعى أي من ادعى دعوة وكذب فيها ولم يكن عنده مما يدعيه إلا مجرد الدعوى فقد هلك لأنه مائل عن الجادة (٢) الرواية الصحيحة هكذا من أبدى صفحته للحق هلك أي من كاشف الحق مخاصما له مصارحا له بالعداوة هلك ويروى من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وعلى هذه الرواية يكون المعنى من ظاهر الحق ونصره غلبته الجهلة بكثرتهم وهم أعوان الباطل فهلك (٣) السنخ المثبت يقال ثبتت السن في سنخها أي منبتها، والأصل لكل شئ قاعدته وما قام عليه بقية فأصل الجبل مثل أسفله الذي يقوم عليه

١٧ - ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى

للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى نفسه (١)

فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة. ودعاء ضلالة. فهو

فتنة لمن افتتن به. ضال عن هدي من كان قبله. مضل لمن اقتدى

به في حياته وبعد وفاته. حمال خطايا غيره. رهن بخطيئته (٢) ورجل

قمش جهلا. (٣)

أعلاه، وأصل النبات جذره الذاهب في منبته، وهلاك السنخ فساده حتى لا يثبت

فيه أصول ما اتصل به ولا ينمو غرس فيه، وكل عمل ذهب أصوله في أسناخ

التقوى كان جديرا بأن تثبت أصوله وتنمو فروعه ويزكو بزكاء منبته ومغرس أصله

وهو التقوى وكما أن التقوى سنخ لأصول الأعمال كذلك منها تستمد الأعمال غذاءها

وتستقي ماءها من الإخلاص وجدير بزرع يسقى بماء التقوى أن لا يظماً وعليها في

الموضعين في معنى معها، وقد يقال في قوله سنخ أصل أنه هو على نحو قول القائل

إذا خاص عينيه كرى النوم، والكرى هو النوم، والسنخ هو الأصل، والأليق

بكلام الإمام ما قدمناه (١) وكله الله إلى نفسه تركه ونفسه وهو كناية عن ذهابه

خلف هواه فيما يعتقد لا يرجع إلى حقيقة من الدين ولا يهتدي بدليل من الكتاب،

فهذا جائر عن قصد السبيل وعادل عن جادته، والمشغوف بشئ المولع به وكلام البدعة

ما اخترعته الأهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين (٢) هذا الضال المولع بتنميق

الكلام لتزيين البدعة الداعي إلى الضلالة قد غرر بنفسه وأوردها هلكتها فهو رهن

بخطيئته لا مخرج له منها وهو مع ذلك حامل لخطايا الذين أضلهم وأفسد عقائدهم

بدعائه كما قال تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (٣) قمش جهلا جمعه والجهل

موضع في جهال الأمة (١) عاد في أغباش الفتنة. عم بما في عقد الهدنة (٢) قد سماه أشباه الناس عالما وليس به. بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر (٣) حتى إذا ارتوى من آجن. واكتنز من غير طائر (٤). جلس بين الناس قاضيا. ضامنا لتخليص ما التبس على

هنا بمعنى المجهول وكما يسمى المعلوم علما بل قال قوم إن العلم هو صورة الشئ في العقل وهو المعلوم حقيقة كذلك يسمى المجهول جهلا بل الصورة التي اعتبرت مثالا لشئ وليست بمنطبقة عليه هي الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم بذلك التفسير السابق فالجهل المجموع هو المسائل والقضايا التي يظنها جامعها تحكي واقعا ولا واقع لها (١) موضع

في جهال الأمة مسرع فيهم بالغش والتغريز وضع البعير أسرع وأوضعه راكبه فهو موضع به أي مسرع به، وقوله عاد في أغباش الفتنة الأغباش الظلمات واحدها غباش بالتحريك وأغباش الليل بقايا ظلمته. وعاد بمعنى مسرع في مشيته أي أنه ينتهز افتتاح الناس بجهلهم وعماهم في فتنتهم فيعدو إلى غايته من التصدر فيهم والسيادة عليهم بما جمع مما يظنه الجهلة علما وليس به. ويروى غار في أغباش الفتنة من غره يغره إذا غشه وهو ظاهر (٢) عم وصف من العمى أي جاهل بما أودعه الله في السكون والاطمئنان من المصالح، وقد يراد بالهدنة إمهال الله له في العقوبة وإملاؤه في أخذه ولو عقل ما هيا الله له من العقاب لأخذ من العلم بحقائقه وأوغل في النظر لفهم دقائقه ونصح لله ولرسوله وللمؤمنين (٣) بكر بادر إلى الجمع كالجاذ في عمله يبكر إليه من أول النهار فاستكثر أي احتاز كثيرا من جمع بالتنوين أي مجموع قليله خير من كثيره إن جعلت ما موصولة فإن جعلتها مصدرية كان المعنى قلته خير من كثرته، ويروى جمع بغير تنوين ولا بد من حذف على تلك الرواية أي من جمع شئ قلته خير من كثرته (٤) الماء الآجن الفاسد المتغير الطعم واللون شبه به تلك المجهولات التي ظنها معلومات وهي تشبه العلم في أنها صور قائمة بالذهن فكأنها من نوعه كما أن الآجن من نوع الماء لكن الماء الصافي ينقع الغلة ويطفئ من الأوار والآجن يجلب العلة ويفضي

غيره (١). فإن نزلت به إحدى المبهمات هياً لها حشوا رثا من رأيه
ثم قطع به (٢). فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت (٣).
لا يدري أصاب أم أخطأ فإن أصاب خاف أن يكون أخطأ. وإن
أخطأ رجا أن يكون قد أصاب. جاهل خباط جهالات. عاش ركاب
عشوات (٤) لم يعض على العلم بضرس قاطع (٥) يذري الروايات إذراء
الريح الهشيم. لا ملئ والله بإصدار ما ورد عليه. ولا هو أهل لما

يشار به إلى البوار. واكتنز أي عندما جمعه كنزا وهو غير طائل أي دون خسيس (١)
التخليص التبيين، والتبس على غيره اشتبه عليه (٢) المبهمات المشكلات لأنها
أبهمت عن البيان كالصامت الذي لم يجعل على ما في نفسه دليلاً ومنه قيل لما لا ينطق
من الحيوان بهيمة، والحشو الزائد لا فائدة فيه، والرث الخلق البالي ضد الجديد أي
أنه يلاقي المبهمات برأي ضعيف لا يصيب من حقيقتها شيئاً بل هو حشو لا فائدة له في
تبينها ثم يزعم بذلك أنه بينها (٣) الجاهل بشئ ليس على بينة منه فإذا أثبتته عرضت
له الشبهة في نفيه وإذا نفاه عرضت له الشبهة في إثباته فهو في ضعف حكمه في مثل
نسج العنكبوت ضعفاً ولا بصيرة له في وجوه الخطأ والإصابة فإذا حكم لم يقطع بأنه
مصيب أو مخطئ وقد جاء الإمام في تمثيل حاله بأبلغ ما يمكن من التعبير عنه (٤) خباط
صيغة مبالغة من خبط الليل إذا سار فيه على غير هدى، ومنه خبط عشواء، وشبه
الجهالات بالظلمات التي يخبط فيها السائر وأشار إلى التشبيه بالخبط. والعاشي الأعمى
أو ضعيف البصر أو الخابط في الظلام فيكون كالتأكيد لما قبله، والعشوات جمع عشوة
مثلثة الأول وهي ركوب الأمر على غير هدى (٥) من عادة عاجم العود أي مختبره
ليعلم صلابته من لينه أن يعضه فلماذا ضرب المثل في الخبرة بالعض بضرس قاطع أي
أنه لم يأخذ العلم اختباراً بل تناوله كما سول الوهم وصور الخيال ولم يعرض على محض
الخبرة ليتبين أحق هو أم باطل (٦) الهشيم ما يبس من النبت وتفتت. وأذرتة الريح

فوض إليه (١). لا يحسب العلم في شيء مما أنكره * ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهبا لغيره. وإن أظلم أمر اكتتم به (٢) لما يعلم من جهل نفسه. تصرخ من جور قضائه الدماء. وتعج منه المواريث (٣) إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالا (٤) ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته (٥). ولا سلعة أنفق بيعا ولا أغلى ثمنا من الكتاب إذا حرف عن مواضعه. ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر.

١٨ - ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها

إذراء أطارته ففرقته ويروى تذرو الروايات كما تذرو الريح الهشيم وهي أفصح قال الله تعالى (فأصبح هشيمًا تذروه الرياح) وكما أن الريح في حمل الهشيم وتبديده لا تبالي بتمزيقه واختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل في الروايات ما تفعل الريح بالهشيم (١) الملى بالقضاء من يحسنه ويجيد القيام عليه وهذا لا ملئ بإصدار القضايا التي ترد عليه وإرجاعها عنه مفصولا فيها النزاع مقطوعا فيها الحكم أي غير قيم بذلك ولا غناء فيه لهذا الأمر الذي تصدر له وروى ابن قتيبة بعد قوله لا ملئ والله بإصدار ما ورد عليه (ولا أهل لما قرظ به) أي مدح به بدل ولا هو أهل لما فوض إليه (٢) اكتتم به أي كتمه وستره (٣) العج رفع الصوت وصراخ الدماء وعج المواريث تمثيل لحدة الظلم وشدة الجور (٤) إلى الله متعلق بأشكو. وفي رواية إسقاط لفظ أشكو فيكون إلى الله متعلقا بتعج، وقوله من معشر يشير إلى أولئك الذين قمشوا جهلا (٥) تلي حق تلاوته أخذ على وجهه وما يدل عليه جملة وفهم كما كان النبي

برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثم
يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم (١) فيصوب آراءهم
جميعا وإلهم واحد ونبههم واحد وكتابهم واحد. أفأمرهم الله تعالى
بالاختلاف فأطاعوه. أم نهاهم عنه فعصوه. أم أنزل الله دينا ناقصا
فاستعان بهم على إتمامه. أم كانوا شركاء له. فلهم أن يقولوا وعليه
أن يرضى أم أنزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه
وآله عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول (ما فرطنا في الكتاب من
شئ) فيه تبيان كل شئ وذكر أن الكتاب يصدق بعضه
بعضا وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه (ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا). وإن القرآن ظاهره أنيق (٢). وباطنه
عميق. لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات
إلا به

وأصحابه صلى الله عليه وسلم يفهمونه، وأبور من بارت السلعة كسدت، وأنفق من النفاق
بالفتح
وهو الرواج وما أشبه حال هذا المعشر بالمعشر من أهل هذا الزمان (١) الإمام الذي
استقضاهم الخليفة الذي ولاهم القضاء (٢) أنيق حسن معجب، وأنقني الشئ
أعجبني

١٩ - ومن كلام له عليه السلام
قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض
كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك
لا لك (١) فخفض عليه السلام إليه بصره فقال
ما يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين. حائك
ابن حائك (٢) منافق بن كافر (٣) والله لقد أسرك الكفر مرة والاسلام
أخرى (٤). فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وإن امرأ دل

(١) كان أمير المؤمنين يتكلم في أمر الحكمين فقام رجل من أصحابه وقال
نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد فصفق بإحدى يديه على
الأخرى وقال هذا جزاء من ترك العقيدة فقال الأشعث ما قال وأمير المؤمنين يريد
هذا جزاؤكم فيما تركتم الحزم وشغبتهم وألجأتموني لقبول الحكومة (٢) قيل إن
الحائكين أنقص الناس عقلا وأهل اليمن يعيرون بالحياكة، والأشعث يماني من
كندة قال خالد بن صفوان في ذم اليمانيين. ليس فيهم إلا حائك برد أو دابغ جلد
أو سائس قرد ملكتهم امرأة وأغرقتهم فأرة ودل عليهم هدهد (٣) كان الأشعث
في أصحاب علي كعبد الله بن أبي ابن سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل منهما

رأس النفاق في زمنه (٤) أسر مرتين مرة وهو كافر في بعض حروب الجاهلية وذلك
أن قبيلة مراد قتلت قيسا الأشج أبا الأشعث فخرج الأشعث طالبا بثأر أبيه فخرجت
كندة متساندين إلى ثلاثة ألوية على أحدها كبش بن هانئ وعلى أحدها القشعم
ابن الأرقم وعلى أحدها الأشعث فأخطأوا مرادا ووقعوا على بني الحارث بن كعب
فقتل كبش والقشعم وأسروا الأشعث وفدى بثلاثة آلاف بغير لم يفد بها عربي قبله

على قومه السيف. وساق إليهم الحتف. لحري أن يمقته الأقرب.
ولا يأمنه الأبعد (١). *

٢٠ - ومن كلام له عليه السلام
فإنكم لو عايتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم
ووهلتم (٢) وسمعتم وأطعتم. ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا.
وقريب ما يطرح الحجاب (٣) ولقد بصرتهم إن أبصرتهم وأسمعتهم إن

ولا بعده، فمعنى قول أمير المؤمنين فما فداك لم يمنعك من الأسر وأما أسر الاسلام له
فذلك أن بني وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وقاتلهم زياد بن لبيد
البياضي

الأنصاري لجأوا إلى الأشعث مستنصرين به فقال لا أنصركم حتى تملكوني فتجوه
كما يتوج الملك من قحطان فخرج معهم مرتدا يقاتل المسلمين وأمد أبو بكر زيادا
بالمهاجرين أبي أمية فالتقوا بالأشعث فتحصن منهم فحاصروه أياما ثم نزل إليهم على
أن يؤمنوه وعشرة من أفار به حتى يأتي أبا بكر فيرى فيه رأيه وفتح لهم الحصن فقتلوا
كل من فيه من قوم الأشعث إلا العشرة الذين عزلهم وكان المقتولون ثمانمائة ثم حملوه
أسيرا مغلولاً إلى أبي بكر فعفا عنه وعمن كان معه وزوجه أخته أم فروة بنت
أبي قحافة (١) دلالة السيف على قومه وسوق الحتف إليهم تسليمهم لزياد بن لبيد
وفتح الحصن عليهم حتى قتلهم كما تقدم وإن كان الذي ينقل عن الشريف الرضي أن
ذلك إشارة إلى وقعة جرت بين الأشعث وخالد بن الوليد في حرب المرتدين باليمامة وأن
الأشعث دل خالدا على مكان من قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد فإن ما نقله الشريف
لا يتم إلا إذا قلنا أن بعض القبائل من كندة كانت انتقلت من اليمن إلى اليمامة
وشاركت أهل الردة في حروبهم وفعل بهم الأشعث ما فعل وعلى كل حال فقد كان
الأشعث ملوما على السنة المسلمين والكافرين وكان نساء قومه يسمينه عرف النار
وهو اسم للغادر عندهم (٢) الوهل الخوف وهل يوهل (٣) ما مصدرية أي قريب

سمعتهم وهديتهم إن اهتديتم. بحق أقول لكم لقد جاهرتمكم العبر (١)
وزجرتكم بما فيه مزدجر. وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا
البشر (٢)

٢١ - ومن خطبة له عليه السلام
فإن الغاية أمامكم (٣) وإن وراءكم الساعة تحدوكم. تخففوا
تلحقوا (٤). فإنما ينتظر بأولكم آخركم (٥) (أقول إن هذا الكلام
لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه

طرح الحجاب وذلك عند نهاية الأجل ونزول المرء في أول منازل الآخرة. (١) جاهرتمكم
العبر انتصبت لتنبهكم جهرا وصرحت لكم بعواقب أموركم، والعبر جمع عبرة والعبرة
الموعظة لكنه أطلق اللفظ وأراد ما به الاعتبار مجازا فإن العبر التي جاهرتمكم إما قوارع
الوعيد المنبئة عليهم من السنة الرسل الإلهيين وخلفائهم وإما ما يشهدونه من تصارييف
القدرة الربانية ومظاهرة العزة الإلهية (٢) رسل السماء الملائكة أي إن قلتم لم يأتنا
عن الله شيء فقد أقيمت عليكم الحجة بتبليغ رسول الله وإرشاد خليفته (٣) الغاية
الثواب أو العقاب والنعيم والشقاء فعليكم أن تعدوا للغاية ما يصل بكم إليها ولا تستبطئوها
فإن الساعة التي يصيبنها فيها وهي يوم القيامة آتية إليكم فكأنها في تقربها نحوكم
وتقليل المسافة بينها وبينكم بمنزلة سائق يسوقكم إلى ما تسيرون إليه (٤) سبق
سابقون بأعمالهم إلى الحسنى فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتخفف من أثقال
الشهوات وأوزار العناء في تحصيل اللذات ويحفز بنفسه عن هذه الفانيات فيلحق
بالذين فازوا بعقبى الدار. وأصله الرجل يسعى وهو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر أن
يلحق الذين سبقوه (٥) أي أن الساعة لا ريب فيها وإنما ينتظر بالأول مدة لا يبعث

وآله بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا. فأما قوله عليه السلام تخففوا تلحقوا فما سمع كلام أقل منه مسموعا ولا أكثر محصولا وما أبعد غورها من كلمة. وأنقع نطفتها من حكمة (١). وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها. ٢٢ - ومن خطبة له عليه

ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه (٢) واستجلب جلبه. ليعود الجور إلى أوطانه. ويرجع الباطل إلى نصابه (٣). والله ما أنكروا علي منكرا، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا (٤) وإنهم ليطلبون حقا هم تركوه. ودما هم سفكوه. فلئن كنت شريكهم فيه فإن لهم لنصيبهم منه ولئن كانوا ولوه دوني فما التبعة إلا عندهم. وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم يرتضعون أما قد فطمت (٥). ويحيون

فيها حتى يرد الآخرون وينقضي دور الإنسان من هذه الدنيا ولا يبقى على وجه الأرض أحد فتكون الساعة بعد هذا وذلك يوم يبعثون (١) من قولهم ماء نافع ونقيع أي ناجع أي إطفاء العطش، والنطفة الماء الصافي (٢) حثهم وحضهم والجلب بالتحريك ما يجلب (٣) النصاب الأصل أو المنبت (٤) النصف بالكسر العدل أو المنصف أي لم يحكموا العدل بيني وبينهم أو لم يحكموا عادلا (٥) إذا فطمت الأم ولدها فقد انقضى إرضاعها وذهب لبنها يمثل به طلب الأمر بعد فواته

بدعة قد أميتت. يا خيبة الداعي. من دعا وإلام أجيب (١) وإني لراض
بحجة الله عليهم. وعلمه فيهم. فإن أبوا أعطيتهم حد السيف.
وكفى به شافيا من الباطل وناصر للحق. ومن العجب بعثهم إلي أن
أبرز للطعان. وأن أصبر للجلاد هببتهم الهبول (٢) لقد كنت وما
أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب. وإني لعلّى يقين من ربي. وغير
شبهة من ديني.

٢٣ - ومن خطبة له عليه السلام
أما بعد فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطرات المطر
إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان فإذا رأى أحدكم لأخيه
غفيرة في أهل أو مال أو نفس (٣) فلا تكونن له فتنة؟ فإن المرء المسلم
البرئ من الخيانة ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت وتغرى بها
لئام الناس كان كالفالج الياسر (٤) الذي ينتظر أول فورة من قداحه

(١) من استفهامية وما المحذوفة الألف لدخول إلى عليها كذلك. وهذا استفهام عن
الداعي
ودعوته تحقيرا لهما. والكلام في أصحاب الجمل والداعي هو أحد الثلاثة الذين تقدم
ذكرهم

في قصة الجمل عند الكلام في ذم البصرة (٢) هببتهم ثكلتهم والهبول بالفتح من النساء
التي لا يبقى لها ولد وهو دعاء عليهم بالموت لعدم معرفتهم بأقدار أنفسهم فالموت خير
لهم من حياة جاهلية (٣) غفيرة زيادة وكثرة (٤) الفالج الظافر فلج يفلج كنصر
ينصر ظفر وفاز ومنه المثل من يأتي الحكم وحده يفلج. والياسر الذي يلعب بقداح

توجب له المغنم. ويرفع بها عنه المغرم وكذلك المرء المسلم
البرئ من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسنيين. إما داعي الله فما
عند الله خير له. وإما رزق الله فإذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه
وحسبه. إن المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة
وقد يجمعهما الله لأقوام فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه.
واخشوه خشية ليست بتعذير (١). واعملوا في غير رياء ولا سمعة فإنه
من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له (٢). نسأل الله منازل
الشهداء. ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء.

الميسر أي المقامر. وفي الكلام تقديم وتأخير ونسقه كالياسر الفالج كقوله تعالى
(غرايب سود) وحسنه أن اللفظتين صفتان وإن كانت إحداهما إنما تأتي بعد
الأخرى إذا صاحبتهما يريد أن المسلم إذا لم يأت فعلاً دينياً يخجل لظهوره وذكره
ويبعث لئام الناس على التكلم به فقد فاز بشرف الدنيا وسعادة الآخرة فهو شبيه
بالمقامر الفائز في لعبه لا ينتظر ألا فوزاً أي أن المسلم إذا برئ من الدناءات لا ينتظر
إلا إحدى الحسنين إما نعيم الآخرة أو نعيم الدارين فجدير به أن لا يأسف على فوت
حظ من الدنيا فإنه إن فاته ذلك لم يفته نصيبه من الآخرة وهو يعلم أن الأرزاق بتقدير
رزاقها فهو أرفع من أن يحسد أحداً على رزق ساقه الله عليه وقوله فاحذروا
ما حذركم الله من نفسه يريد احذروا الحسد فإن مبعثه انتقاص صنع الله تعالى
واستهجان بعض أفعاله وقد حذرنا الله من الجرأة على عظمتها فقال وإياي فارهبون
وإياي فاتقون وما يفوق الكثرة من الآيات الدالة على ذلك
(١) مصدر عذر تعذيراً لم

يثبت له عذر أي خشية لا يكون فيها تقصير يتعذر معه الاعتذار (٢) العامل لغير الله
لا يرجو ثواب عمله من الله وإنما يطلبه ممن عمل له فكأن الله قد تركه إلى من عمل له

أيها الناس إنه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته
ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم وهم أعظم الناس حيطة من ورائه (١)
والمهم لشعته وأعطفهم عليه عند نازلة إذا نزلت به. ولسان الصدق
يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره (٢) (منها) ألا لا
يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدها بالذي لا
يزيده إن أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه (٣). ومن يقبض يده عن
عشيرته فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه أيد
كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة (أقول الغفيرة
ههنا الزيادة والكثرة من قولهم للجمع الكثير الجم الغفير والجماء
الغفير. ويروى عفوة من أهل أو مال. والعفوة الخيار من الشيء
يقال أكلت عفوة الطعام. أي خياره. وما أحسن المعنى الذي أراده
عليه السلام بقوله. ومن يقبض يده عن عشيرته إلى تمام الكلام
فإن الممسك خيره عن عشيرته إنما يمسك نفع يد واحدة فإذا احتاج

وجعل أمره إليه (١) حيطة كبينة أي رعاية وكلاءة ويروى حيطة بكسر الحاء وسكون
الياء مخففة مصدر حاطه يحوطه أي صانه وتعطف عليه وتحنن. والشعث بالتحريك التفرق
والانتشار (٢) لسان الصدق حسن الذكر بالحق وهو في القرابة أولى وأحق (٣) الخصاصة
الفقر والحاجة الشديدة ينهى أمير المؤمنين عن إهمال القريب إذا كان فقيرا ويحث

إلى نصرتهم واضطر إلى مرافدتهم (١) قعدوا عن نصره وتناقلوا عن صوته فمنع ترافد الأيدي الكثيرة وتناهض الأقدام الجمّة.

٢٤ - ومن خطبة له عليه السلام

ولعمري ما علي من قتال من خالف الحق وخابط الغي من إدهان ولا إيهان (٢) فاتقوا الله عباد الله وفروا إلى الله من الله. وامضوا في الذي نهجه لكم وقوموا بما عصبه بكم (٣). فعلي ضامن لفلجكم آجلا وإن لم تمنحوه عاجلا (٤)

٢٥ - ومن خطبة له عليه السلام

وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران لما غلب عليها بسر بن أبي أرطاة (٥) فقام عليه السلام إلى المنبر

على سد حاجته بالمال وأنواع المعاونة فإن ما يبذل في سد حاجة القريب لو لم يصرفه في هذا السبيل وأمسكه لنفسه لم يزد في غناه أو في جاهه شيئا ولو بذله لم ينقصه من ذلك كذلك ومعنى أهلكه بذله (١) المرافدة المعاونة (٢) الادهان المنافقة والمصانعة ولا تخلو من مخالفة الظاهر للباطن والغش. والإيهان الدخول في الوهن وهو من الليل نحو نصفه وهو هنا عبارة عن التستر والمخاتلة وقد يكون مصدر أوهنته أضعفته أي لا يعرض علي فيه ما يضعفني. وخابط الغي والغني يخبطه وهو أشد اضطرابا ممن يخبط في الغي (٣) عصبه بكم

ربطه بكم أي كلفكم به وألزمكم بأدائه ونهجه بكم أوضحه وبينه (٤) لفلجكم أي لظفركم وفوزكم (٥) يقال بسر بن أبي أرطاة وبسر بن أرطاة وهو عامري من

ضجرا بتناقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي فقال
ما هي إلا الكوفة أقبضها وأبسطها (١). إن لم تكوني إلا أنت
تهب أعاصيرك (٢). فقبحك الله (وتمثل بقول الشاعر)
لعمرك أهلك الخير يا عمرو إنني * على وضر من ذا الإناء قليل (٣)
(ثم قال عليه السلام) أنبت بسرا قد اطلع اليمن (٤) وإني والله

بني عامر بن لؤي بن غالب سيره معاوية إلى الحجاز بعسكر كثيف فأراق دماء غزيرة
واستكره الناس على البيعة لمعاوية وفر من بين يديه وإلى المدينة أبو أيوب الأنصاري
ثم توجه واليا على اليمن فتغلب عليها وانتزعها من عبيد الله بن العباس وفر عبيد الله
ناجيا من شره فأتى بسر بيته فوجد له ولدين صبيين فذبحهما وباء باثمه قبح الله
القسوة وما تفعل ويروى أنهما ذبحا في بني كنانة أخوالهما وكان أبوهما تركهما هناك
وفي ذلك تقول زوجة عبيد الله.

يا من أحس بابني اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بابني اللذين هما * قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
من ذل والهة حيرى مدلهة * على صبيين ذلا إذ غدا السلف
خبرت بسرا وما صدقت ما زعموا * من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابني مرهفة * مشحودة وكذاك الإثم يقترف
ويروى هذه الأبيات بروايات شتى فيها تغيير وزيادة ونقص (١) أقبضها وأبسطها
أي أتصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب في ثوبه يقبضه أو يبسطه (٢) جمع أعصار
ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود أو كل ريح فيها العصار وهو الغبار
الكثير إن لم يكن لي ملك الكوفة على ما فيها من الفتن والآراء المختلفة فأبعدها الله
وشبه الاختلاف والشقاق بالأعاصير لإثارتها التراب وإفسادها الأرض (٣) الوضر غسالة
السقاء والقصعة وبقية الدسم في الإناء (٤) اطلع اليمن بلغها وتمكن منها وغشيها
بجيشه

لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم
وتفرقكم عن حقكم (١). وبمعصيتكم إمامكم في الحق وطاعتهم
إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم.
وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم. فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت
أن يذهب بعلاقته (٢). اللهم إني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني
فأبدلني بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا مني. اللهم مث قلوبهم كما
يماث الملح في الماء (٣). أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من
بني فراس بن غنم (٤)
هنالك لو دعوت أتاك منهم* فوارس مثل أرمية الحميم

(١) سيدالون منكم ستكون له الدولة بذكركم بذلك السبب القوي وهو اجتماع
كلمتهم وطاعتهم لصاحبهم وأدائهم الأمانة واصلاحهم بلادهم، وهو يشير إلى أن هذا
السبب متى وجد كان النصر والقوة معه ومتى فقد ذهبت القوة والعزة بذهابه، فالحق
ضعيف بتفرق أنصاره والباطل قوي بتضافر أعوانه (٢) القعب بالضم القدح الضخم
(٣) مث قلوبهم أذبحها مائه يميته دافه أي أذابه (٤) بنو فراس بن غنم بن خزيمة
ابن مدركة بن الياس بن مضر أو هم بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة
حي مشهور بالشجاعة ومنهم علقمة بن فراس وهو جذل الطعان ومنهم ربيعة
ابن مكدم حامي الظعن حيا وميتا ولم يحرم الحريم أحد وهو ميت غيره: عرض له فرسان
من بني سليم ومعه طعائن من أهله يحميهم وحده فرماه أحد الفرسان بسهم أصاب
قلبه فنضب رمحه في الأرض واعتمد عليه وأشار إليهن بالمسير فسرن حتى بلغن بيوت
الحي وبنو سليم قيام ينظرون إليه لا يتقدم أحد منهم نحوه خوفا منه حتى رموا

* في نسخة: لو دعوت أتاك. بخطاب المؤنث

ثم نزل عليه السلام من المنبر. أقول الأرمية جمع رمي وهو السحاب. والحميم هاهنا وقت الصيف. وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا وأسرع خفوفا (١) لأنه لا ماء فيه. وإنما يكون السحاب ثقیل السير لامتلائه بالماء وذلك لا يكون في الأكثر إلا زمان الشتاء. وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا والإغاثة إذا استغيثوا. والدليل على ذلك قوله: هنالك لو دعوت أتاك منهم.

٢٦ - ومن خطبة له عليه السلام
إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وآله نذيرا للعالمين.
وأمینا على التنزیل. وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار.
متنخون* بين حجارة خشن وحيات صم (٢) تشربون الكدر وتأكلون
الجشب (٣)

فرسه بسهم فوثبت من تحته فسقط وقد كان ميتا (١) مصدر غريب لخف بمعنى انتقل وارتحل مسرعا والمصدر المعروف خفا (٢) الخشن جمع خشناء من الخشونة، ووصف الحيات بالصم لأنها أخبثها إذ لا تنزجر. وبادية الحجاز وأرض العرب يغلب عليها القفر والغلظ فأكثر أراضيها حجارة خشنة غليظة، ثم إنه يكثر فيها الأفاعي والحيات فأبدلهم الله منها الريف ولين المهاد من أرض العراق والشام ومصر وما شابهها (٣) الجشب

* تنخ بالمكان: أقام به

وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم. الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة (١).
(ومنها) فنظرت فإذا ليس لي معين إلا
أهل بيتي فضننت بهم عن الموت. وأغضيت على القذى. وشربت
على الشجى. وصبرت على أخذ الكظم (٢) وعلى أمر من طعم العلقم
(ومنها) ولم يبايع حتى شرط أن يؤتیه على البيعة ثمنًا (٣) فلا ظفرت
يد البائع وخزيت أمانة المبتاع. فخذوا للحرب أهبتها. وأعدوا
لها عدتها. فقد شب لظاها وعلا سناها. واستشعروا الصبر فإنه أدعى
إلى النصر.

٢٧ - ومن خطبة له عليه السلام
أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة
أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة (٤).
فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء. وديث

الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير آدم (١) معصوبة مشدودة تمثيل للزومها
لهم. وقد جمع في وصف حالهم بين فساد المعيشة وفساد العقيدة والملة (٢) الكظم
بالتحريك الحلق أو الفم أو مخرج النفس والكل صحيح ههنا، والمراد أنه صبر على
الاختناق. وأغضيت غصضت طرفي على قذى في عيني وما أصعب أن يغمض الطرف
على قذى في العين. والشجا ما يعترض في الحلق وكل هذا تمثيل للصبر على المضض
الذي ألم به من حرمانه حقه وتألب القوم عليه (٣) ضمير يبايع إلى عمرو بن العاص
فإنه شرط على معاوية أن يوليه مصر لو تم له الأمر (٤) جنته بالضم وقايته

بالصغار والقماءة (١) وضرب على قلبه بالأسداد (٢) وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف (٣) ومنع النصف. ألا وإنني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا (٤) فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكتم عليكم الأوطان. وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار (٥) وقد قتل حسان ابن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها (٦) ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة

(١) ديث مبني للمفعول من ديثه أي ذلله وقمؤ الرجل ككرم قمأة وقماءة أي ذل وصغر
(٢) الأسداد

جمع سد يريد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد. قال الله " وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون " ويروى بالاسهاب وهو ذهاب العقل أو كثرة الكلام أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة (٣) أدبل الحق منه أي صارت الدولة للحق بدله، وسيم الخسف أي أولى الخسف وكلفه والخسف الذل والمشقة أيضا والنصف بالكسر العدل، ومنع مجهول أي حرم العدل بأن يسلط الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه (٤) عقر الدار بالضم وسطها وأصلها وتواكلتم وكل كل منكم الأمر إلى صاحبه أي لم يتوله أحد منكم بل أحاله كل على الآخر ومنه يوصف الرجل بالوكل أي العاجز لأنه يكل أمره إلى غيره. وشنت الغارات فرقت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقا دفعة بعد دفعة وما كان إرسالاً غير متفرق يقال فيه سن بالمهملة (٥) أخو غامد هو سفيان ابن عوف من بني غامد قبيلة من اليمن من أزد شنوءة بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلا على أهله. والأنبار بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات ويقابلها على الجانب الغربي هيت (٦) جمع مسلحة

فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعائها (١) ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام (٢) ثم انصرفوا وافرین (٣) ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق لهم دم. فلو أن امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان به عندي جديرا. فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا (٤) حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون. وتغزون ولا تغزون. ويعصى الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلت هذه حمارة القيظ (٥) أمهلنا يسبخ عنا الحر (٦) وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلت هذه صبارة القر (٧) أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر والقر فإذا كنتم من الحر

بالفتح وهي الثغر. والمرقب حيث يخشى طروق الأعداء (١) المعاهدة الذمية. والحجل بالكسر خلخالها. والقلب بالضم سوارها. والرعاث جمع رعثة بالفتح ويحرك بمعنى القرط ويروى رعثها بضم الراء والعين جمع رعاث جمع رعثة (٢) الاسترجاع ترديد الصوت بالبكاء. والاسترحام أن تناشده الرحم (٣) وافرین تأمین على كثرتهم لم ينقص عددهم والكلم بالفتح الجرح (٤) ترحا بالتحريك أي هما وحزنا أو فقرا والغرض ما ينصب ليرمى بالسهم ونحوها فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون وهم نصب لا يدفعون وقوله ويعصى الله يشير إلى ما كان يفعله قواد جيش معاوية من السلب والنهب والقتل في المسلمين والمعاهدين ثم أهل العراق راضون بذلك إذ لو غضبوا لهموا بالمدافعة (٥) حمارة القيظ شدة الحر (٦) التسبيخ بالخاء المعجمة التخفيف والتسكين (٧) صبارة الشتاء شدة برده والقر بالضم البرد

والقر تفرون فإذا أنتم والله من السيف أفر. يا أشباه الرجال
ولا رجال. حلوم الأطفال. وعقول ربات الحجال (١). لوددت أني لم
أركم ولم أعرفكم. معرفة والله جرت ندما وأعقت سدما (٢)
قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا. وشحنتم صدري غيظا. وجرعتموني
نغب التهمام أنفاسا (٣). وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد
قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب
لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني (٤)
لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين (٥).
ولكن لا رأي لمن لا يطاع
٢٨ - ومن خطبة له عليه السلام
أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بoudاع (٦) وإن الآخرة

(١) حجال جمع حجلة وهي القبة وموضع يزين بالستور والثياب للعروس. وربات الحجال
النساء (٢) السدم محرقة الهم أو مع أسف أو غيظ. والقيح ما في القرحة من الصديد.
وشحنتم
صدري ملأتموه (٣) النغب جمع نغبة كجرعة وجرع لفظا ومعنى والتهمام بالفتح الهم
وكل
تفعال فهو بالفتح إلا التبيان والتلقاء فإنهما بالكسر. وأنفاسا أي جرعة بعد جرعة
(٤) مراسا مصدر مارسه ممارسة ومراسا أي عالجه وزاوله وعاناه (٥) ذرفت على الستين
زدت عليها ويروى نيفت بمعناه. وفي الخطبة روايات أخرى لا تختلف عن رواية الشريف
في المعنى وإن اختلفت عنها في بعض الألفاظ. انظر الكامل للمبرد (٦) آذنت أعلمت

قد أشرفت باطلاع ألا وإن اليوم المضممار (١). وغدا السباق. والسبقة الجنة (٢) والغاية النار. أفلا تأتب من خطيئته قبل منيته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه (٣)؟ ألا وإنكم في أيام أمل (٤) من ورائه أجل. فمن عمل في أيام أملة قبل حضور أجله نفعه عمله. ولم يضره أجله. ومن قصر في أيام أملة قبل حضور أجله فقد خسر عمله. وضره أجله. ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة (٥). ألا وإني لم أر كالجنة

وإيدانها بالوداع إنما هو بما أودع في طبيعتها من التقلب والتحول، فأول نظرة من العاقل إليها تحصل له اليقين بفنائها وانقضائها وليس وراء الدنيا إلا الآخرة فإن كانت الأولى مودعة فالأخرى مشرفة. والاطلاع من اطلاع فلان علينا أتاناً فجأة (١) المضممار الموضع والزمن الذي تضممر فيه الخيل. وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن ثم يقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتى تهزل. وقد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثاني وإطلاقه على الأول لأنه مقدمة للثاني وإلا فحقيقة التضمير إحداث الضمور وهو الهزال وخفة اللحم. وإنما يفعل ذلك بالخيل لتخف في الجري يوم السباق كما أننا نعمل اليوم في الدنيا للحصول على السعادة في الأخرى (٢) السبقة بالتحريك الغاية التي يحب السابق أن يصل إليها وبالفتح المرة من السبق والشريف رواها في كلام الإمام بالتحريك أو الفتح وفسرها بالغاية المحبوبة أو المرة من السبق وهو مطلوب لهذا روي الضم بصيغة رواية أخرى. ومن معاني السبقة بالتحريك الرهن الذي يوضع من المتراهنين في السباق أي الجعل الذي يأخذه السابق إلا أن الشريف فسرهما بما تقدم (٣) البؤس اشتداد الحاجة وسوء الحالة. ويوم البؤس يوم الجزاء مع الفقر من الأعمال الصالحة. والعامل له هو الذي يعمل الصالح لينجو من البؤس في ذلك اليوم (٤) يريد الأمل في البقاء واستمرار الحياة (٥) أي اعملوا لله في السراء كما تعملون له في الضراء لا تصرفكم النعم عن خشيته والخوف منه

نام طالبها. ولا كالنار نام هاربها (١). ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل (٢). ومن لم يستقم به الهدى يجر به الضلال إلى الردى. ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن (٣). ودللتهم على الزاد. وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل. تزودوا من الدنيا ما تحرزون أنفسكم به غدا (٤) (أقول) لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام. وكفى به قاطعا لعلائق الآمال. وقادحا زناد الاعتاظ والازدجار. ومن أعجبه قوله عليه السلام (ألا وإن اليوم المضممار وغدا السباق. والسبقة الجنة والغاية النار) فإن فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا وهو قوله عليه السلام (والسبقة الجنة والغاية النار) فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين. ولم يقل السبقة النار كما قال: السبقة الجنة لأن

(١) من أعجب العجائب الذي لم ير له مثل أن ينام طالب الجنة في عظمها واستكمال أسباب السعادة فيها، وأن ينام الهارب من النار في هولها واستجماعها أسباب الشقاء (٢) النفع الصحيح كله في الحق. فإن قال قائل إن الحق لم ينفعه فالباطل أشد ضررا له، ومن لم يستقم به الهدى المرشد إلى الحق أي لم يصل به إلى مطلوبه من السعادة جرى به الضلال إلى الردى والهلاك (٣) الظعن الرحيل عن الدنيا وأمرنا به أمر تكوين أي كما خلقنا الله خلقا فينا أن نرحل عن حياتنا الأولى لنستقر في الأخرى. والزاد الذي دلنا عليه هو عمل الصالحات وترك السيئات (٤) تحرزون أنفسكم تحفظونها

الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا في النار نعوذ بالله منها فلم يجز أن يقول والسبقة النار بل قال والغاية النار، لأن الغاية ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء ومن يسره ذلك، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا فهي في هذا الموضع كالمصير والمال قال الله تعالى (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال سبقتكم " بسكون الباء " إلى النار فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد. وكذلك أكثر كلامه عليه السلام. (وفي بعض النسخ) وقد جاء في رواية أخرى (والسبقة الجنة) بضم السين. والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض والمعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود

٢٩ - ومن خطبة له عليه السلام

أيها الناس المجتمعة أبدانهم. المختلفة أهواؤهم (١). كلامكم يوهي الصم الصلاب (٢) وفعلكم يطمع فيكم الأعداء. تقولون

من الهلاك الأبدي (١) أهواؤهم آراؤهم وما تميل إليه قلوبهم (٢) الصم جمع أصم

(٧٣)

في المجالس كيت وكيت. فإذا جاء القتال قلتُم حيدي حياد (١). ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم (٢). أعاليل بأضاليل. دفاع ذي الدين المطول (٣) لا يمنع الضيم الذليل. ولا يدرك الحق إلا بالجد. أي دار بعد داركم تمنعون. ومع أي إمام بعدي تقاتلون. المغرور والله من غررتموه. ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيب (٤). ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل (٥) أصبحت والله لا أصدق

وهو من الحجارة الصلب المصمت والصلاب جمع صليب والصليب الشديد وبابه ظريف وظراف وضعيف وضعاف. ويوهيها يضعفها ويفتتها، يقال وهي الثوب ووهى يهي وهي من باب ضرب وحسب، تخرق وانشق أي تقولون من الكلام ما يفلق الحجر بشدته وقوته ثم يكون فعلكم من الضعف والاختلال بحيث يطمع فيكم العدو (١) حيدي حياد كلمة يقولها الهارب كأنه يسأل الحرب أن تتنحي عنه من الحيدان وهو الميل والانحراف عن الشيء. وحياد مبنى على الكسر كما في قولهم فيحي فياح أي اتسعي وحمي حمام للدهية أي أنهم يقولون في المجلس سنفعل بالأعداء ما نفعل فإذا جاء القتال فروا وتقاعدوا (٢) أي من دعاكم وحملهم بالترغيب على نصرته لم تعز دعوته لتخاذلهم فإن قاساهم وقهرهم انتقضوا عليه فاتعبوه والأعاليل إما جمع إعلال جمع علل جمع علة أو جمع إعلولة كما أن الأضاليل جمع إضلولة والأضاليل متعلقة بالأعاليل أي أنكم تتعللون بالأباطيل التي لا جدوى لها (٣) أي أنكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع المدين المطول غريمه والمطول الكثير المطل وهو تأخير أداء الدين بلا عذر وقوله لا يمنع الضيم الخ أي أن الذليل الضعيف البأس الذي لا منعة له لا يمنع ضيما وإنما يمنع الضيم القوي العزيز (٤) فاز بكم من فاز بالخير إذا ظفر به أي من ظفر بكم وكنتم نصيبه فقد ظفر بالسهم الأخيب وهو من سهام البسر الذي لاحظ له (٥) ألا فوق من السهام مكسور الفوق. والفوق موضع الوتر من السهم والناصل العاري عن النصل أي

قولكم. ولا أطمع في نصركم. ولا أوعد العدو بكم. ما بالكم؟
ما دواؤكم؟ ما طبكم؟ القوم رجال أمثالكم. أقولا بغير عمل
وغفلة من غير ورع. وطمعا في غير حق.

٣٠ - ومن كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان
لو أمرت به لكنت قاتلا. أو نهيت عنه لكنت ناصرا (١) غير
أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه. ومن خذله
لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني (٢) وأنا جامع لكم أمره:

من رمى بهم فكأنما رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى يرمى، وإن رمى به لم يصب مقتلا
إذ لا يصل له. وهذه الخطبة خطبها أمير المؤمنين عند إغارة الضحاك بن قيس فإن
معاوية لما بلغه فساد الجند على أمير المؤمنين دعا الضحاك بن قيس وقال له سر حتى
تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت فمن وجدت من الأعراب في طاعة علي
فاغر عليه وإن وجدت له خيلا أو مسلحة فأغر عليها وإذا أصبحت في بلدة فأمس في
أخرى ولا تقيمن لخييل بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها، وسرحه في ثلاثة
آلاف فأقبل الضحاك فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب ثم لقي بن عمر عميس
بن مسعود الذهلي فقتله وهو ابن أخي عبد الله ابن مسعود ونهب الحاج وقتل منهم
وهم على طريقهم عند القطقطانة فساء ذلك أمير المؤمنين وأخذ يستنهض الناس إلى
الدفاع عن ديارهم وهم يتخاذلون فوبخهم بما تراه في هذه الخطبة، ثم دعا بحجر بن
عدي فسيره إلى الضحاك في أربعة آلاف فقاتله فانهزم فارا إلى الشام يفتخر بأنه
قتل ونهب قتله،

ولم ينه عن قتله أي لم يدافع عنه بسيفه ولم يقاتل دونه وإلا كان ناصرا له. أما نهيه عن
قتله بلسانه فهو ثابت وهو الذي أمر الحسن والحسين أن يذابا الناس عنه (٢) أي

استأثر فأساء الأثرة. وجزعتم فأسأتم الجزع (١) ولله حكم واقع
في المستأثر والجازع
٣١ - ومن كلام له عليه السلام
لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل
حرب الجمل (٢)
لا تلقين طلحة فإنك إن تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه (٣)
يركب الصعب ويقول هو الذلول. ولكن الق الزبير فإنه ألين
عريكة (٤) فقل له يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني

أن الذين نصره ليسوا بأفضل من الذين خذلوه لهذا لا يستطيع ناصرهم أن يقول إني
خير من الذي خذله ولا يستطيع خاذله أن يقول إن الناصر خير مني يريد أن القلوب
متفقة على أن ناصرهم لم يكونوا في شيء من الخير الذي يفضلون به على خاذليه
(١) أي أنه استبد عليكم فأساء الاستبداد وكان عليه أن يخفف منه حتى لا يزعجكم،
وجزعتم لاستبداده فأسأتم الجزع أي لم ترفقوا في جزعكم ولم تقفوا عند الحد الأولي
بكم وكان عليكم أن تقتصروا على الشكوى ولا تذهبوا في الإساءة إلى حد القتل ولله
حكمه في المستأثر وهو عثمان وفي الجازع وهو أنتم فما أخذه وأخذكم أو عفا عنه
وعفا عنكم (٢) يستفيئه أي يسترجعه (٣) يروى أن تلقه تلفه الأولى بالقاف والثانية
بالفاء من ألفاه يلفيه وهي بمعنى تحده، وعاقصا قرنه من عقص الشعر إذا ضفره وفتله
ولواه وهو تمثيل له في تغطرسه وكبره وعدم انقياده، ويركب الصعب يستهين به
ويزعم أنه ذلول سهل (٤) العريكة الطبيعة وعرفه بالحجاز أطاعه فيه حيث عقد له

بالعراق فما عدا مما بدا (١) (أقول هو أول من سمعت منه هذه الكلمة أعني " فما عدا مما بدا ")

٣٢ - ومن خطبة له عليه السلام

أيها الناس إنا قد أصبحنا في دهر عنود. وزمن كنود (٢). يعد فيه المحسن مسيئاً. ويزداد الظالم فيه عتواً. لا ننتفع بما علمنا. ولا نسأل عما جهلنا. ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا (٣). فالناس على أربعة أصناف: منهم من لا يمنع الفساد إلا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره (٤). ومنهم المصلت لسيفه. والمعلن بشره. والمجلب بخيله ورجله. قد أشرط نفسه وأوبق دينه. لحطام ينتهزه. أو مقنب

البيعة وأنكره بالعراق حيث خرج عليه وجمع لقتاله (١) عداه الأمر صرفه وبدا ظهر، ومن هنا بمعنى عن، نقل ابن قتيبة حدثني فلان من فلان أي عنه، ونهيت من كذا أي عنه أي ما الذي صرفك عما كان بدا وظهر منك (٢) العنود الجائر من عند يعند كنصر جار عن الطريق وعدل، والكنود الكفور. ويروى وزمن شديد أي بخيل كما في قوله تعالى (وإنه لحب الخير لشديد) أي أن الإنسان لأجل حبه للمال بخيل والوصف لأهل الزمن والدهر كما هو ظاهر. وسوء طباع الناس يحملهم على عد المحسن مسيئاً (٣) القارعة الخطب يقرع من ينزل به أي يصيبه. والداهية العظيمة (٤) القسم الأول من يقعد به عن طلب الإمارة والسلطان حقارة نفسه فلا يجد معينا ينصره وكلالة حده أي ضعف سلاحه عن القطع في أعدائه، يقال كل السيف كلالة إذا لم يقطع والمراد إعوازه من السلاح أو لضعفه عن استعماله، ونضيض وفره قلة ماله وكان مقتضى النسق أن يقول ونضاضة وفره لكنه عدل إلى الوصف تفننا. والنضيض

يقوده. أو منبر يفرعه (١). ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمنا ومما لك عند الله عوضا. ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف من نفسه للأمانة واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية (٢) ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه (٣). وانقطاع سببه. فقصرته الحال عن حاله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس أهل الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مغدى. وبقي رجال غض أبصارهم ذكر المرجع (٤). وأراق دموعهم خوف المحشر. فهم بين شريد

القليل والوفر المال (١) القسم الثاني الذي يطلب الإمارة وما هي من حقه ويجهز بذلك فهو مصلت لسيفه أي سال له على اعتاق الذين لا يسمعون لسلطان الباطل والمعلن المظهر، والمجلب بخيله من أجلب القوم أي جلبوا وتجمعوا من كل أوب للحرب. والرجل جمع راجل كالركب جمع راكب، وأشرط نفسه أي هيأها واعدتها للنشر والفساد في الأرض أو للعقوبة وسوء العاقبة، وأوبق دينه أهلكه، والحطام المال وأصله ما تكسر من اليبس ينتهزه يغتنمه أو يختلسه والمقنب طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. وإنما يطلب قود المقنب تعززا على الناس وكبرا وفرع المنبر بالفاء أي علاه وفي علو المنبر والخطبة على الناس من الرفعة ما يبعث على الطلب فهذا القسم قد أضاع دينه وأفسد الناس في طلب هذه الشهوات المذكورة (٢) الذريعة الوسيلة وهذا قسم ثالث (٣) الضؤولة بالضم الضعف وهذا هو القسم الرابع وليس من الزهادة في ذهاب ولا إياب أي لا في فعل ولا ترك (٤) هذا قسم خامس للناس مطلقا والأقسام الأربعة للناس المعروفين الواقعين تحت نظر العامة فقلوه فيما سبق فالناس أربعة أصناف إنما يريد به الذين يعرفهم النظر الجلي ناسا، أما الرجال الذين

ناد (١). وخائف مقموع. وساكث مكعوم. وداع مخلص. وثكلان موجه. قد أحملتهم التقية (٢) وشملتهم الذلة فهم في بحر أجاج. أفواههم ضامزة (٣). وقلوبهم قرحة. وقد وعظوا حتى ملوا (٤) وقهروا حتى ذلوا. وقتلوا حتى قتلوا. فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ وقراضة الجلم (٥) واتعظوا بمن كان قبلكم. قبل أن يتعظ بكم من بعدكم. وارفضوها ذميمة فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم (٦). (أقول) هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا

غضبوا أبصارهم عن مطامع الدنيا خوفا من الآخرة وتذكروهم لمعادهم فهؤلاء لا يعرفون عند العامة وإنما يتعرف أحوالهم أمثالهم فكأنهم في نظر الناس ليسوا بناس (١) الناد الهارب من الجماعة إلى الوحدة، والمقموع المقهور، والمكعوم من كعم البعير شد فاه لئلا يأكل أو يعض وما يشد به. كعام ككتاب. والثكلان الحزين (٢) أحمله أسقط ذكره حتى لم يعد له بين الناس نباهة. والتقية اتقاء الظلم بإخفاء الحال والأجاج الملح أي أنهم في الناس كمن وقع في البحر الملح لا يجد ما يطفئ ظمأه ولا ينقع غلته (٣) ضامزة ساكنة ضمز يضمز بالزاي المعجمة سكت يسكت، والقرحة بفتح فكسر المجروحة (٤) أي أنهم أكثروا من وعظ الناس حتى ملهم الناس وسئموا من كلامهم (٥) الحثالة بالضم القشارة وما لا خير فيه، والقرظ ورق السلم أو ثمر السنط يدبغ به والجلم بالتحريك مقراض يجرز به الصوف وقراضته ما يسقط منه عند القرض والجز، إنما طالبهم باحتقار الدنيا بعد التقسيم المتقدم لما ثبت من أن الدنيا لم تصف إلا للأشرار، أما المتقون الذين ذكروهم فإنهم لم يصيبوا منها إلا العناء وكل ما كان شأنه أن يأوي إلى الأشرار ويجافي الأخيار فهو أجدر بالاحتقار (٦) أي من كان أشد تعلقا بها منكم

يشك فيه وأين الذهب من الرغام (١) والعذب من الأجاج. وقد دل على ذلك الدليل الخريت (٢) ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها إلى معاوية ثم قال هي بكلام علي عليه السلام أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس وبالإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال ومن التقية والخوف أليق (٣) قال ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد. ومذاهب العباد)

٣٣ - ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة (٤) قال عبد الله بن العباس دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذئ قار (٥) وهو يخصف نعله (٦) فقال لي ما قيمة هذا النعل فقلت لا قيمة لها، فقال عليه السلام والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً ثم خرج عليه السلام فخطب الناس فقال: إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب

(١) الرغام بالفتح التراب (٢) الخريت الحاذق في الدلالة (٣) تصنيف الناس تقسيمهم وتبيين أصنافهم (٤) في وقعة الجمل (٥) بلد بين واسط والكوفة وهو قريب من البصرة وكانت فيه الحرب بين العرب والفرس ونصرت فيه العرب قبل الاسلام (٦) يخصف

يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة. فساق الناس حتى بوأهم محلتهم
وبلغهم منجاتهم (١) فاستقامت قناتهم (٢) واطمأنت صفاتهم. أما والله
إن كنت لفي ساقتها (٣) حتى تولت بحذافيرها ما ضعفت ولا جبنت
وإن مسيري هذا لمثلها (٤) فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه (٥)
مالي ولقريش. والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين. وإني

نعله يخرزها (١) بوأهم محلتهم أي أنزلهم منزلتهم فالناس قبل الاسلام كأنهم كانوا
عرباء مشردين والاسلام هو منزلهم الذي يسكنون فيه ويأمنون من المخاوف،
فالنبي صلى الله عليه وسلم ساق الناس حتى أوصلهم إلى منزلهم من الاسلام الذي كانوا
قد ضلوا عنه وبلغهم بذلك مكان نجاتهم من المهالك (٢) القناة العود والرمح. والكلام
تمثيل لاستقامة أحوالهم. والصفة الحجر الصلد الضخم. وأراد به مواطئ أقدامهم.
والكلام تصوير لاستقرارهم على راحة كاملة وخلاصهم مما كان يرجف قلوبهم ويزلزل
أقدامهم (٣) إن كنت الخ إن هذه هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف
والأصل إنه كنت الخ. والمعنى. قد كنت. والساقة مؤخر الجيش السائق لمقدمه. وولت
بحذافيرها بحملتها. والضمائر في ساقتها وولت بحذافيرها عائدة إلى الحادثة المفهومة
من الحديث وهي ما أنعم الله به من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ليخرجهم من
الظلمات إلى النور ومن الذلة للعزة وقال الشارح ابن أبي الحديد الضمائر للجاهلية
المفهومة من الكلام وكونه في ساقتها أنه طارد لها. ويضعفه أن ساقة الجيش منه لا من
مقاتله فلو كان في ساقة الجاهلية لكان من جيشها نعوذ بالله. ويمكن تصحيح كلام
الشارح بجعل الساقة جمع سائق أي كنت في الذين يسوقونها طردا حتى ولت
(٤) أي أنه يسير إلى الجهاد في سبيل الحق (٥) الباطل يبادر الأوهام فيشغلها عن
الحق ويقوم حجابا مانعا للبصيرة عن الحقيقة فكأنه شئ اشتمل على الحق فستره

لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم * (والله ما تنقم منا قريش
إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول،
أدمت لعمري شربك المحض صابحا
وأكلتك بالزبد المقشرة البحر
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن
عليا وحطنا حولك الجرد والسمرا)
٣٤ - (ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام)
أف لكم لقد سئمت عتابكم. أرضيتم بالحياة الدنيا من
الآخرة عوضا. وبالذل من العز خلفا. إذا دعوتكم إلى جهاد
عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة (١). ومن
الذهول في سكرة يرتج عليكم حوارى فتعمهون (٢) فكأن

وصار الحق في طيه. والكلام تمثيل لحال الباطل مع الحق وحال الإمام في كشف الباطل
وإظهار الحق (١) دوران الأعين اضطرابها من الجزع. ومن غمرة الموت يدور بصره
فإنهم يريدون من غمرة الموت الشدة التي تنتهي إليه يشير إلى قوله تعالى (ينظرون
إليك نظر المغشي عليه من الموت) (٢) الجوار بالفتح في الكلام. ويرتج بمعنى يغلق

* ما بين القوسين زيادة في بعض النسخ.

قلوبكم مألوسة (١) فأنتم لا تعقلون. ما أنتم لي بثقة سحيس
الليالي (٢) وما أنتم بركن يمال بكم ولا زوافر عز يفتقر إليكم (٣)
ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها. فكلما جمعت من جانب انتشرت
من آخر. لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم (٤) تكادون ولا
تكيدون. وتنقص أطرافكم فلا تمتعضون (٥) لا ينام عنكم وأنتم
في غفلة ساهون. غلب والله المتخاذلون وأيم (٦) الله إني لأظن بكم
أن لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب
انفراج الرأس (٧) والله إن امرأ يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه (٨)

أي لا تهتدون لفهمه فتعمهون أي تتحIRON وتترددون (١) المألوسة المخلوطة بمس
الجنون (٢) سحيس بفتح فكسر كلمة تقال بمعنى أبدا. وسحيس أصله من سحس
الماء بمعنى تغير وكدر. وكان أصل الاستعمال ما دامت الليالي بظلامها أي ما دام الليل
ليلا. ويقال سحيس لا وجس بفتح الجيم وضمها، وسحيس عجيس كل ذلك بمعنى
أبدا أي أنهم ليسوا بثقات عنده يركن إليهم أبدا (٣) الزافرة من البناء ركنه ومن
الرجل عشيرته. وقوله يمال بكم أي يمال على العدو بعزكم وقوتكم (٤) السعر أصله
مصدر سعر النار من باب نفع أوقدها، أي لبئس ما توقد به الحرب أنتم. ويقال إن
سعر جمع ساعر كشرب جمع شارب وركب جمع راكب (٥) امتعض غضب (٦) غلب
مبني للمجهول. والمتخاذلون الذين يخذل بعضهم بعضا ولا يتناصرون (٧) حمس كفرح
اشتد. والوغى الحرب. واستحر بلغ في النفوس غاية حدته. وقوله انفراج الرأس أي
انفراجا لا التئام بعده فإن الرأس إذا انفرج عن البدن أو انفرج أحد شقيه عن
الآخر لم يعد للتئام (٨) يأكل لحمه حتى لا يبقى منه شيء على العظم. وفراه يفريه

ويهشم عظمه. ويفري جلده لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه
جوانح صدره (١) أنت فكن ذاك إن شئت (٢) فأما أنا فوالله دون أن
أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام. وتطيح السواعد
والأقدام (٣). ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء

أيها الناس إن لي عليكم حقا ولكم علي حق. فأما حقكم
علي فالنصيحة لكم. وتوفير فيئكم عليكم (٤) وتعليمكم كيلا
تجهلوا وتأديكم كيما تعلموا. وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة
والنصيحة في المشهد والمغيب. والإجابة حين أدعوكم. والطاعة
حين آمركم

٣٥ - ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم
الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح (٥) والحدث الجليل.

مزقه يمزقه (١) ما ضمت عليه الجوانح هو القلب وما يتبعه من الأوعية الدموية.
والجوانح الضلوع تحت الترائب، والترائب ما يلي الترقوتين من عظام الصدر أو ما بين
الثديين والترقوتين. يريد ضعيف القلب (٢) يمكن أن يكون خطابا عاما لكل من
يمكن عدوه من نفسه. ويروى أنه خطاب للأشعث بن قيس عندما قال له هلا فعلت
فعل ابن عفان فأجابه بقوله إن فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له وإن امرء الخ
(٣) أي لا يمكن عدوه من نفسه حتى يكون دون ذلك ضرب بالمشرفية وهي السيوف
التي تنسب إلى مشارف وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف، ولا يقال في
النسبة إليها مشارفي. وفراش الهام العظام الرقيقة التي تلي القحف. وتطيح السواعد أي
تسقط (٤) الفئ الخراج وما يحويه بيت المال (٥) من فدحه الدين أي أثقله. والحدث

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره وأن
محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله
أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث
الحسرة وتعقب الندامة. وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة
أمري ونخلت لكم مخزون رأيي (١) لو كان يطاع لقصير أمر (٢)
فأبستم علي إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة. حتى ارتاب

بالتحريك الحادث (١) الحكومة حكومة الحكيمين عمرو بن العاص وأبي موسى
الأشعري. وذلك بعد ما وقف القتال بين علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان في
حرب صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة فإن جيش معاوية لما رأى أن الدبرة تكون
عليه رفعوا المصاحف على الرماح يطلبون رد الحكم إلى كتاب الله وكانت الحرب
أكلت من الفريقين، فانخدع القراء وجماعة تتبعوهم من جيش علي وقالوا: دعينا إلى
كتاب الله ونحن أحق بالإجابة إليه، فقال لهم أمير المؤمنين إنها كلمة حق يراد بها باطل
إنهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها إنهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة
والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم
يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا، فخالفوا واختلفوا، فوضعت الحرب أوزارها وتكلم
الناس في الصلح وتحكيم حكيمين يحكمان بما في كتاب الله فاختار معاوية عمرو بن
العاص واختار بعض أصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعري فلم يرض أمير المؤمنين
واختار عبد الله بن عباس فلم يرضوا ثم اختار الأشتر النخعي فلم يطيعوا فوافقهم على
أبي موسى مكرها بعد أن أعذر في النصيحة لهم فلم يذعنوا. فقد نخل لهم أي أخلص
رأيه في الحكومة أولا وآخرها ثم انتهى أمر التحكيم بانخداع أبي موسى لعمرو بن
العاص وخلعه أمير المؤمنين ومعاوية ثم صعود عمرو بعده وإثباته معاوية وخلعه أمير
المؤمنين، وأعقب ذلك ضعف أمير المؤمنين وأصحابه (٢) هو مولى جذيمة المعروف

الناصح بنصحه

(١). وضمن الزند بقدحه فكنت وإياكم كما قال

أخو هوازن

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى

فلم تستبينوا النصيح إلا ضحى الغد

٣٦ - ومن خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهروان (٢)

فأنا نذيركم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر وبأهضام هذا

بالأبرش. وكان حاذقا وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته فقال قصير " لا يطاع لقصير أمر " فذهب مثلا (١) يريد بالناصح نفسه أي أنهم أجمعوا على مخالفته حتى شك في نصيحته وظن أن النصيح غير نصيح وأن الصواب ما أجمعوا عليه. وتلك سنة البشر إذا كثر المخالف للصواب اتهم المصيب نفسه. وقوله ضمن الزند بقدحه أي أنه لم يعن له بعد ذلك رأي صالح لشدة ما لقي من خلافهم وهكذا المشير الناصح إذا اتهم واستغش عشت بصيرته وفسد رأيه. وأخو هوازن هو دريد بن الصمة. ومنعرج اللوى اسم مكان وأصل اللوى من الرمل الجدد بعد الرملة. ومنعرجه منعطفه يمينة ويسرة وفي هذه القصيدة:

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى * غوايتهم أو أنني غير مهتدي

وما أنا إلا من غزية إن غوت * غويت وإن ترشد غزية أرشد

(٢) النهروان اسم لأسفل نهر بين الخافيق وطرفاء على مقربة من الكوفة في

طرف صحراء حروراء. ويقال لا على ذلك النهر تأمر، وكان الذين خرجوا على أمير المؤمنين وخطأوه في التحكيم قد نقضوا بيعته وجهروا بعداوته وصاروا له حربا واجتمع

معظمهم عند ذلك الموضع. وهؤلاء يلقبون بالحرورية لما تقدم أن الأرض التي اجتمعوا

الغائط (١) على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين معكم. قد طوحت بكم الدار (٢). واحتبلكم المقدار. وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم علي إباء المخالفين المنابذين (٣). حتى صرفت رأيي إلى هواكم. وأنتم معاشر أخفاء الهام (٤). سفهاء الأحلام ولم آت - لا أبالكم - بجرا (٥) ولا أردت لكم ضرا

فيها كانت تسمى حروراء وكان رئيس هذه الفئة الضالة حرقوص بن زهير السعدي ويلقب بذي الشدية (تصغير ثدية) خرج إليهم أمير المؤمنين يعظهم في الرجوع عن مقاتلتهم والعودة إلى بيعتهم فأجابوا النصيحة برمي السهام وقتال أصحابه كرم الله وجهه فأمر بقتالهم وتقدم القتال بهذا الانذار الذي تراه (١) صرعى جمع صريع أي طريح أي أنني أحذركم من اللجاج في العصيان فتصبحوا مقتولين مطروحين بعضكم في أثناء هذا النهر وبعضكم بأهضام هذا الغائط. والأهضام جمع هضم وهو المطمئن من الوادي. والغائط ما سفل من الأرض والمراد منها المنخفضات (٢) أي صرتم في متاهة ومضلة لا يدع الضلال لكم سبيلا إلى مستقر من اليقين فأنتم كمن رمت به داره وقذفته ويقال تطاوحت به النوى أي ترامت. وقد يكون المعنى أهلككم دار الدنيا كما اخترناه في الطبعة الأولى. والمقدار القدر الإلهي. واحتبلهم أوقعهم في حبالته فهم مقيدون للهلاك لا يستطيعون منه خروجاً (٣) نهاهم عن إجابة الشام في طلب التحكيم بقوله إنهم ما رفعوا المصاحف ليرجعوا إلى حكمها إلى آخر ما تقدم في الخطبة السابقة وقد خالفوه بقولهم دعينا إلى كتاب الله فنحن أحق بالإجابة إليه بل أغلظوا في القول حتى قال بعضهم لئن لم تجبهم إلى كتاب الله أسلمناك لهم وتخلينا عنك (٤) الهام الرأس. وخفتها كناية عن قلة العقل (٥) البحر بالضم الشر والأمر العظيم والداهية. قال الراجز * أرمى عليها وهي شئ بجر * أي داهية. ويقال لقيت منه البجاري وهي الدواهي

٣٧ - ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة (١)
فقمتم بالأمر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا (٢) ونطقت
حين تعتعوا. ومضيت بنور الله حين وقفوا. وكنت أخفضهم صوتا (٣)
وأعلاهم فوتا (٤). فطرت بعنانها واستبددت برهانها (٥). كالجبل
لا تحركه القواصف. ولا تزيله العواصف. لم يكن لأحد في

واحدتها بجرى مثل قمري وقماري (١) هذا الكلام ساقه الرضي كأنه قطعة واحدة
لغرض واحد وليس كذلك، بل هو قطع غير متجاورة كل قطعة منها في معنى غير
ما للأخرى، وهو أربعة فصول: الأول من قوله فقمتم بالأمر إلى قوله واستبددت برهانها.
والفصل الثاني من قوله كالجبل لا تحركه القواصف إلى قوله حتى أخذ الحق منه والفصل
الثالث من قوله رضىنا عن الله قضاءه إلى قوله فلا أكون أول من كذب عليه.
والفصل الرابع ما بقي (٢) يصف حاله في خلافة عثمان رضي الله عنه ومقاماته في الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر أيام الأحداث أي أنه قام بإنكار المنكر حين فشل
القوم أي جنبهم وخورهم. والتقبع الاختباء والتطلع ضده يقال امرأة طلعة قبعة تطلع ثم
تقبع رأسها أي تدخله كما يقبع القنفذ أي يدخل رأسه في قبعة جلده. وقبع الرجل أدخل
رأسه

في قميصه أي أنه ظهر في إعزاز الحق والتنبيه على مواقع الصواب حين كان يختبئ
القوم من الرهبة. ويقال تقبع فلان في كلامه إذا تردد من عي أو حصر. فقد كان ينطق
بالحق ويستقيم به لسانه والقوم يترددون ولا يبينون (٣) كناية عن ثبات الجأش فإن
رفع الصوت عند المخاوف إنما هو من الجزع وقد يكون كناية عن التواضع أيضا
(٤) الفوت السبق (٥) هذا الضمير وسابقه يعودان إلى الفضيلة المعلومة من الكلام
فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو يمثل حاله مع القوم بحال خيل الحلبة.
والعنان للفرس معروف. وطار به سبق به. والرهان الجعل الذي وقع التراهن عليه

مهمز (١) ولا لقائل في مغمز. الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له. والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه. رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره (٢). أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله والله لأنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا الميثاق في عنقي لغيري (٣).

٣٨ - ومن خطبة له عليه السلام
وإنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق. فأما أولياء الله فضيائهم فيها اليقين. ودليلهم سمت الهدى (٤). وأما أعداء الله

(١) الهمز والغمز الوقیعة أي لم يكن في عيب أعاب به. وهذا هو الفصل الثاني يذكر حاله بعد البيعة أي أنه قام بالخلافة كالجبل الخ وقوله الذليل عندي الخ أي أنني أنصر الذليل فيعز بنصري حتى إذا أخذ حقه رجع إلى ما كان عليه قبل الانتصار بي. ومثل ذلك يقال فيما بعده (٢) قوله رضينا الخ كلام قاله عندما تفرس في قوم من عسكره أنهم يهتمونه فيما يخبرهم به من أنباء الغيب (٣) قوله فنظرت الخ هذه الجملة قطعة من كلام له في حال

نفسه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين فيه أنه مأمور بالرفق في طلب حقه

فأطاع الأمر في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فبايعهم امتثالاً لما أمره النبي به من الرفق وإيفاء بما أخذ عليه النبي من الميثاق في ذلك (٤) سمت الهدى طريقته وقوله فما ينجو من الموت الخ ليس ملتئماً مع ما قبله فهو قطعة من كلام آخر

فدعائهم فيها الضلال ودليلهم العمى. فما ينجو من الموت من خافه
ولا يعطى البقاء من أحبه
٣٩ - ومن خطبة له عليه السلام
منيت بمن لا يطيع إذا أمرت (١) ولا يجيب إذا دعوت.

لا

أبا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم. أما دين يجمعكم ولا حمية
تحمشكم (٢) أقوم فيكم مستصرخا وأناديكم متغوئا فلا تسمعون لي
قولا. ولا تطيعون لي أمرا. حتى تكشف الأمور عن عواقب
المساءة (٣) فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام. دعوتكم إلى
نصر إخوانكم فجر جرتكم جرجرة الجمل الأسر. وتناقلتم تناقل
النضو الأدبر (٤) ثم خرج إلي منكم جنيد متدائب ضعيف كأنما
يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٥). (أقول) قوله عليه السلام

ضمه إلى هذا على نحو ما جمع الفصول المتقدمة (١) منيت بليت (٢) حمشه كنصره
جمعه. وحمش القوم ساقهم بغضب. أو من أحمله بمعنى أغضبه أي تغضبكم على
أعدائكم.

والمستصرخ المستنصر. ومتغوئا أي قائلًا واغوئا (٣) تكشف مضارع حذف زائده
والأصل تتكشف أي تنكشف، أي أنكم لا تزالون تخالفونني وتخذلونني حتى تنجلي
الأمور والأحوال عن العواقب التي تسوءنا ولا تسرنا (٤) الجرجرة صوت يردده البعير
في حنجرته. والأسر المصاب بداء السرر وهو مرمض في الكركرة ينشأ من الدبرة.
والنضو المهزول من الإبل. والأدبر المدبور أي المجروح المصاب بالدبرة بالتحريك وهي
العقر والجرح من القتب ونحوه (٥) وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين في غارة

متذائب أي مضطرب من قولهم تذاءبت الريح أي اضطرب هبوبها. ومنه سمي الذئب ذئبا لا اضطراب مشيته
٤٠ - ومن كلام له عليه السلام

في الخوارج لما سمع قولهم لا حكم إلا لله قال عليه السلام. كلمة حق يراد باطل. نعم إنه لا حكم إلا لله. ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله: وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر (١) يعمل في إمرته المؤمن. ويستمتع فيها الكافر. ويبلغ الله فيها الأجل. ويجمع به الفئ، ويقا تل به العدو. وتأمين به السبل. ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح به بر ويستراح من فاجر (وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال) حكم. الله أنتظر فيكم (وقال) أما الإمرة البرة فيعمل فيها التقى. وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته

النعمان بن بشير الأنصاري على عين النمر من أعمال أمير المؤمنين وعليها إذا ذاك من قبله مالك بن كعب الأرحبي (١) برهان على بطلان زعمهم أنه لا إمرة إلا لله بأن البداهة قاضية أن الناس لا بد لهم من أمير بر أو فاجر حتى تستقيم أمورهم وولاية الفاجر لا تمنع المؤمن من عمله لإحراز دينه ودنياه وفيها يستمتع الكافر حتى يوافيه الأجل ويبلغ الله فيها الأمور آجالها المحدودة لها بنظام الخلقة وتجري سائر المصالح المذكورة، ويمكن أن يكون المراد بالمؤمن هو الأمير البار وبالكافر الأمير الفاجر كما

٤١ - ومن خطبة له عليه السلام
إن الوفاء توأم الصدق (١) ولا أعلم جنة أوقى منه. ولا يغدر
من علم كيف المرجع. ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله
الغدر كيسا (٢) ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة. ما لهم قاتلهم
الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه
فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، ويتنهر فرصتها من لا حريجة له
في الدين (٣)

٤٢ - ومن كلام له عليه السلام
أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتباع الهوى،

تدل عليه الرواية الأخرى وقوله أما الإمرة البرة الخ (١) التوأم الذي يولد مع الآخر
في حمل واحد، فالصدق والوفاء قرينان في المنشأ لا يسبق أحدهما الآخر في الوجود
ولا في المنزلة. والجنة بالضم الوقاية. ومن علم أن مرجعه إلى الله وهو سريع الحساب
لا يمكن أن يعدل عن الوفاء إلى الغدر (٢) الكيس بالفتح العقل وأهل ذلك الزمان
يعدون الغدر من العقل وحسن الحيلة كأنهم أهل السياسة من بني زماننا. وأمير
المؤمنين يعجب من زعمهم ويقول ما لهم قاتلهم الله يزعمون ذلك مع أن الحول
القلب بضم الأول وتشديد الثاني من اللفظين أي البصير بتحويل الأمور وتقليبها قد
يرى وجه الحيلة في بلوغ مراده لكنه يجد دون الأخذ به مانعا من أمر الله ونهيه
فيدع الحيلة وهو قادر عليها خوفا من الله ووقوفا عند حدوده (٣) الحريجة التخرج

وطول الأمل (١). فأما اتباع الهوى فيصعد عن الحق. وأما طول الأمل فينسي الآخرة. ألا وإن الدنيا قد ولت حذاء (٢) فلم يبق منها إلا صباية (٣) كصباية الإناء اصطبها صابها. ألا وإن الآخرة قد أقبلت ولكل منهما بنون. فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا أبناء الدنيا، فإن كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة. وإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل. (أقول) الحذاء السريعة. ومن الناس من يرويه جذاء (٤).

٤٣ - ومن كلام له عليه السلام
وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير
ابن عبد الله البجلي إلى معاوية
إن استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام
وصرف لأهله عن خير إن أرادوه. ولكن قد وقت لجرير وقتا

أي التحرز من الآثام (١) طول الأمل هو استفساح الأجل والتسويق بالعمل طلبا للراحة العاجلة وتسلية للنفس بإمكان التدارك في الأوقات المقبلة، وهذا من أقبح الصفات. أما قوة الأمل في نجاح الأعمال الصالحة ثقة بالله وبقينا بعونه فهي حياة كل فصيلة وسائقة لكل مجد، والمحرومون منها آيسون من رحمة الله تحسبهم أحياء وهم أموات لا يشعرون (٢) الحذاء بالتشديد الماضية السريعة (٣) الصباية بالضم البقية من الماء واللبن في الإناء. واصطبها صابها كقولك أبقاها مبقيا أو تركها تاركها (٤) جذاء

لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً. والرأي عندي مع الأناة، فأرودوا
ولا أكره لكم الإعداد (١)

ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه (٢). وقلبت ظهره وبطنه،
فلم أر لي إلا القتال أو الكفر، إنه قد كان على الناس وال أحدث
أحداثاً وأوجد للناس مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا (٣).

٤٤ - ومن كلام له عليه السلام

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية وكان قد ابتاع
سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام

بالجيم أي مقطوع خيرها ودرها (١) يقول أمير المؤمنين إنه أرسل جريرا
ليخاير معاوية وأهل الشام في البيعة له والدخول في طاعته ولم ينقطع الأمل منهم،
فاستعداده للحرب وجمعه الجيوش وسوقها إلى أرضهم إغلاق لأبواب السلم على أهل
الشام وصرف لهم عن الخير إن كانوا يريدونه، فالرأي الأناة أي التأنى ولكنه
لا يكره الإعداد أي أن يعد كل شخص لنفسه ما يحتاج إليه في الحرب من سلاح ونحوه
ويفرغ نفسه مما يشغله عنها لو قامت حتى إذا دعي إليها لم يبطئ في الإجابة ولم يجد
ما يمنعه عن اقتحامها، وقوله أرودوا أي سيروا برفق (٢) مثل تقوله العرب في
الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر. وإنما خص الأنف والعين لأنهما أظهر شيء في
صورة الوجه وهما مستلفت النظر، والمراد من الكفر في كلامه الفسق لأن ترك
القتال تهاون بالنهي عن المنكر وهو فسق لا كفر (٣) يريد من الوالي الخليفة الذي
كان قبله، وتلك الأحداث معروفة في التاريخ وهي التي أدت بالقوم إلى التألب على
قتله، ويروى قال بالقاف بدل وال ولا أظنها إلا تحريفا وإن كنت أتيت على تفسيرها
في الطبعة الأولى

وأعتقهم (١) فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام (٢)
قبح الله مصقلة. فعل فعل السادات وفر فرار العبيد. فما أنطق
مادحه حتى أسكته، ولا صدق واصفه حتى بكته. ولو أقام لأخذنا
ميسوره (٣). وانتظرنا بماله وفوره (٤)

٤٥ - (ومن خطبة له عليه السلام)

الحمد لله غير مقنوط من رحمته. ولا مخلو من نعمته. ولا
مأيوس من مغفرته. ولا مستنكف عن عبادته. الذي لا تبرح
منه رحمة. ولا نفقد له نعمة. والدنيا دار مني لها الفناء (٥) ولأهلها

(١) كان الخريت بن راشد الناجي أحد بني ناجية مع أمير المؤمنين
في صفين ثم نقض عهده بعد صفين ونقم عليه في التحكيم وخرج يفسد الناس
ويدعوهم للخلاف، فبعث إليه أمير المؤمنين كتيبة مع معقل بن قيس الرياحي لقتاله
هو ومن انضم إليه فأدر كته الكتيبة بسيف البحر بفارس، وبعد دعوته إلى التوبة
وإبائه قبولها شدت عليه فقتل وقتل معه كثير من قومه وسبي من أدرك في رحالهم من
الرجال والنساء والصبيان فكانوا خمسمائة أسير. ولما رجع معقل بالسبي مر على مصقلة
بن

هبيرة الشيباني وكان عاملاً لعلي على أردشير خره فبكى إليه النساء والصبيان وتصايح
الرجال يستغيثون في فكاكهم فاشتراهم من معقل بخمسمائة ألف درهم ثم امتنع من
أداء المبلغ. ولما ثقلت عليه المطالبة بالحق لحق بمعاوية فرارا تحت أستار الليل (٢) خاس
به خان (٣) ميسوره ما تيسر له (٤) وفوره زيادته (٥) مني لها الفناء الفعل للمجهول

منها الجلاء. وهي حلوة خضرة (١) وقد عجلت للطالب (٢) والتبست بقلب الناظر. فارتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد (٣). ولا تسألوا فيها فوق الكفاف (٤) ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ (٥) ٤٦ - ومن كلام له عليه السلام

عند عزمه على المسير إلى الشام (٦)
اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر (٧) وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال. اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الأهل ولا يجمعهما غيرك لأن المستخلف لا يكون مستصحباً والمستصحب لا يكون مستخلفاً

أي قدر لها، والجلاء الخروج من الأوطان (١) تمثيل لها بما يألّفه الذوق ويروق النظر (٢) عجلت للطالب أسرع إليه، والتبست بقلب الناظر اختلطت به محبة وعلقة (٣) أحسن ما بحضرتكم أي أفضل الأشياء الحاضرة عندكم، وذلك فاضل الأخلاق وصالح الأعمال (٤) الكفاف ما يكفك أي يمنعك عن سؤال غيرك وهو مقدار القوت (٥) البلاغ ما يتبلغ به أي يقتات به (٦) وذلك بعد حرب الجمل حيث اختلف عليه معاوية بن أبي سفيان ولم يدخل في بيعته وقام للمطالبة بدم عثمان واستهوى أهل الشام واستنصرهم لرأيه فعززوه على الخلاف، وسار إليه أمير المؤمنين والتقى بصفين واقتتلا مدة غير قصيرة وانتهى القتال بتحكيم الحكيم عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري (٧) الوعثاء المشقة، والكآبة الحزن، والمنقلب مصدر بمعنى الرجوع وأول الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب الصحيحة

٤٧ - ومن كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة
كأنني بك يا كوفة تمددين مد الأديم العكاظي (١) تعركين
بالنوازل وتركبين بالزلازل. وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار
سوءاً إلا ابتلاه الله بشاغل ورماء بقاتل

٤٨ - (ومن خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام)
الحمد لله كلما وقب ليل وغسق (٢) والحمد لله كلما لاح نجم
وخفق (٣). والحمد لله غير مفقود الإنعام ولا مكافئ الإفضال
أما بعد فقد بعثت مقدمتي (٤). وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط
حتى يأتيهم أمري. وقد أردت أن أقطع هذه النطفة إلى شردمة

وأتمه أمير المؤمنين بقوله ولا يجمعهما غيرك الخ. وذات الله تستوي عندها الأمكنة
كما تستوي الأزمنة، فالحضر والسفر عندها سواء، وليس هذا الشأن لغير الذات
الأقدس (١) العكاظي نسبة إلى عكاظ كغراب وهو سوق كانت تقيمه العرب في
صحراء بين نخلة والطائف يجتمعون إليه من بداية شهر ذي القعدة ليتعاطوا أي
يتفاخروا كل بما لديه من فضيلة وأدب. ويستمر إلى عشرين عاماً وليتبايعوا أيضاً.
وأكثر ما كان يباع بتلك السوق الأديم فنسب إليها، والأديم الجلد المدبوغ، وجمعه
أدم بفتحيتين وضميتين، وأأدمة كأرغفة. وقوله تمددين الخ تصوير لما ينالها من العسف
والخبط، وتعركين من عركتهم الحرب إذا مارستهم، والنوازل الشدائد، والزلازل
المزعجات من الخطوب (٢) وقب دخل، وغسق اشتدت ظلمته (٣) خفق النجم
غاب، ولاح ظهر (٤) أراد بمقدمته صدر جيشه، ومقدمة الانسان بفتح الدال

منكم موطنين أكناف دجلة (١) فأنهضهم معكم إلى عدوكم
وأجعلهم من أمداد القوة لكم (٢). (أقول يعني عليه السلام بالملطاط ها هنا
السمت الذي أمرهم بلزومه وهو شاطئ الفرات. ويقال ذلك أيضا
لشاطئ البحر، وأصله ما استوى من الأرض. ويعني بالنطفة ماء
الفرات. وهو من غريب العبارات وعجيبها)
٤٩ - ومن كلام له عليه السلام
الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور (٣). ودلت عليه أعلام
الظهور. وامتنع على عين البصير. فلا عين من لم يره تنكره. ولا قلب
من أثبتته يبصره (٤). سبق في العلو فلا شيء أعلى منه. وقرب في الدنو

صدره، والملطاط حافة الوادي وشفيره، وساحل البحر، والسمت أي الطريق، وقول
الشريف يعني بالملطاط السمت تبين لمراد أمير المؤمنين من لفظ الملطاط في كلامه
لا تفسير للفظ في نفسه، وقوله وهو شاطئ الفرات بيان للسمت أي الطريق،
وقوله ويقال ذلك - أي لفظ الملطاط - تفسير للفظ الملطاط في استعمال اللغويين، فاندفع
بهذا

ما أورده ابن أبي الحديد على عبارته من أنها خالية من المعنى (١) الشرذمة النفر
القليلون، والأكناف الجوانب. وموطنين الأكناف أي جعلوها وطنا. يقال أو طنت
البقعة (٢) الأمداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش لتقويته. وهذه الخطبة نطق بها
أمير المؤمنين وهو بالنخيلة خارجا من الكوفة إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة
سبع وثلاثين (٣) بطن الخفيات علمها، والأعلام جمع علم بالتحريك وهو المنار يهتدى
به ثم عم في كل ما دل على شيء، وأعلام الظهور الأدلة الظاهرة التي بظهورها يظهر
غيرها (٤) كان الأليق بعد قوله وامتنع على عين البصير ما جاء في رواية أخرى وهو

فلا شيء أقرب منه (١). فلا استعلاؤه باعدته عن شيء من خلقه. ولا
قربه ساواهم في المكان به. لم يطلع العقول على تحديد صفته.
ولم يحجبها عن واجب معرفته. فهو الذي تشهد له أعلام الوجود.
على إقرار قلب ذي الجحود (٢) تعالى الله عما يقول المشبهون به
والجاحدون له علوا كبيرا
٥٠ - ومن كلام له عليه السلام

إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع. وأحكام تبتدع. يخالف
فيها كتاب الله. ويتولى عليها رجال رجالا (٣) على غير دين الله. فلو
أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين. ولو أن
الحق خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين (٤) ولكن

فلا قلب من لم يره ينكره، ولا عين من أثبتته تبصره. وما جاء في الكتاب معناه أن
من لم يره لا ينكره اعتمادا على عدم رؤيته لظهور الأدلة عليه. ومن أثبتته لا يستطيع
اكتناء حقيقته (١) علا كل شيء بذاته وكماله وجلاله وقرب من كل شيء بعلمه وإرادته
وإحاطته وعنايته فلا شيء إلا وهو منه فأى شيء يبعد عنه (٢) إن قلب الجاحد إن
أنكره فما إنكاره إلا افتعال مما عرض عليه من أثر الفواعل الخارجة عن فطرته.
وظهور أعلام الوجود في الدلالة عليه لا يقوى على مدافعة تأثيره قلب الجاحد. فلا
مناص له من الاقرار في الواقع وإن ظهر الجحود في كلامه وبعض أعماله (٣) يستعين
عليها رجال برجال (٤) المرتادين الطالبين للحقيقة أي لو كان الحق خالصا من ممازجة

يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث (١) فيمزجان، فهناك يستولي
الشیطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنی
١ ٥ - ومن خطبة له علیه السلام
لما غلب أصحاب معاوية أصحابه علیه السلام على شریعة
الفرات بصفین ومنعواهم من الماء (٢)
قد استطعموكم القتال (٣) فقرروا على مذلة. وتأخیر محلة. أو
رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء. فالموت في حياتكم مقهورين.
والحياة في موتكم قاهرين. ألا وإن معاوية قاد لمة من الغواة (٤).
وعمس عليهم الخبر (٥) حتى جعلوا نحورهم أغراض المنية

الباطل ومشابهته لكان ظاهراً لا يخلو على من طلبه (١) الضغث بالكسر قبضة من
حشيش مختلط فيها الرطب باليابس، يريد أنه إن أخذ الحق من وجه لم يعدم شبيهاً له
من الباطل يلتبس به. وإن نظر إلى الباطل لاح كأن عليه صورة الحق فاشتبه به،
فذلك ضغث الحق وهذا ضغث الباطل. ومصادر الأهواء التي ينشأ عنها وقوع الفتن
إنما هي من الالتباس الواقع بين الحق والباطل (٢) الشریعة مورد الشاربة من
النهر (٣) طلبوا منكم أن تطعموهم القتال كما يقال فلان يستطعمني الحديث أي
يستدعيه مني. وقوله فقرروا الخ أي إما أن تثبتوا على الذل وتأخر المنزل، وإما أن ترووا
سيوفكم الخ (٤) اللمة بضم اللام وتشديد الميم الأصحاب في السفر، وبتخفيفها الجملة
القليلة مطلقاً، أو من الثلاثة إلى العشرة. والتقليل مستفاد من الأول بطريق الكناية،
ومن الثاني على الحقيقة الصريحة، وفي الأول الإشارة إلى أنهم ليسوا بأهل حرب
(٥) عمس الكتاب والخبر كنصر أخفاه. وعمست عليه إذا أريته أنك لا تعرف الأمر

٥٢ - ومن خطبة له عليه السلام (*)

ألا وإن الدنيا قد تصرمت وآذنت بوداع وتنكر معروفها.
وأدبرت حذاء (١). فهي تحفز بالفناء سكانها (٢) وتحذر بالموت جيرانها (٣)
وقد أمر منها ما كان حلوا. وكدر منها ما كان صفوا (٤). فلم يبق
منها إلا سملة كسملة الإداوة (٥). أو جرعة كجرعة المقلة، لو تمزرها
الصديان لم ينقع (٦). فأزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار، المقدور
على أهلها الزوال (٧). ولا يغلبنكم فيها الأمل ولا يطولن عليكم

وأنت به عارف، والأغراض جمع غرض وهو الهدف (١) حذاء: مسرعة. ورحم حذاء
مقطوعة غير موصولة. وفي رواية حذاء بالجيم أي مقطوعة الدر والخير (٢) تحفزهم
تدفعهم وتسوقهم، حفزه يحفزه دفعه من خلفه. أو هو بمعنى تطعنهم من حفزه بالرمح
طعنه (٣) تحذر بالراء من باب نصر وضرب أي تحوطهم بالموت. وفي رواية وهي
الصحيحة تحذو بالواو بعد الدال أي تسوقهم بالموت إلى الهلاك فتكون الفقرة في معنى
سابقتهما مؤكدة لها (٤) أمر الشيء صار مرا، وكدر كفرح كدرا وكظرف كدورة
تعكر وتغير لونه واختلط بما لا يساغ هو معه (٥) السملة محركة بقية الماء في الحوض.
والإداوة المطهرة (إناء الماء الذي يتطهر به) والمقلة بالفتح حصاة يضعها المسافرون في
إناء ثم يصبون الماء فيه ليغمرها فيتناول كل منهم مقدار ما غمرها لا يزيد أحدهم عن
الآخر في نصيبه، يفعلون ذلك إذا قل الماء وأرادوا قسمته بالسوية (٦) التمزز الامتصاص
قليلا قليلا، والصديان العطشان وقوله لم ينقع أي لم يرو (٧) فأزمعوا الرحيل أي
عزموا عليه. يقال أزمع الأمر ولا يقال أزمع عليه، وجوزه الفراء بمعنى عزم عليه وأجمع.

* في نسخة زيادة: " قد تقدم مختارها برواية ونذكرها هاهنا برواية أخرى لتغاير الروايتين "

الأمد. فوالله لو حننتم حين الوله العجال (١). ودعوتهم بهديل الحمام (٢) وجأرتهم جؤار متبتل الرهبان (٣). وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده أو غفران سيئة أحصتها كتبه، وحفظها رسله (٤)، لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه وأخاف عليكم من عقابه، والله لو انماثت قلوبكم انميأنا (٥) وسالت عيونكم من رغبة إليه أو رهبة منه دما، ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية (٦) ما جزت أعمالكم - ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم - أنعمه عليكم العظام وهداه إياكم للإيمان (٧)
٥٣ - في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية
ومن كمال الأضحية استشراف أذنها (٨) وسلامة عينها. فإذا سلمت

والمراد من العزم على الرحيل مراعاته والعمل له (١) كل أنثى فقدت ولدها فهي وآله ووالهة. والعجول من الإبل التي فقدت ولدها (٢) هديل الحمام صوته في بكائه لفقد الفه (٣) جأرتهم رفعتهم أصواتكم. والجؤار الصوت المرتفع، أي تضرعتم إلى الله بأرفع أصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل. والمتبتل المنقطع للعبادة (٤) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ أعمال العباد (٥) إنماثت ذابت (٦) ما الدنيا باقية أي مدة بقائها (٧) قوله ما جزت جواب لو انماثت. وقوله أنعمه عليكم العظام مفعول جزت أي ما كافأ ذلك أنعمه الكبار عليكم. وقوله ولو لم تبقوا شيئا الخ اعتراض بين الفاعل والمفعول لبيان غاية النفي في الجواب. وقوله وهداه إياكم عطف على أنعمه عطف الخاص على العام، فإن الهداية إلى الإيمان من أكبر النعم (٨) الأضحية الشاة التي

الأذن والعين سلمت الأضحية وتمت. ولو كانت عضباء القرن (١)
تجر رجلها إلى المنسك (٢) (قال الرضي والمنسك هنا المذبح)
٥٤ - ومن خطبة له عليه السلام

فتدأكوا على تذاك الإبل الهيم يوم وردها (٣) قد أرسلها راعيها
وخلعت مثنائها (٤) حتى ظننت أنهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض لدي.
وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره. فما وجدني يسعني إلا قتالهم
أو الجحود بما جاءني به محمد صلى الله عليه وآله (٥) فكانت معالجة
القتال أهون علي من معالجة العقاب. وموتات الدنيا أهون علي من
موتات الآخرة

طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى، واستشرف الأذن تفقدها
حتى لا تكون مجدوعة أو مشقوقة. وفي الحديث أمرنا أن نستشرف العين والأذن أي
نتفقدتها وذلك من كمال الأضحية أي من كمال عملها وتأدية سنتها، وتكون سلامة
عينها عطفًا على أذنها. وقد يراد من استشرف الأذن طولها وانتصابها. أذن شرفاء أي
منتصبة طويلة فسلامة عينها عطف على استشرف والتفسير الأول أمس بقوله فإذا
سلمت الأذن (١) عضباء القرن مكسورته (٢) تجر رجلها إلى المنسك أي عرجا.
والمنسك المذبح. وفي صفات الأضحية وعيوبها المخلة بها تفصيل وخلافات تطلب من
كتب الفقه (٣) تدأكوا تراحموا عليه ليبياعوه رغبة فيه. والهيم العطاش. ويوم وردها
يوم شربها (٤) جمع المثناة بفتح الميم وكسرهما حبل من صوف أو شعر يعقل به
البعير (٥) قتال البغاة من الواجب على الإمام، فإن لم يقاتلهم على قدرة منه كان منابذا

٥٥ - ومن كلام له عليه السلام
وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين
أما قولكم أكل ذلك كراهية الموت فوالله ما أبالي أدخلت
إلى الموت أو خرج الموت إلي (١). وأما قولكم شكاً في أهل الشام
فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي
بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن
كانت تبوء بآثامها

٥٦ - ومن كلام له عليه السلام
ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا
وإخواننا وأعمامنا. ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم (٢)

لأمر الله في ترك ما أوجبه عليه فكأنه جاحد لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
(١) روي أن أمير المؤمنين بعد ما ملك الماء على أصحاب معاوية ساهمهم فيه رجاء
أن يعطفوا إليه، ولزوما للمعدلة وحسن السيرة، ومكث أياماً لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه
منه شيء، واستبطأ الناس إذنه في قتال أهل الشام. واختلفوا في سبب التريث فقال
بعضهم كراهية الموت، وقال بعضهم الشك في جواز قتال أهل الشام، فأجابهم: أما الموت
لم يكن

ليبالي به، وأما الشك فلا موضع له وإنما يرجو بدفع الحرب أن يتجاوزوا إليه بلا قتال
فإن ذلك أحب إليه من القتال على الضلال وإن كان الإثم عليهم. وتبوء بآثامها ترجع
بها. وتعشو إلى ضوئه تستدل عليه وإن كان يبصر ضعيف في ظلام الفتن فتهتدي إليه.
عشا إلى النار أبصرها ليلاً يبصر ضعيف فقصدها (٢) اللقم بالتحريك معظم الطريق

وصبرا على مضض الألم وجدا في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منا
والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين. يتخالسان أنفسهما (١)
أيهما يسقي صاحبه كأس المنون. فمرة لنا من عدونا. ومرة لعدونا
منا. فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت (٢) وأنزل علينا النصر
حتى استقر الاسلام ملقيا جرانه (٣). ومتبونا أوطانه. ولعمري لو
كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود. ولا أخضر للإيمان عود. وأيم
الله لتحتلبنها دما (٤)، ولتتبعننا ندما

٥٧ - ومن كلام له عليه السلام لأصحابه
أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق
البطن (٥)

أو جادته. ومضض الألم لذعته وبرحائه (١) يتخالسان كل يطلب اختلاس روح الآخر.
والتصاول أن يحمل كل قرن على قرنه (٢) الكبت الذل والخذلان (٣) جران البعير
بالكسر مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره. وإلقاء الجران كناية عن التمكن
(٤) الاحتلاب استخراج ما في الضرع من اللبن. والضمير المنصوب يعود إلى أعمالهم
المفهومة من قوله ما أتيتم. واحتلاب الدم تمثيل لاجترارهم على أنفسهم سوء العاقبة من
أعمالهم، وسيتبعون تلك الأعمال بالندم عندما تصيبهم دائرة السوء أو تحل قريبا من
دارهم (٥) مندحق البطن عظيم البطن بارزه كأنه لعظمه مندلق من بدنه يكاد يبين
عنه. وأصل اندحق بمعنى اندلق وفي الرحم خاصة، والدحوق من النوق التي يخرج
رحمها عند الولادة. وزحج البلعوم واسعه. يقال عنى به زيادا. وبعضهم يقول عنى المغيرة

يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد. فاقتلوه ولن تقتلوه (١). ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني. فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة. وأما البراءة فلا تتبرأوا مني فأني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة (٢)

٥٨ - ومن كلام له عليه السلام
كلم به الخوارج (٣)

أصابكم حاصب (٤) ولا بقي منكم أبر. أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله أشهد على نفسي بالكفر. لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. فأوبوا شر مآب. وارجعوا على أثر الأعقاب. أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً. وسيفا قاطعا. وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة (٥)

ابن شعبة والبعض يقول معاوية (١) هذا الأمر (٢) قد تسب شخصا وأنت مكره ولحبه مستبطن فتنجو من شر من أكرهك. وما أكرهك على سبه إلا مستعظم لأمره يريد أن يحط منه وذلك زكاة للمسبوب. أما البراءة من شخص فهي الانسلاخ من مذهبه (٣) زعم الخوارج خطأ الإمام في التحكيم، وغلوا فشرطوا في العودة إلى طاعته أن يعترف بأنه كان كفر ثم آمن، فخاطبهم بما منه هذا الكلام (٤) الحاصب ريح شديدة تحمل الحصباء والجملة دعاء عليهم بالهلاك (٥) أوبوا شر مآب: انقلبوا شر منقلب بضلالكم في زعمكم، وارتدوا على أعقابكم بفساد هواكم فلن يضرني ذلك

(قوله عليه السلام) ولا بقي منكم آبر يروى بالباء والراء من قولهم رجل آبر للذي يأبر النخل أي يصلحه. ويروى أثر وهو الذي يَأْثُر الحديث أي يرويّه ويحكّيه، وهو أصح الوجوه عندي. كأنه عليه السلام قال (لا بقي منكم مخبر. ويروى آبز بالزاي المعجمة وهو الواثب. والهالك أيضا يقال له آبز)

٥٩ - قال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج وقيل له إنهم قد عبروا جسر النهر وان

مصارعهم دون النطفة. والله لا يفلت منهم عشرة (١) ولا يهلك منكم عشرة. (يعني بالنطفة ماء النهر وهو أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيرا جما)

٦٠ - ولما قتل الخوارج فقليل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم (قال عليه السلام) كلا والله إنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء (٢). كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم

شيئا وأنا على بصيرة في أمري. ثم أنذرهم بما سيلاقون من سوء المنقلب الأثرة والاستبداد فيهم والاختصاص بفوائد الملك دونهم وحرمانهم من كل حق لهم (١) أنه ما نجا منهم إلا تسعة تفرقوا في البلاد، وما قتل من أصحاب أمير المؤمنين إلا ثمانية (٢) قرارات النساء كناية عن الأرحام، وكلما نجا منهم قرن: أي كلما ظهر وطلع منهم

لصوصا سلايين. ٦١ - (وقال عليه السلام فيهم) لا تقتلوا الخوارج بعدي
فليس من طلب الحق فأخطأه كمن الباطل فأدركه. (يعني
معاوية وأصحابه (١))

٦٢ - ومن كلام له عليه السلام

لما خوف من الغيلة (٢)

وإن علي من الله جنة حصينة (٣)، فإذا جاء يومي انفرجت عني
وأسلمتني، فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم (٤)

٦٣ - ومن كلام له عليه السلام

ألا وإن الدنيا دار لا يسلم منها إلا فيها (٥). ولا ينجي بشئ

رئيس قتل حتى ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصا سلايين لا يقومون بملك
ولا ينتصرون إلى مذهب ولا يدعون إلى عقيدة شأن الأشرار الصعاليك الجهلة (١)
الخوارج من بعده وإن كانوا قد ضلوا بسوء عقيدتهم فيه إلا أن ضلتهم لشبهة
تمكنت من نفوسهم فاعتقدوا الخروج عن طاعة الإمام مما يوجب الدين عليهم. فقد
طلبوا حقا وتقريره شرعا فأخطأوا الصواب فيه، لكنهم بعد أمير المؤمنين يخرجون
بزعمهم هذا على من غلب على الأمرة بغير حق وهم الملوك الذين طلبوا الخلافة باطلا
فأدركوها وليسوا من أهلها. فالخوارج على ما بهم أحسن حالا منهم (٢) الغيلة القتل
على غرة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل (٣) جنة بالضم وقاية (٤) الكلم
بالفتح الجرح (٥) أي من أراد السلامة من محنتها فليهيئ وسائل النجاة وهو فيها

كان لها (١). أبتلي الناس بها فتنة فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه (٢). وما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه وأقاموا فيه. وإنها عند ذوي العقول كفى الظل (٣) بينا تراه سابغا حتى قلص (٤)، وزائدا حتى نقص

٦٤ - ومن خطبة له عليه السلام
واتقوا الله عباد الله. وبادروا آجالكم بأعمالكم (٥) وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم (٦). وترحلوا فقد جد بكم (٧). واستعدوا

إذ بعد الموت لا يمكن التدارك ولا ينفع الندم. فوسائل النجاة إما عمل صالح أو اقلاع عن خطيئة بتوبة نصوح كلاهما لا يكون إلا في دار التكليف وهي دار الدنيا (١) أي لا نجاة بعمل يعمل للدنيا إذ كل عمل يقصد به لذة دنيوية فانية فهو هلكة لا نجاة (٢) ما أخذوه منها لها كالمال يذخر للذة ويقتنى لقضاء الشهوة. وما أخذوه لغيرها

كالمال ينفق في سبيل الخيرات يقدم صاحبه في الآخرة على ثوابه بالنعيم المقيم (٣) إضافة الفئ إلى الظل إضافة الخاص للعام لأن الفئ لا يكون إلا بعد الزوال (٤) سابغا ممتدا سائرا للأرض. وقلص انقبض، وحتى هنا لمجرد الغاية بلا تدريج، أي أن غاية سبوغه الانقباض وغاية زيادته النقص (٥) بادروا الآجال بالأعمال أي سابقوها وعاجلوها بها أي استكملوا أعمالكم قبل حلول آجالكم (٦) ابتاعوا اشتروا ما يبقى من النعيم الأبدي بما يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية (٧) الترحل الانتقال والمراد منه هنا لازمه وهو إعداد الزاد الذي لا بد منه للراحل، والزاد في الانتقال عن الدنيا ليس إلا زاد التقوى. وقوله فقد جد بكم أي فقد حشتم وازعجتم إلى الرحيل، أو فقد

للموت فقد أظلكم (١). وكونوا قوماً صريح بهم فانتبهوا (٢). وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا. فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى (٣). وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به (٤). وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة (٥). وإن غائباً يحدوه الجديدان: - الليل والنهار - لحري بسرعة الأوبة (٦). وإن قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل

أسرع بكم مسترحلكم وأنتم لا تشعرون (١) الاستعداد للموت إعداد العدة له أو طلب العدة، للقاءه، ولا عدة له إلا الأعمال الصالحة. وقوله فقد أظلكم: أي قرب منكم حتى

كأن له ظلاً قد ألقاه عليكم (٢) أي كونوا قوماً حذرين إذا استنامتهم الغفلة وقتاً ما ثم صاح بهم صائح الموعظة انتبهوا من نومهم وهبوا لطلب نجاتهم. وقوله وعلموا أي آخره أي عرفوا الدنيا وأنها ليست بدار بقاء وقرار فاستبدلوها بدار الآخرة وهي الدار التي ينتقل إليها (٣) تعالى الله أن يفعل شيئاً عبثاً، وقد خلق الإنسان وآتاه قوة العقل التي تصغر عندها كل لذة دنيوية ولا تقف رغائبها عند حد منها مهما علت رتبته فكأنها مفطورة على استصغار كل ما تلاقيه في هذه الحياة وطلب غاية أعلى مما يمكن أن ينال فيها، فهذا الباعث الفطري لم يوجده الله تعالى عبثاً بل هو الدليل الوجداني المرشد إلى ما وراء هذه الحياة وسدى. أي مهملين بلا راع يزجركم عما يضركم ويسوقكم إلى ما ينفعكم. ورعاتنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخلفاؤهم (٤) أن ينزل به في محل الرفع بدل من الموت أي ليس بين الواحد منا وبين الجنة إلا نزول الموت به إن كان قد أعد لها عدتها، ولا بينه وبين النار إلا نزول الموت به إن كان قد عمل بعمل أهلها، فما بعد هذه الحياة إلا الحياة الأخرى وهي إما شقاء وإما نعيم (٥) تلك الغاية هي الأجل، وتنقصها أي تنقص أمد الانتهاء إليها، وكل لحظة تمر فهي نقص في الأمد بيننا وبين الأجل والساعة تهدم ركناً من ذلك الأمد وما كان كذلك فهو جدير بقصر المدة (٦) ذلك الغائب هو الموت، ويحدوه يسوقه، الجديدان الليل

العدة. فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا (١)
فاتقى عبد ربه. نصح نفسه. قدم توبته. وغلب شهوته (٢) فإن أجله
مستور عنه. وأمله خادع له. والشيطان موكل به يزين له المعصية
ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها (٣) حتى تنجم منيته عليه أغفل ما
يكون عنها (٤) فيالها حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة (٥)
وأن تؤديه أيامه إلى شقوة. نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم ممن
لا تبطره نعمة (٦) ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية. ولا تحل به بعد
الموت ندامة ولا كآبة

والنهار لأن الأجل المقسوم لك إن كان بعد ألف سنة فالليل والنهار بمرورهما عليك
يسوقان إليك ذلك المنتظر على رأس الألف وما أسرع مرهما والانتهاى إلى الغاية، وما
أسرع
أوبة لك الغائب الذي يسوقانه إليك. أي رجوعه. والموت هو ذلك القادم إما بفوز
وإما بشقوة. وعدته الأعمال الصالحات والملكات الفاضلة (١) ما تحرزون به أنفسكم أي
تحفظونها به وذلك هو تقوى الله في السر والنجوى وطاعة الشرع وعصيان الهوى
(٢) قوله فاتقى عبد ربه وما بعده أوامر بصيغة الماضي، ويجوز أن يكون بيانا للتزود
المأمور به في قوله فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم، أو بيانا لما يحرزون به
أنفسهم (٣) يسوفها أن يؤجلها ويؤخرها (٤) قوله أغفل ما يكون حال من الضمير في
عليه.

والمنية الموت أي لا يزال الشيطان يزين له المعصية ويمنيه بالتوبة أن تكون في مستقبل
العمر ليسوفها حتى يفاجئه الموت وهو في أشد الغفلة عنه (٥) يكون عمره حجة عليه
لأنه أوتي فيه المهلة ومكن فيه من العمل فلم ينشط له (٦) لا تبطره النعمة لا تطغيه ولا
تسدل

٦٥ - ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا (١). فيكون أولا قبل أن يكون آخرًا. ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا كل مسمى بالوحدة غيره قليل (٢). وكل عزيز غيره ذليل. وكل قوي غيره ضعيف. وكل مالك غيره مملوك. وكل عالم غيره متعلم. وكل قادر غيره يقدر ويعجز. وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات ويعصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها (٣). وكل بصير غيره يعمي عن

على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر إليه (١) ما لله من وصف فهو لذاته يجب بوجوبها،

فكما أن ذاته سبحانه لا يدنو منها التغير والتبدل، فكذلك أوصافه هي ثابتة له معا لا يسبق منها وصف وصفا وإن كان مفهومها قد يشعر بالتعاقب إذا أضيفت إلى غيره، فهو أول وآخر أزلا وأبدا، أي هو السابق بوجوده لكل موجود، وهو بذلك السابق باق لا يزول وكل وجود سواه فعلى أصل الزوال مبناه، ثم هو في ظهوره بأدلة وجوده باطن بكنهه لا تدركه العقول ولا تحوم عليه الأوهام (٢) الواحد أقل العدد ومن كان واحدا منفردا عن الشريك محروما من المعين كان محتقرا لضعفه ساقطا لقلة أنصاره. أما الوحدة في جانب الله فهي علو الذات عن التركيب المشعر بلزوم الانحلال وتفردا بالعظمة والسلطان وفناء كل ذات سواها إذا اعتبرت منقطعة النسبة إليها فوصف غير الله بالوحدة تقليل والكمال في عالمه أن يكون كثيرا، إلا الله فوصفه بالوحدة تقديس وتنزيه، وبقية الأوصاف ظاهرة (٣) السامعون من الحيوان والإنسان لقوى سمعهم حد محدود فما خفي من الأصوات لا يصل إليها فهي صماء عنه. فيصم بفتح الصاد مضارع صم إذا أصيب بالصمم وفقد السمع، وما عظم من الأصوات حتى فات المألوف

خفي الألوان ولطيف الأجسام. وكل ظاهر غيره باطن. وكل باطن غيره غير ظاهر (١). لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان. ولا تخوف من عواقب زمان. ولا استعانة على ند مثاور (٢). ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر. ولكن خلائق مربوبون. وعباد داخرون (٣) لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن. ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن (٤) لم يؤده خلق ما ابتداء (٥) ولا تدبير ما ذراً (٦) ولا وقف به عجز عما خلق. ولا ولجت عليه شبهة فيما وقدر (٧). بل قضاء متقن

الذي استطاع احتمالاً يحدث فيها الصمم بصدعه لها فيصم بكسر الصاد مضارع أصم وما بعد من الأصوات عن السامع بحيث لا يصل موج الهواء المتكيف بالصوت إليه ذهب عن تلك القوى فلا تناله، كل ذلك في غيره سبحانه، أما هو جل شأنه فيستوي عنده الخفي والشديد والقريب والبعيد لأن نسبة الأشياء إليه واحدة ومثل ذلك يقال في البصر والبصراء (١) الباطن هنا غيره فيما سبق أي كل ما هو ظاهر بوجوده الموهوب من الله سبحانه فهو باطن بذاته أي لا وجود له في نفسه فهو معدوم بحقيقته وكل باطن سواه فهو بهذا المعنى فلا يمكن أن يكون ظاهراً بذاته بل هو باطن أبداً (٢) الند النظير والمثل. والمثاور الموائب والمحارب. والشريك المكاثر أي المفاخر بالكثرة. هذا إذا قرئ بالثاء المثلثة، ويروى المكابر بالباء الموحدة أي المفاخر بالكبر والعظمة. وال ضد المنافر أي المحاكم في الرفعة والحسب، يقال نافرته في الحسب فنفرته أي

غلبته وأثبت رفعتي عليه (٣) مربوبون أي مملوكون. وداخرون أذلاء من دخر ذل وصغر (٤) لم ينأ عنها أي لم ينفصل انفصال الجسم حتى يقال هو بائن أي منفصل (٥) يؤده أي لم يثقله. آده الأمر أثقله وأتعبه (٦) ذراً أي خلق (٧) ولجت عليه

وعلم محكم. وأمر مبرم (١) المأمول مع النقم والمرهوب مع النعم

٦٦ - ومن كلام له عليه السلام

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

معاشر المسلمين استشعروا الخشية (٢) وتجلببوا السكينة

وعضوا على النواجذ (٣) فإنه أنبى للسيوف عن الهام وأكملوا

اللامه (٤) وقلقلوا السيوف في أعمادها قبل سلها (٥) والحظوا الخزر (٦)

واطعنوا الشزر (٧) وناقحوا بالظبا (٨) وصلوا السيوف بالخطا (٩). واعلموا

دخلت (١) محتوم. وأصله من أبرم الحبل جعله طاقين ثم فتله وبهذا أحكمه (٢) استشعر

لبس الشعار وهو ما يلي البدن من الثياب. وتجلبب لبس الجلباب وهو ما تغطي به

المرأة ثيابها من فوق، ولكون الخشية أي الخوف من الله غاشية قلبية عبر في جانبها

بالاستشعار، وعبر بالتجلبب في جانب السكينة لأنها عارضة تظهر في البدن كما لا يخفى

(٣) النواجذ جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس. ولكل إنسان أربعة نواجذ وهي بعد

الارحاء ويسمى الناجذ ضرس العقل لأنه ينبت بعد البلوغ. وإذا عضضت على ناجذك

تصلبت أعصابك وعضلاتك المتصلة بدماعك فكانت هامتك أصلب وأقوى على مقاومة

السيف فكان أنبى عنها وأبعد عن التأثير فيها. والهام جمع هامة وهي الرأس (٤) اللامه

الدرع، وإكمالها أن يزداد عليها البيضة والسواعد ونحوها. وقد يراد من اللامه آلات الحرب

والدفاع استيفائها (٥) مخافة أن تستعصى عن الخروج عند السل (٦) الخزر محرقة

النظر كأنه من أحد الشقين، وهو علامة الغضب (٧) اطعنوا بضم العين فإذا كان في

النسب مثلاً كان المضارع مفتوحاً وقد يفتح فيهما. والشزر بالفتح الطعن في الجوانب

يمينا وشمالاً (٨) ناقحوا كافحوا وضاربوا. والظبا بالضم جمع ظبة طرف السيف وحده

(٩) صلوا من الوصل أي اجعلوا سيوفكم متصلة بخطا أعدائكم جمع خطوة أو إذا

أنكم بعين الله (١) ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله.
فعاودوا الكر واستحيوا من الفر (٢) فإنه عار في الأعقاب ونار يوم
الحساب. وطيبوا عن أنفسكم نفسا. وامشوا إلى الموت مشيا سحجا (٣)
وعليكم بهذا السواد الأعظم. والرواق المطنب (٤). فاضربوا ثبجه (٥)
فإن الشيطان كامن في كسره (٦). قد قدم للوثبة يدا وآخر للنكوص
رجلا فصمدا صمدا (٧). حتى ينجلي لكم عمود الحق (وأنتم الأعلون
والله معكم ولن يترككم أعمالكم) (٨)

قصرت سيوفكم عن الوصول إلى أعدائكم فصلوها بخطاكم (١) بعين الله أي
ملحوظون بها (٢) الفر الفرار، وهو عار في الأعقاب أي في الأولاد لأنهم يعيرون بفرار
آبائهم. وقوله وطيبوا عن أنفسكم نفسا أي ارضوا ببذلها فإنكم تبذلونها اليوم
لتحرزوها غدا (٣) السجح بضم السين السهل (٤) الرواق ككتاب وغراب الفسطاط.
والمطنب المشدود بالأطناب جمع طناب بضم الطاء بضم طين حبلى يشد به سرادق البيت. وأراد بالسواد
الأعظم جمهور أهل الشام، والرواق رواق معاوية (٥) الشج بالتحريك الوسط (٦) كسره
بالكسر شقه الأسفل كناية عن الجوانب التي يفر إليها المنهزمون. والشيطان الكامن
في الكسر مصدر الأوامر بالهجوم والرجوع، فإن جبنتم مد يده للوثبة وإن شجعتم
آخر للنكوص والهزيمة رجله (٧) الصمد القصد، أي فاثبتوا على قصدكم (٨) لن ينقصكم

٦٧ - ومن كلام له عليه السلام في معنى الأنصار
قالوا لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام
أنباء السقيفة (١) بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله
قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا قالت منا أمير ومنكم أمير
قال عليه السلام

فهلا احتجتم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصى
بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم (قالوا وما في هذا من
الحجة عليهم) فقال عليه السلام لو كانت الإمارة فيهم لم تكن
الوصية بهم. ثم قال عليه السلام. فما ذا قالت قريش؟ قالوا احتجت
بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وسلم. فقال عليه السلام احتجوا
بالشجرة وأضاعوا الثمرة (٢)

٦٨ - ومن كلام له عليه السلام
لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكته عليه فقتل
وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة ولو وليته إياها لما خلى
لهم العرصة (٣)

شيئا من جزائها (١) سقيفة بني ساعدة اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
عليه وسلم لاختيار خليفة له (٢) يريد من الثمرة آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم
(٣) العرصة كل بقعة واسعة بين الدور، والمراد ما جعل لهم مجالا للمغالبة. وأراد بالعرصة

ولا أنهبهم الفرصة. بلا ذم لمحمد بن أبي بكر (١) فلقد كان إلي حبيبا وكان لي ريبا (٢)

٦٩ - ومن كلام له عليه السلام في ذم أصحابه
كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة (٣) والثياب المتداعية (٤)
كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر (٥) أكلما أطل عليكم
منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه وانجحر
انجحر الضبة في جحرها والضبع في وجارها (٦). الذليل والله من
نصرتموه. ومن رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصل (٧). وإنكم والله

عرصة مصر، وكان محمد قد فر من عدوه ظنا منه أن ينجو بنفسه فأدركوه وقتلوه (١) بلا
ذم لمحمد الخ لما يتوهم من مدح عتبة (٢) قالوا إن أسماء بنت عميس كانت
تحت جعفر بن أبي طالب فلما قتل تزوجها أبو بكر فولدت منه محمدا ثم تزوجها علي
بعده وتربى محمد في حجره وكان جاريا مجرى أولاده حتى قال علي كرم الله وجهه
محمد ابني من صلب أبي بكر (٣) البكار ككتاب جمع بكر الفتى من الإبل، والعمدة
بفتح فكسر التي انفضح داخل سنامها من الركوب وظاهره سليم (٤) المتداعية
الخلقة المتخرقة. ومداراتها استعمالها بالرفق التام (٥) حيصت خيطة، وتهتكت تخرقت
(٦) المنسر كمجلس ومنبر القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكثير، وأطل أشرف.
وانجحر دخل الجحر، والوجار بالكسر جحر الضبع وغيرها (٧) الأفوق من السهام
ما كسر فوقه أي موضع الوتر منه والناصل العاري من النصل. والسهم إذا كان مكسور
الفوق عاريا عن النصل لم يؤثر في الرمية. فهم في ضعف أثرهم وعجزهم عن النكاية

لكثير في الباحات (١) قليل تحت الرايات. وإني لعالم بما يصلحكم
ويقيم أودكم (٢) ولكني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي. أضرع
الله خدودكم (٣). وأتعس جدودكم (٤) لا تعرفون الحق كمعرفتكم
الباطل. ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق

٧٠ - وقال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه (٥)
ملكنتي عيني وأنا جالس (٦) فسنح لي رسول الله صلى الله عليه
 وآله فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود والدد! فقال
 ادع عليهم، فقلت أبدلني الله بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا لهم
مني (يعني بالأود الاعوجاج وبالدد الخصام وهذا من أفصح الكلام)
٧١ - ومن خطبة له عليه السلام في ذم أهل العراق
أما بعد يا أهل العراق فإنما أنتم كالمرأة الحامل حملت فلما
أتمت أملصت (٧) ومات قيمها وطال تأيمها وورثها أبعداها (٨) أما والله

بعدوهم أشبه به (١) الباحات الساحات (٢) أودكم بالتحريك اعوجاجكم (٣) أذل الله
وجوهكم (٤) وأتعس جدودكم وخط من حظوظكم. والتعس الانحطاط والهلاك والعثار
(٥) السحرة بالضم السحر على الأعلى من آخر الليل (٦) ملكنتي عيني غلبني النوم وسنح
لي رسول الله مربي. تسنح الطباء والطير (٧) أملصت ألقط ولدها ميتا (٨) قيمها

ما أتيتكم اختيارا ولكن جئت إليكم سوقا (١) ولقد بلغني أنكم تقولون علي يكذب. قاتلكم الله فعلى من أكذب. أعلى الله؟ فأنا أول من آمن به. أم على نبيه؟ فأنا أول من صدقه (٢). كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها (٣) ولم تكونوا من أهلها. ويلمه كيلا بغير ثمن (٤) لو كان له وعاء، ولتعلمن نبأه بعد حين

زوجها وتأييمها خلوها من الأزواج، يريد أنهم لما شارفوا استئصال أهل الشام وبدت لهم علامات الظفر بهم جنحوا إلى السلم إجابة لطلاب التحكيم فكان مثلهم مثل المرأة الحامل لما أتمت أشهر حملها ألقت ولدها بغير الدافع الطبيعي بالحادث العارضي كالضربة والسخطة وقلما تلقىه كذلك إلا هالكا. ولم يكتف في تمثيل خيبتهم في ذلك حتى قال ومات مع هذه الحالة زوجها وطال ذلها بفقدائها من يقوم عليها حتى إذا هلكت عن غير ولد ورثها الأبعد السافلون في درجة القرابة ممن لا يلتفت إلى نسبه (١) يقسم أنه لم يأت العراق مستنصرًا بأهله اختيارا لتفضيله إياهم على من سواهم. وإنما سيق إليهم بسائق الضرورة فإنه لولا وقعة الجمل لم يفارق المدينة المنورة. ويروى هذا الكلام بعبارة أخرى وهي (ما أتيتكم اختيارا ولا جئت إليكم شوقا) بالشين المعجمة (٢) كان كرم الله وجهه كثيرا ما يخبرهم بما لا يعرفون ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فيقول المنافقون من أصحابه إنه يكذب كما يقولون مثل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو يرد عليهم قولهم بأنه أول من آمن بالله وصدق برسوله فكيف يجترئ على الكذب على الله أو على رسوله مع قوة إيمانه وكمال يقينه ولا يجتمع كذب وإيمان صحيح (٣) لهجة غبتم عنها أي ضرب من الكلام أنتم في غيبة عنه أي بعد عن معناه ونبو طبع عما حواه فلا تفهمونه ولهذا تكذبونه (٤) ويلمه كلمة استعظام تقال في مقام المدح وإن كان أصل وضعها لصدده ومثل ذلك معروف في لسانهم، يقولون للرجل يعظمونه ويقرظونه لا أبا لك. وفي الحديث فاطمير بذات الدين تربت يداك، وفي كلام

٧٢ - ومن خطبة له عليه السلام
علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله
اللهم داحي المدحوات (١). وداعم المسموكات. وجابل القلوب
على فطرتها (٢) شقيها وسعيدها. اجعل شرائف صلواتك ونوامي
بركاتك (٣) على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق. والفتاح لما

الحسن يحدث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويعظم أمره: وما لك والتحكيم
والحق في يدك ولا أبا لك. وأصل الكلمة ويل أمه. وقوله كيلا مصدر محذوف أي أنا
أكيل لكم العلم والحكمة كيلا بلا ثمن لو أجد وعاء أكيل فيه، أي لو أجد نفوسا قابلة
وعقولا عاقلة (١) داحي المدحوات أي باسط المبسوطات وأراد منها الأرضين. وبسطها
أن تكون كل قطعة منها صالحة لأن تكون مستقرا ومجالا للبشر وسائر الحيوان
تتصرف عليها هذه المخلوقات في الأعمال التي وجهت إليها بهادي الغريزة كما هو
المشهود

لنظر الناظر وإن كانت الأرض في جملتها كروية الشكل. وداعم المسموكات مقيمها
وحافظها. دعمه كمنعه: أقامه وحفظه. والمسموكات المرفوعات وهي السماوات، وقد
يراد

من هذا الوصف المجعول لها سمكا يفوق كل سمك. والسمك الثخن المعروف في
اصطلاح

أهل الكلام بالعمق. ودعمه للسماوات أقامته لها وحفظها من الهوى بقوة معنوية وإن
لم يكن ذلك بدعامة حسية. قال صاحب القاموس المسموكات لحن والصواب مسمكات،
ولعل هذا في إطلاق اللفظ اسما للسماوات، أما لو أطلق صفة كما في كلام الإمام فهو
صحيح

فصيح بل لا يصح غيره فإن الفعل سمك لا أسمك (٢) جابل القلوب خالقها. والفطرة
أول حالات المخلوق التي يكون عليها في بدء وجوده، وهي للانسان حالته خاليا من
الآراء

والأهواء والديانات والعقائد. وقوله شقيها وسعيدها بدل من القلوب، أي جابل الشقي
والسعيد من القلوب على فطرته الأولى التي هو بها كاسب محض، فحسن اختياره يهديه
إلى السعادة وسوء تصرفه يضلله في طرق الشقاوة (٣) الشرائف جمع شريفة. والنوامي

انغلق. والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات الأباطيل. والدامغ
صولات الأضاليل. كما حمل فاضطلع (١) قائما بأمرك مستوفزا في
مرضاتك غير نأكل عن قدم. ولا واه في عزم (٢). واعيا لوحيك
حافظا لعهدك. ماضيا على نفاذ أمرك. حتى أوري قبس القابس
وأضء الطريق للخابط (٣) وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن.

الزوائد. والخاتم لما سبق أي لما تقدمه من النبوات. والفتاح لما انغلق كانت أبواب
القلوب قد أغلقت بأقفال الضلال عن طوارق الهداية فافتتحها صلى الله عليه وسلم
بآيات نبوته، وأعلن الحق وأظهره بالحق والبرهان. والأباطيل جمع باطل على غير
قياس، كما أن الأضاليل جمع ضلال على غير قياس. وجيشاتها جمع جيشة من جاشت
القدر إذا ارتفع غليانها. والصولات جمع صولة وهي السطوة. والدامغ من دمغه إذا
شجه حتى بلغت الشجة دماغه، والمراد أنه قامع ما نجم من الباطل والكاسر لشوكة
الضلال وسطوته وذلك بسطوع البرهان وظهور الحجة (١) أي أعلن الحق بالحق
وقمع الباطل وقهر الضلال كما حمل تلك الأعمال الجليلة بتحميله أعباء الرسالة. فاضطلع
أي

نهض بها قويا. والضلاعة القوة. والمستوفز المسارع المستعجل، وقد تكون الكاف
في كما حمل للتعليل كما في قوله.

فقلت له أبا الملحاة خذها * كما أوسعتنا بغيا وعدوا

(٢) الناكل الناكص والمتأخر. أي غير جبان يتأخر عند وجوب الإقدام. والقدم
بضمين المشي إلى الحرب، ويقال مضى قدما أي سار ولم يعرج. والواهي الضعيف
واعيا أي حافظا وفاهما. وعيت الحديث حفظته وفهمته. وماضيا على نفاذ أمرك أي
ذاهبا في سيره على ما فيه نفاذ أمر الله سبحانه (٣) يقال وري الزند كوعى. وولى
يرى وريا وريا ورية فهو وار: خرجت ناره. وأوريته ووريته واستوريته. والقبس
شعلة من النار. والقابس الذي يطلب النار. يقال قبست نارا فاقبسنى، أي طلبت منها
فأعطاني. والكلام تمثيل لنجاح طلاب الحق ببلوغ طلبتهم منه وإشراق النفوس

وأقام موضحات الأعلام ونيرات الأحكام. فهو أمينك المأمون
وخازن علمك المخزون (١). وشهيدك يوم الدين (٢) وبعيثك بالحق (٣).
ورسولك إلى الخلق. اللهم افسح له مفسحا في ظلك (٤) واجزه
مضاعفات الخير من فضلك. اللهم أعل على بناء البانين بناءه (٥)
وأكرم لديك منزلته، وأتمم له نوره، واجزه من ابتعائك له
مقبول الشهادة ومرضي المقالة (٦) ذا منطق عدل. وخطة فصل. اللهم

المستعدة لقبوله بما سطع من أنواره. والخابط الذي يسير ليلا على غير جادة واضحة،
فأضاء الطريق له جعلها مضيئة ظاهرة فاستقام عليها سائرا إلى الغاية وهي السعادة،
فكان في ذلك أن هديت به القلوب إلى ما فيه سعادتها بعد أن خاضت الفتن أطوار
واقترحتها مرارا. والخوضات جمع خوضة المرة من الخوض كما قال وهديت به
القلوب الخ. والأعلام جمع علم بالتحريك ما يستدل به على الطريق كالمنار ونحوه،
والأعلام موضحات الطرق لأنها تبينها للناس وتكشفها (١) العلم المخزون ما اختص
الله به من شاء من عباده ولم ييح لغير أهل الحظوة به أن يطلعوا عليه وذلك مما
لا يتعلق بالأحكام الشرعية (٢) شهيدك شاهدك على الناس كما قال الله تعالى (فكيف
إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) (٣) بعيثك أي مبعوثك
فهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وطريح (٤) افسح له وسع له ما شئت أن توسع في
ظلك أي إحسانك وبرك فيكون الظل مجازا. ومضاعفات الخير أطواره ودرجاته
(٥) أراد من بنائه ما شيده صلى الله عليه وسلم بأمر ربه من الشريعة العادلة. والهدى
الفاضل مما يلجأ إليه التائهون ويأوى إليه المضطهدون، فالإمام يسأل الله أن يعلي
بناء شريعته على جميع الشرائع ويرفع شأن هديه فوق كل هدى لغيره. وإكرام المنزلة
بإتمام النور، والمراد من إتمام النور تأييد الدين حتى يعم أهل الأرض ويظهر على
الدين كله كما وعده بذلك. إكرام المنزلة في الآخرة، فقد تقدم في قوله افسح له واجزه
مضاعفات الخير (٦) أي اجزه على بعثتك له إلى الخلق وقيامه بما حملته واجعل ثوابه

اجمع بيننا وبينه في برد العيش وقرار النعمة (١)، ومنى الشهوات.
وأهواء اللذات ورخاء الدعة. ومنتهى الطمأنينة. وتحف الكرامة (٢)
٧٣ - ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة
(قالوا أخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل فاستشفع الحسن
والحسين عليهما السلام (٣) إلى أمير المؤمنين عليه السلام
فكلماه فيه فخلى سبيله. فقالا له يبايعك يا أمير المؤمنين فقال عليه
السلام)

أو لم يبايعني بعد (*) قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته إنها. كف (٤)

على ذلك الشهادة المقبولة والمقالة المرضية يوم القيامة، وتلك الشهادة والمقالة تصدران
منه وهو ذو منطق عدل وخطئة أي أمر فاضل، ويروى وخطبة بزيادة باء بعد الطاء أي
مقال فاضل، وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم يقوم ذلك المقام يوم القيامة فيشهد على
أمتة وعلى غيرهم من الأمم فيكون كلامه الفصل (١) تقول العرب عيش بارد أي
لا حرب فيه ولا نزاع، لأن البرد والسكون متلازمان تلازم الحرارة والحركة. وقرار النعمة
مستقرها حيث تدوم ولا تفنى (٢) منى جمع منية بالضم ما يتمناه الإنسان لنفسه.
والشبهات ما يشتهيها. يدعو بأن يتفق مع النبي صلى الله عليه وسلم في جميع رغباته
وميله. والرخاء من قولهم رجل رخي البال أي واسع الخيال. والدعة سكون النفس
واطمئنانها. والتحف جمع تحفة ما يكرم به الإنسان من البر واللطف وقد كان صلى الله
عليه وسلم من أرخى الناس بالا وألزمهم للطمأنينة وأعلاهم منزلة في القلوب، فالإمام
يطلب من الله أن يدنيه منه في جميع هذه الصفات الكريمة (٣) استشفعهما إليه سألهما
أن يشفعا له عنده. وليس من الجيد قولهم استشفعت به (٤) كف يهودية أي غادرة

* في نسخة: قبل قتل عثمان.

يهودية. لو بايعني بكفه لغدر بسبته (١) أما إن له إمرة كلعة
الكلب أنفه (٢). وهو أبو الأكبش الأربعة (٣) وستلقى الأمة منه
ومن ولده يوما أحمر

٧٤ - ومن كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعه عثمان
لقد علمتم أنني أحق الناس بها من غيري. ووالله لأسلمن ما سلمت
أموار المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة التماسا لأجر ذلك
وفضله، وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه (٤)

ماكرة (١) السبت بالفتح الاست وهو مما يحرص الانسان على إخفائه. وكنى به عن
الغدر الخفي واختاره لتحقير الغادر. وقد يكون ذلك إشارة إلى ما كانت تفعله سفهاء
العرب عند الغدر بعقد أو عهد من أنهم كانوا يحبسون عند ذكره استهزاء (٢) تصوير
لقصر مدنها وكانت تسعة أشهر (٣) جمع كبش وهو من القوم رئيسهم. وفسروا
الأكبش ببني عبد الملك بن مروان هذا وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام. قالوا ولم
يتول الخلافة أربعة إخوة سوى هؤلاء. ويجوز أن يراد بهم بنو مروان لصلبه وهم
عبد الملك وعبد العزيز وبشر ومحمد وكانوا كباشا أبطالا: أما عبد الملك فولى الخلافة
وولى محمد الجزيرة وعبد العزيز مصر وبشر العراق (٤) يقسم بالله ليسلمن الأمر في
الخلافة لعثمان ما دام التسليم غير ضار بالمسلمين وحافظا لهم من الفتنة طلبا لثواب الله
على ذلك وزهدا في الإمرة التي تنافسوها أي رغبوا فيها وإن كان في ذلك جور عليه
خاصة. وأهل الزخرف الذهب وكذلك الزبرج بكسرتين بينهما سكون، ثم أطلق على
كل مموه مزور. وأغلب ما يقال الزبرج على الزينة من وشى أو جوهر. ومن زخرفه
ليس للبيان ولكن حرف جر للتعليل أي أن الرغبة إنما كان الباعث عليها الزخرف

٧٥ - ومن كلام له عليه السلام
لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان
أو لم ينه أمية علمها بي عن قرفي (١). أو ما وزع الجهال سابقتي
عن تهمتي. ولما وعظهم الله به أبلغ من لساني (٢). أنا حجيج المارقين (٣)
وخصيم المرتابين. وعلى كتاب الله تعرض الأمثال (٤) وبما في الصدور
تجازى العباد

٧٦ - ومن خطبة له عليه السلام
رحم الله امرأ سمع حكما فوعى. ودعي إلى رشاد فدنا (٥).

والزبرج ولولا لزوم ذلك للإمارة ما كان فيها التنافس (١) قرفه قرفا بالفتح عابه. وعلمها
فاعل ينه، وأميه مفعول، أي ألم يكن في علم بني أمية بحالي ومكاني من الدين والتخرج
من سفك الدماء بغير حق ما ينهاهم عن أن يعيوني بالاشتراك في دم عثمان خصوصا
وقد علموا أنني كنت له لا عليه، ومن أحسن الناس قولا فيه. وسابقته حاله المعلومة
لهم مما تقدم. ووزع بمعنى كف. والتهمة بفتح الهاء رميه بعيب الاشتراك في دم
عثمان (٢) ولما الخ اللام هي التي للتأكيد وما موصول مبتدأ وأبلغ خبره والله قد وعظهم
في الغيبة بأنها في منزلة أكل لحم الأخ ميتا (٣) حجيج المارقين أي خصيمهم.
والمارقون الخارجون من الدين. والمرتابون الذين لا يقين لهم. وهو كرم الله وجهه
قارعهم بالبرهان الساطع فغالبهم (٤) الأمثال متشابهات الأعمال والحوادث تعرض
على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع وما خالفه فهو الباطل الممنوع، وهو كرم الله
وجهه قد جرى على حكم كتاب الله في أعماله فليس للغامر عليه أن يشير إليه بمطعن
ما دام ملتزما لأحكام الكتاب (٥) الحكم هنا الحكمة قال الله تعالى (وآتيناه الحكم

وأخذ بحجزة هاد فنجا (١). راقب ربه. وخاف ذنبه. قدم خالصا
وعمل صالحا. اكتسب مذكورا (٢). واجتنب محذورا. رمى غرضا
وأحرز عوضا (٣) كابر هواه. وكذب مناه. جعل الصبر مطية نجاته
والتقوى عدة وفاته. ركب الطريقة الغراء (٤)، ولزم المحجة البيضاء.
إغتتم المهمل (٥) وبادر الأجل وتزود من العمل
٧٧ - ومن كلام له عليه السلام

إن بني أمية ليفوقوني تراث محمد صلى الله عليه وآله تفويقا والله لئن
بقيت لهم لأنفضنهم اللحم الودام التربة (ويروى التراب الودمة).
وهو على القلب (٦)) قوله عليه السلام ليفوقوني أي يعطونني من

صيبا) ووعى حفظ وفهم المراد واعتبر بما سمع وعمل عليه. ودنا قرب من الرشاد الذي
دعى إليه (١) الحجرة بالضم معقد الإزار ومن السراويل موضع التكة، والمراد الاقتداء
والتمسك. يقال أخذ فلان بحجزة فلان إذا اعتصم به ولجأ إليه (٢) اكتسب مذكورا
كسب بالعمل الجليل ثوبا يذخره ويعدده لوقت حاجته في الآخرة (٣) رمى غرضا قصد
إلى الحق فأصابه. وكابر هواه غالبه، ويروى كاثر بالمثلثة أي غالبه بكثرة أفكاره الصائبة
فغلبه (٤) الغراء النيرة الواضحة. والمحجة جادة الطريق ومعظمه. والطريقة الغراء
والمحجة البيضاء سبيل الحق ومنهج العدل (٥) المهمل هنا مدة الحياة مع العافية فإنه
أمهل فيها دون أن يؤخذ بالموت أو تحل به بائقة عذاب، فهو يغتنم ذلك ليعمل فيه
لآخرته فيبادر الأجل قبل حلوله بما يتزوده من طيب العمل (٦) على القلب أي أن
الحقيقة الودام التربة كما في الرواية الأولى لا التراب الودمة إذ لا معنى له، فهذه الرواية يراد

المال قليلا قليلا كفواق الناقة. وهو الحلبة الواحدة من لبنها.
والوذام جمع وذمة وهي الحزة من الكرش أو الكبد تقع في التراب
فتنفض (١)

٧٨ - ومن كلمات كان يدعو بها عليه السلام
اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني. فإن عدت فعد علي بالمغفرة.
اللهم اغفر لي ما وأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي (٢). اللهم
اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي (٣). اللهم اغفر لي
رمزات الألفاظ. وسقطات الألفاظ. وشهوات الجنان. وهفوات
اللسان (٤)

منها مقلوبها (١) الحزة بالضم القطعة. وفسر صاحب القاموس الوذمة بمجموع المعى
والكرش (٢) وأيت وعدت. وأي كوعى: وعد وضمن، إذا عزمت على عمل خير
فكأنك وعدت من نفسك بتأدية أمر الله فإن لم توف به فكأن الله لم يجد عندك
وفاء بما وعدته فتكون قد أخلفته ومخلف الوعد مسيء، فهو يطلب المغفرة على هذا
النوع من الإساءة (٣) تقرب باللسان مع مخالفة القلب كان يقول الحمد لله على كل
حال

ويسخط على أغلب الأحوال، أو يقول إياك نعبد وإياك نستعين وهو يستعين بغير الله
ويعظم أشباهها ممن دونه (٤) رمزات الألفاظ الإشارة بها. والألفاظ جمع لحظ وهو
باطن العين، أما اللحاظ بالفتح وهو مؤخر العين فلا أعرف له جمعا إلا لحظ بضميتين.
وسقطات الألفاظ لغوها. والجنان القلب. وشهواته ما يكون من ميل منه إلى غير الفضيلة

٧٩ - ومن كلام له عليه السلام
قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج فقال له
يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر
بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السلام
أترعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء.
وتخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضر (١)؟. فمن صدق
بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الإعانة بالله في نيل المحبوب
ودفع المكروه. وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليكَ الحمد
دون ربه لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع
وأمن الضر (ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال)
أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر (٢)
فإنها تدعو إلى الكهانة والمنجم كالكاهن (٣) والكاهن كالساحر

وهفوات اللسان زلاته (١) حاق به الضر أحاط به (٢) طلب لنعلم علم الهيئة الفلكية
وسير النجوم وحركاتها للاهتمام بها، وإنما ينهى عما يسمى علم التنجيم وهو العلم المبني
على الاعتقاد بروحانية الكواكب، وأن لتلك الروحانية العلوية سلطانا معنويا على
العوالم العنصرية، وأن من يتصل بأرواحها بنوع من الاستعداد ومعاونة من الرياضة
تكاشفه بما غيب من أسرار الحال والاستقبال (٣) الكاهن من يدعي كشف الغيب

والساحر كالكافر والكافر في النار سيروا على اسم الله
٨٠ - ومن خطبة له عليه السلام بعد حرب الجمل في ذم النساء
معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان (١) نواقص الحظوظ نواقص
العقول. فأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام
حيضهن. وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث
الرجال. وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل
الواحد. فاتقوا شرار النساء. وكونوا من خيارهن على حذر ولا
تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر (٢)

وكلام أمير المؤمنين حجة حاسمة لخيالات المعتقدين بالرمل والجفر والتنجيم وما
شاكلها.

ودليل واضح على عدم صحتها ومنافاتها للأصول الشرعية والعقلية (١) خلق الله النساء
وحملهن على ثقل الولادة وتربية الأطفال إلى سن معين لا يكاد ينتهي حتى تستعد لحمل
وولادة وهكذا، فلا يكدن يفرغن من الولادة والتربية فكأنهن قد خصصن لتدبير أمر
المنزل وملازمته وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن، فخلق لهن من العقول
بقدر ما يحتجن إليه في هذا، وجاء الشرع مطابقا للفطرة فكن في أحكامه غير لاحقات
للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث (٢) لا يريد أن يترك المعروف لمجرد
أمرهن

به فإن في ترك المعروف مخالفة السنة الصالحة خصوصا إن كان المعروف من الواجبات
بل يريد أن لا يكون فعل المعروف صادرا عن مجرد طاعتهم، فإذا فعلت معروفا فافعله
لأنه معروف ولا تفعله امتثالا لأمر المرأة، ولقد قال الإمام قولا صدقته التجارب في
الأحقاب المتطاولة ولا استثناء مما قال إلا بعضا منهن وهبن فطرة تفوق في سموها ما
استوت به الفطن أو تقاربت أو أخذ سلطان من التربية طباعهن على خلاف ما

٨١ - ومن كلام له عليه السلام
أيها الناس الزهادة قصر الأمل. والشكر عند النعم. والورع
عند المحارم (١). فإن عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم (٢)
ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد أعذر الله إليكم بحجج
مسفرة، ظاهرة وكتب بارزة العذر واضحة (٣)
٨٢ - ومن كلام له عليه السلام في صفة الدنيا
ما أصف من دار أولها عناء. وآخرها فناء. في حلالها حساب. وفي

غرز فيها وحولها إلى غير ما وجهتها الجبلية إليه (١) الورع الكف عن الشبهات خوف
الوقوع في المحرمات أي إذا عرض المحرم فمن الزهادة أن تكف عما يشته به فضلا عنه.
والشكر عند النعم الاعتراف بأنها من الله والتصرف فيها على وفق ما شرع. وقصر
الأمل توجس الموت والاستعداد له بالعمل وليس المراد منه انتظار الموت بالبطالة (٢)
عزب

عنكم بعد عنكم وفاتكم. والإشارة إلى ما تقدم من قصر الأمل أي فإن عسر عليكم
أن تقصروا آمالكم وتكونوا من الزهادة على الكمال المطلوب لكم فلا يغلب الحرام
صبركم أي فلا يفتكم الركبان الآخرون وهما شكر النعم واجتناب المحرم فإن نسيان
الشكر يجر إلى البطر وارتكاب المحرم يفسد نظام الحياة المعاشية والمعادية. والبطر
والفساد مجلبة للنقم في الدنيا والشقاء في الآخرة (٣) أعذر بمعنى أنصف وأصله مما
همزته

للسلب فأعذرت فلانا سلبت عذره أي ما جعلت له عذرا يبيديه لو خالف ما نصحته به
ويقال أعذرت إلى فلان أي أقمت لنفسه عذرا واضحا فيما أنزله به من العقوبة
حيث حذرتة ونصحته. ويصح أن تكون العبارة في الكتاب على هذا المعنى أيضا بل
هو الأقرب من لفظ إليكم، ويكون الكلام على المجاز، وتنزيل قيام الحجة له منزلة

حرامها عقاب من استغنى فيها فتن. ومن افتقر فيها حزن. ومن ساعاها فاتته (١). ومن قعد عنها واتته. ومن أبصر بها بصرتة (٢). ومن أبصر إليها أعمته. (أقول وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام من أبصر بها بصرتة وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته، ولا يدرك غوره، ولا سيما إذا قرن إليه قوله: ومن أبصر إليها أعمته. فإنه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر إليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا).

قيام العذر لنا. والمسفرة الكاشفة عن نتائجها الصحيحة وبارزة العذر ظاهرته (١) من جرى معها في مطالبتها، والقصد اهتم بها وجد في طلبها. وقوله فاتته أي سبقته فإنه كلما نال شيئا فتحت له أبواب الآمال فيها فلا يكاد يقضي مطلوبا واحدا حتى يهتف به ألف مطلوب. وقوله ومن قعد عنها واتته يريد به أن من قوم اللذائذ الفانية بقيمتها الحقيقية وعلم أن الوصول إليها إنما يكون بالعناء وفواتها يعقب الحسرة عليها، والتمتع بها لا يكاد يخلو من شوب الألم فقد وافقته هذه الحياة وأراحته فإنه لا يأسف على فائت منها ولا يبطر لحاضر ولا يعاني ألم الانتظار لمقتبل (٢) أبصر بها أي جعلها مرآة عبرة تجلو لقلبه آثار الجد في عظام الأعمال وتمثل له هياكل المجد الباقية مما رفعته أيدي الكاملين وتكشف له عواقب أهل الجهالة من المترفين فقد صارت الدنيا له بصرا وحوادثها عبرا. وأما من أبصر إليها واشتغل بها فإنه يعمى عن كل خير فيها ويلهو

٨٣ - ومن خطبة له عليه السلام وهي من الخطب العجيبة وتسمى الغراء الحمد لله الذي على بحوله (١). ودنا بطوله (٢). مانح كل غنيمة وفضل. وكاشف كل عزيمة وأزل (٣) أحمدته على عواطف كرمه. وسوابغ نعمه (٤). وأومن به أولا باديا (٥). وأستهديه قريبا هاديا. وأستعينه قادرا قاهرا. وأتوكل عليه كافيا ناصرا. وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله. أرسله لإنفاذ أمره وإنهاء عذره (٦)

عن الباقيات بالزائلات وبئس ما اختار لنفسه (١) علا بحوله أي عز وارتفع عن جميع ما سواه لقوته المستعلية بسلطة الإيجاد على كل قوة (٢) دنا بطوله أي أنه مع علوه سبحانه وارتفاعه في عظمته فقد دنا وقرب من خلقه بطوله أي عطائه وإحسانه (٣) الأزل بالسكون الضيق والشدة. وكاشف الشدة المنقذ منها، كما أن مانح الغنيمة معطيها

المتفضل بها (٤) العواطف، ما يعطفك على غيرك ويدنيه من معروفك. وصفة الكرم في الجنب الإلهي وخلقته في البشر مما يعطف الكريم على موضع الاحسان. وسوابغ النعم كواملها من سبغ الظل إذا عم وشمل (٥) أولا باديا موضعه من سابقه كموضع قريبا هاديا، وما جاء به بعده من سوابقها فهي أحوال من الضمائر الراجعة إلى الله سبحانه وتعالى فيكون أول صفة نصبت على الحال من ضمير به أي أصدق بالله على أنه سابق كل شيء في الوجود فهو البادي أي الظاهر بذاته المظهر لغيره ومن كان كذلك لم تخالط التصديق به ريبة. والقريب الهادي جدير بأن تطلب منه الهداية. والقادر القاهر حقيق بأن يستعان به لأنه قوي على المعونة. والكافي الناصر حري بأن يتوكل عليه (٦) إنهاء عذره إبلاغه. والعذر هنا كناية عن الحجج العقلية والنقلية التي أقيمت ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم على أن من خالف شريعة الله استحق

وتقديم نذره (١). أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال (٢)
ووقت لكم الآجال. وألبسكم الرياش وأرفع لكم المعاش،
وأحاطكم بالإحصاء. وأرصد لكم الجزاء. وآثركم بالنعم
السوابغ والرغد الروافغ. وأنذركم بالحجج البوالغ. وأحصاكم
عددا. ووظف لكم مددا في قرار خبرة ودار عبدة. أنتم مختبرون
فيها ومحاسبون عليها فإن الدنيا رنق مشربها (٣) ردغ مشرعها. يونق
منظرها (٤) ويوبق مخبرها. غرور حائل (٥). وظل زائل. وسناد

العقاب ومن جرى عليها استحق جزيل الثواب (١) النذر جمع نذير أي الأخبار
الإلهية المنذرة بالعقاب على سوء الأعمال أو هو مفرد بمعنى الانذار (٢) ضرب الأمثال
جاء بها في الكلام لإيضاح الحجج وتقريرها في الأذهان. ووقت الآجال جعلها في أوقات
محدودة لا متقدم عنها ولا متأخر. والرياش ما ظهر من اللباس، ووجه النعمة فيه أنه
ساتر للعودة واق من الحر والبرد، وقد يراد بالرياش الخصب والغنى فيكون ألبسكم على
المجاز. وأرفع لكم أي أوسع يقال رفع عيشه بالضم رفاغة أي اتسع. وأحاطكم بالإحصاء
أي جعل إحصاء أعمالكم والعلم بها عملا كالسور لا تنفذون منه ولا تتعدونه ولا تشذ
عنه شادة. وأرصد لكم الجزاء أعده لكم فلا محيص عنه. والرغد جمع رفدة ككسرة
وكسر وهي العطية والصلة. والروافغ الواسعة. والحجج البوالغ الظاهرة المبينة. ووظف
لكم مددا أي قدر لكم. والمدد جمع مدة أي عين لكم أزمنة تحيون فيها. في قرار
خبرة أي في دار ابتلاء واختبار وهي دار الدنيا وفيها الاعتبار والاتعاظ والحساب
عليها أي على ما يؤتى من خير وشر (٣) رنق كفرح كدر، وردغ كثير الطين
والوحد. والمشرع مورد الشاربة للشرب (٤) يونق يعجب، ويوبق يهلك (٥) حائل
اسم فاعل من حال إذا تحول وانتقل أي إن شأنها الغرور الذي لا بقاء له، وجاء في
بعض الروايات بعد هذه الفقرة (وضوء آفل) أي غائب لا يلبث أن يظهر حتى يغيب

مائل (١) حتى إذا أنس نافرهما واطمأن ناكرها قمصت بأرجلها (٢). وقنصت بأجلها. وأقصدت بأسهمها. وأعلقت المرء أوهاق المنية (٣). قائدة له إلى ضنك المضجع (٤) ووحشة المرجع. ومعينة المحل (٥) وثواب العمل. وكذلك الخلف يعقب السلف. لا تقلع المنية اختراما (٦) ولا يرعوي الباكون اجتراما (٧). يحتذون مثالا ويمضون أرسالا إلى غاية الانتهاء. وصيور الفناء (٨) حتى إذا تصرمت الأمور وتقضت

(١) السناد بالكسر ما يستند إليه ودعامة يسند بها السقف، وناكرها اسم فاعل من نكر الشيء كعلمه أي جهله فأنكره (٢) قمص الفرس وغيره يقمص من باب ضرب ونصر قمصا وقمصا أي استن وهو أن يرفع يديه ويطحرحهما معا ويعجب، وفي المثل المضروب لضعيف لا حراك به وعزيز ذل (ما بالغير من قماص) وإنما قال أرجل وليس للدابة إلا رجلان لأنه نزل اليدين لها منزلة الأرجل لأن المشي على جميعها وروى بأرجلها بالحاء جمع رحل: الناقة، وقنصت بأجلها أي اصطادت وأوقعت من اغتر بها في شباكها وحبالها، وأقصدت قتلت مكانها من غير تأخير (٣) علقت به وربطت بعنقه. أوهاق المنية جمع وهق بالتحريك والتسكين أي حبال الموت (٤) ضنك المضجع ضيق المرقد والمراد القبر (٥) معينة المحل مشاهدة مكانه من النعيم والجحيم. وثواب العمل جزاؤه الأعم من شقاء وسعادة. والخلف المتأخرون والسلف المتقدمون. ويعقب السلف يروى فعلا أي يتبع. ويروى بعقب بباء الجر فيكون عقب بالسكون بمعنى بعد وأصله جرى الفرس بعد جريه. يقال لهذا الفرس عقب حسن (٦) لا تقلع أي لا تكف المنية عن احترامها أي استئصالها للأحياء (٧) لا يرعوي الباكون أي لا يرجعون ولا يكفون عن اجترام السيئات ويحتذون مثالا أي يشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم ويقتدون بهم، ويمضون أرسالا جمع رسل بالتحريك وهو القطيع من الإبل والغنم والخيول (٨) صيور الأمر كتنور مصيره وما يؤول إليه، يريد الإمام من

الدهور وأزف النشور (١) أخرجهم من ضرائح القبور وأو كار
الطيور. وأوجرة السباع. ومطارح المهالك سراعاً إلى أمره.
مهطعين إلى معاده (٢). رعيلاً صموتا قياماً صفوفا ينفذهم البصر (٣)
ويسمعهم الداعي. عليهم لبوس الاستكانة (٤). وضرع الاستسلام
والذلة. قد ضلت الحيل. وانقطع الأمل. وهوت الأفئدة كاظمة (٥)
وخشعت الأصوات مهينة. وألجم العرق. وعظم الشفق وأرعدت

ذلك أن الدنيا لا تزال تغر بنيتها ليأنسوا إليها بالارتياح إلى لذائذها واستسهال احتمال
آلامها ثم تنقلب بهم إلى ما لا بد منه وهم في غفلة لاهون (١) أزف النشور قرب البعث،
والضمير في أخرجهم إلى البعث على سبيل المجاز أو إلى الله تعالى. والضرائح جمع
ضريح

الشق وسط القبر وأصله من ضرحه دفعه وأبعده فإن المقبور مدفوع منبوذ وهو أبعد
الأشياء عن الأحياء. والأو كار جمع وكر مسكن الطير. والأوجرة جمع وجار ككتاب
الجحر، والذين يبعثون من الأو كار والأوجرة هم الذين افترسهم الطيور الصائدة
والسباع الكاسرة (٢) مهطعين أي مسرعين إلى معاده سبحانه الذي وعد أن يعيدهم
فيه، وقوله الرعيلى القطعة من الخيل. شبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيلى
الخيلى أى الجملة القليلة منها لأن الاسراع لا يدع أحدا منهم ينفرد عن الآخر فإن
الانفراد من الإبطاء، ولا يدعهم يجتمعون جما فإن التضام والالتفاف إنما يكون من
الاطمئنان (٣) ينفذهم البصر بجاوزهم أي يأتي عليهم ويحيط بهم أي لا يعزب واحد
منهم عن بصر الله (٤) اللبوس بالفتح ما يلبس. والاستكانة الخضوع. والضرع
بالتحريك الوهن والضعف والخشوع، هذا لو جعلنا عليهم متعلقاً بمحذوف خبر عن
لبوس وضرع فإن جعلناه متعلقاً بالداعي بمعنى المنادى والصائح عليهم جعلنا لبوس
جملة مبتدأ، ويكون لبوس جمع لابس، وضرع محركة اسم جمع للضريع بمعنى الدليل
(٥) هوت القلوب خلت من المسرة والأمل من النجاة، كاظمة أى ساكنة كاظمة لما

الاسماع لزبرة الداعي إلى فصل الخطاب (١) ومقابضة الجزاء. ونكال العقاب. ونوال الثواب. عباد مخلوقون اقتدارا. ومربوبون اقتسارا (٢) ومقبوضون احتضارا. ومضمنون أجداثا. وكائنون رفاتا. ومبعوثون أفرادا. ومدينون جزاء. ومميزون حسابا. قد أمهلوا في طلب المخرج (٣)

يزعجها من الفزع ومهينة أي متخافية، والهيمنة الكلام الخفي، وألجم العرق كثر حتى امتلأت به الأفواه لغزارته فمنعها من النطق وكان كاللجام. والشفق محرقة الخوف (١) أرعدت عرتها الرعدة. وزبرة الداعي صوته وصيحته ولا يقال زبره إلا إذا كان فيها زجر وانتهاز فإنها واحدة الزبر أي الكلام الشديد، والمقابضة المعاوضة أي مبادلة الجزاء الخير بالخير والشر بالشر (٢) مربوبون مملوكون، والاقتراس الغلبة والقهر أي أنهم كما خلقوا باقتدار الله سبحانه وقوته فهم مملوكون له بسطوة عزته لا خيرة لهم في ذلك وإذا جاء الأجل قبضت أرواحهم إليه بما يحضر عند الأجل من مرهقات الأرواح والقوى المسلطة على الفناء. واحتضر فلان حضرته الملائكة تقبض روحه. وكانت العرب تقول لبن محتضر أي فاسد يعنون أن الجن حضرته، يقال اللبن محتضر فغط إناءك. والأجداث جمع جدث وهو القبر واجتدث الرجل اتخذ حدثا. ويقال جدف بالفاء. ومضمون الأجداث مجعولون في ضمنها. والرفات الحطام ويقال رفته كنصر وضرب أي كسره ودقه أي فته بيده كما يفت المدر والعظم البالي. ومبعوثون أفرادا أي كل يسأل عن نفسه لا يلتفت لرابطة تجمعهم مع غيره. ومدينون أي مجزيون والدين الجزاء قال "مالك يوم الدين" ومميزون حسابا كل يحاسب على عمله منفصلا عن

سواه (لا تزر وازرة وزر أخرى) (٣) المخرج المخلص من ربقة المعصية بالتوبة، والإنابة المخلصة، والمنهج الطريق الواضحة التي دلت عليها الشريعة المطهرة والمستعيب المسترضى

ويقال أيضا استعيبه أناله العتبي وهي الرضى. وإنما ضرب المثل بمهل المستعيب لأنك إذا استرضيت شخصا وطلبت منه أن يرضى لا ترهقه في المطالبة بل تفسح له حتى يرضى بقلبه لا بلسانه، أي أن الله فسح لهم في الآجال حتى يتمكنوا من إرضائه وأوتوا من العمر مهلة من ينال العتبي أي الرضا لو أحسن العمل. استعيبه أناله العتبي فهو المستعيب والمفعول

وهدوا سبيل المنهج. وعمرؤا مهل المستعتب. وكشفت عنهم سدف الريب (١) وخلوا لمضمار الجياد (٢). وروية الارتياذ. وأناة المقتبس المرتاد (٣) في مدة الأجل ومضطرب المهل. فيالها أمثالا صائبة. ومواعظ شافية. لو صادفت قلوبا زاكية. وأسماعا واعية. وآراء عازمة. وألبابا حازمة. فاتقوا الله تقيه من سمع فخشع. واقترف فاعترف (٤) ووجل فعمل، وحاذر فبادر. وأيقن فأحسن. وعبر فاعتبر. وحذر فازدجر وأجاب فأجاب (٥). ورجع فتاب. واقتدى فاحتذى. وأرى فرأى.

مستعتب (١) السدف جمع سدفة بالفتح الظلمة، والريب جمع ريبة وهي الشبهة وإبهام الأمر، وكشف ذلك بما أبان من البراهين الواضحة (٢) خلوا تركوا في مجال يتسابقون فيه إلى الخيرات. والجياد من الخيل كرامها، والمضمار المكان الذي تضرر فيه الخيل، والمدة التي تضرر فيها أيضا. والروية أعمال الفكر في الأمر ليأتي على أسلم وجوهه والارتياذ هنا طلب ما يرد (٣) الأناة الانتظار والتؤدة. والمقتبس المرتاد أي الذي أخذ بيده مصباحا ليرتاد على ضوءه شيئا غاب عنه، ومثل هذا يتأني في حركته خوف أن يطفأ مصباحه وخشية أن يفوته في بعض خطواته ما يفتش عليه لو أسرع فلذا ضرب المثل به. والمضطرب مدة الاضطراب أي الحركة في العمل (٤) اقترف اكتسب ومثله قرف

يقرف لعياله أي يكسب، ووجل خاف وجلا ومؤجلا بفتح الميم والجيم. وبادر سارع. وعبر مبني للمجهول مشدد الباء أي عرضت عليه العبر مرارا كثيرة فاعتبر أي اتعظ وحذر مبني للمجهول أيضا أي خوف من عواقب الخطايا، فازدجر أي امتنع عنها ويروى وحذر فحذر وزجر فازدجر (٥) أجاب داعي الله إلى طاعته فأجاب إليه أي رجع، واحتذى شاكل بين عمله وعمل مقتداه أي أحسن القدوة. وأرى بضم الهمزة مبني للمجهول أي أرتة الشريعة ما يجب عليه وما يجب له وما يعقب الطاعة وما يعقب المعصية فرأى

فأسرع طالبا. ونجا هاربا. فأفاد ذخيرة (١) وأطاب سريرة. وعمر معادا.
واستظهر زادا (٢). ليوم رحيله. ووجه سبيله. وحال حاجته. وموطن فاقتته. وقدم أمامه لدار
مقامه. فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم
له (٣). واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه (٤) واستحقوا منه ما
أعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده (٥) والحذر من هول معاده
"منها" جعل لكم أسماعا لتعي ما عناها. وأبصارا لتجلو عن عشاها (٦)
وأشلاء جامعة لأعضائها. ملائمة لأحنائها (٧). في تركيب صورها ومدد

ذلك رؤية صحيحة ترتب عليها حسن العمل (١) أفاد الذخيرة استفادها واقتناها وهو
من الأضداد (٢) استظهر زادا حمل زادا. حمل ظهر راحلته إلى الآخرة والكلام تمثيل،
ووجه السبيل المقصد الذي يركب السبيل لأجله (٣) الجهة مثلثة الناحية والجانب وهو
ظرف متعلق بحال من ضمير اتقوا أي متوجهين جهة ما خلقكم لأجله من العمل
النافع لكم الباقي أثره لا خلافكم (٤) حذرنا من نفسه سبحانه أن نتعرض لما يغضبه
بمخالفة أوامره ونواهيه. وكنه ذلك غايته ونهايته أي احذروا نهاية ما حذركم ولا تقعوا
في شيء مما يغضبه وقد يكون المراد من كنه ما حذرنا هو البحث عن كنهه وحقيقته
فيأمرنا الإمام بالتقوى والبعد عن البحث في حقيقته وكنهه فإن الوصول إلى كنه
ذاته محال (٥) تنجز الوعد طلب وفائه على عجل وتنجز ما وعد الله إنما يكون بالعمل
له وبهذا التنجز العملي يستحق ما أعد الله للصالحين. والحذر معطوف على التنجز
(٦) عناها أهمها وتعيه تحفظه وتجلو من جلا عن المكان فارقه أي تخلص من عماها
أي لتبصر ولا تكون مبصرة حقيقة حتى يفيدها الأبصار حركة إلى نافع وانقباضا
عن ضار. والأشلاء جمع شلو الجسد أو العضو وعلى الثاني يكون المعنى أن كل عضو فيه
أعضاء باطنة أو صغيرة (٧) الأحناء جمع حنو بالكسر كل ما اعوج من البدن وملائمة

عمرها. بأبدان قائمة بأرفاقها (١) وقلوب رائدة لأرزاقها. في مجلدات
نعمه (٢) وموجبات مننه. وحواجز عافيته. وقدر لكم أعماراً سترها
عنكم. وخلف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم من مستمتع
خلاقهم ومستفسح خناقهم. أرهقتهم المنايا دون الآمال. وشذ بهم
عنها تخرم الآجال. لم يمهّدوا في سلامة الأبدان، ولم يعتبروا في أنف
الأوان (٣). فهل ينتظر أهل بضاضة الشباب إلا حواني الهرم. وأهل
غضارة الصحة إلا نوازل السقم. وأهل مدة البقاء إلا آونة الفناء (٤)
مع قرب الزيال (٥) وأزوف الانتقال وعلز القلق. وألم المضض
وغصص الحرض. وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والأقرباء والأعزة

الأعضاء لها تناسبها معها، وقد يراد من الأحناء الجهات والجوانب. وملائمة حال من
الأعضاء، وملاءمة الأعضاء للجهات التي وضعت فيها أن يكون العضو في تلك الجهة أنفع
منه في غيرها، تكون العين في موضعها المعروف أنفع من كونها في قمة الرأس مثلاً،
وقوله تركيب صورها أي آتية في صورها المركبة كما تقول ركب في سلاحه أي متسلحاً
(١) الارفاق جمع رفق بالكسر المنفعة أو ما يستعان به عليها. ورائدة أي طالبة
(٢) مجلدات على صيغة اسم الفاعل من جلله بمعنى غطاه أي غامرات نعمه من قولهم
سحاب مجلل أي يطبق الأرض (٣) الخلاق النصيب الوافر من الخير، والخنق بالفتح
حبس يخنق به وبالضم داء يمتنع معه نفوذ النفس، وأرهقتهم أعجلتهم، وأنف بضمين
يقال أمر أنف مستأنف لم يسبق به قدر والأنف أيضاً المشية الحسنة (٤) البضاضة
رخص ورقة الجلد وامتلاؤه والغضارة النعمة والسعة والخصب (٥) الزيال مصدر زايله

والقرناء. فهل دفعت الأقارب أو نفعت النواحب (١) وقد غودر في محلة
الأموات رهينا (٢) وفي ضيق المضجع وحيدا. قد هتكت الهوام
جلدته (٣) وأبليت النواهلك جدته. وعفت العواصف آثاره. ومحا
الحدثان معالمه (٤) وصارت الأجساد شحبة بعد بضتها، والعظام نخرة
بعد قوتها (٥) والأرواح مرتهنة بثقل أعبائها (٦) موقنة بغيب أنبائها.
لا تستزاد من صالح عملها، ولا تستعتب من سئ زللها (٧) أو لستم
أبناء القوم والآباء، وإخوانهم والأقرباء. تحتذون أمثلتهم. وتركبون
قدتهم (٨) وتطأون جادتهم. فالقلوب قاسية عن حظها. لاهية عن

مزايلة وزيالا فارقه (١) الأزوف الدنو والقرب والعز قلق وخفة وهلع يصيب المريض
والمحتضر. والمضض بلوغ الحزن من القلب، والجرض الريق، والحفدة البنات وأولاد
الأولاد والأصهار (٢) غودر ترك وبقي، ورهينا حبسا (٣) هتكت جذبت جلدته
فقطعتها. والهوام الحيات وكل ذي سم يقتل (٤) النواهلك من قولهم نهكه السلطان
إذا بالغ في عقوبته. وعفت أي محت، والعواصف الرياح الشديدة، والمعالم جمع معلم
وهو ما يستدل به (٥) الشحبة بفتح فكسر الهالكة. البضة هنا الواحدة من البض
وهو مصدر بض الماء إذا ترشح قليلا قليلا أي بعد امتلائها حتى كان الماء يترشح منها.
ونخرة بالية (٦) الأعباء الأثقال جمع عبء أي حمل. وموقنة بغيب أنبائها أي منكشفا
لها ما كان غائبا عنها من أخبارها وما أعد لها في الآخرة (٧) لا تستزاد الخ أي لا يطلب
منها زيادة العمل فإنه لا عمل بعد الموت. ولا تستعتب مبني للمفعول أي لا يطلب منها
تقديم العتبي أي التوبة من العمل القبيح أو مبني للفاعل أي لا يمكنها أن تطلب الرضاء
والإقالة من خطئها السئ (٨) القدة بكسر فتشديد الطريقة. وتطأون جادتهم تسIRON

رشدھا سالکۃ فی غیر مضمارھا. کأن المعنی سواھا (١) وکأن الرشد فی إحراز دنیاھا. واعلموا أن مجازکم علی الصراط ومزالق دحضه وأھاویل زللہ وتارات أهواله (٢) فاتقوا اللہ تقیۃ ذی لب شغل التفکر قلبه. وأنصب الخوف بدنه (٣)، وأسهر التهجد غرار نومه وأظماً الرجاء هواجر یومه وظلف الزهد شهواته، وأرجف الذکر بلسانه وقدم الخوف لإبانہ، وتنكب المخالجات عن وضح السبیل، وسلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب، ولم تفتله فاتلات الغرور (٤)، ولم تعم

علی سبیلهم بلا انحراف عنهم فی شئ أی یصیبکم ما أصابهم بلا أقل تفاوت (١) کأن المعنی أی المقصود بالتکالیف الشرعیۃ والموجه إلیه التحذیر والتبشیر غیرھا، وقوله وکأن الرشد الخ أی مع أن الرشد لم ینحصر فی هذا بل الرشد کل الرشد إحراز الآخرة لا الدنیا (٢) أن مجازکم الخ أنکم تجوزون علی الصراط مع ما فیہ من مزالق الدحض. والدحض هو انقلاب الرجل بغتۃ فیسقط المار. والزلل هو انزلاق القدم والتارات النوب والدفعات (٣) أنصب الخوف بدنه أتعبه (٤) والغرار بالكسر القلیل من النوم وغیره وأسهره التهجد أی أزال قیام اللیل نومه القلیل فأذهبه بالمرۃ. وأظماً الرجاء الخ أی أظماً نفسه فی هاجرة الیوم. والمعنی صام رجاء الثواب. وظلف الزهد الخ أی منعھا. وظلف

منع. وأرجف الذکر أرجف به أی حرکه ویروی أوجف بالواو أی أسرع کأن الذکر لشدة تحریکه اللسان موجف به کما توجف الناقة براكبھا، وإبان الشئ بكسر فتشدید وقته الذی یلزم ظهوره فیہ أی أنه خاف فی الوقت الذی ینفع فیہ الخوف، ویروی لأمانه أی خاف فی الدنیا لیأمن فی الآخرة. وتنكب الشئ مال عنه، والمخالجات الشعوب من الطریق المائلة عن وضحه والوضح محرکه الجادة. وعن وضح متعلق بالمخالجات أی تنكب المائلات عن الجادة. وأقصد المسالك أقومھا ولم تفتله الخ أی لم ترده ولم تصرفه ولم تعم علیہ أی لم تخف علیہ الأمور المشتبهۃ حتی یقع فیھا تحذر علی غیر

عليه مشتبهات الأمور. ظافرا بفرحة البشرى وراحة النعمى (١) في أنعم نومه وآمن يومه. قد عبر معبر العاجلة حميدا (٢). وقدم زاد الآجلة سعيدا. وبادر من وجل. وأكمش في مهل ورغب في طلب وذهب عن هرب (٣) وراقب في يومه غده. ونظر قدما أمامه (٤) فكفى بالجنة ثوبا ونوالا. وكفى بالنار عقابا ووبالا. وكفى بالله منتقما ونصيرا. وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما (٥) أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر. واحتج بما نهج (٦). وحذر كم عدوا نفذ في الصدور خفيا ونفث في الأذان تجيا (٧)، فأضل وأردى، ووعد فمنى،

بصيرة (١) النعمى بالضم سعة العيش ونعيمه، ظافرا حال من الضمائر السابقة العائدة على ذي لب وفي أنعم متعلق براحة النعمى وجعل اتصافه بتلك الأوصاف في حال الظفر تمثيلا لالتصاق السعادة بالفضيلة وملازمتها إياها (٢) العاجلة الدنيا. وسميت معبرا لأنها طريق يعبر منها إلى الآخرة وهي الآجلة. بادر من وجل أي سبق إلى خير الأعمال خوفا من لقاء الأهوال. وأكمش أسرع ومثله انكمش وكمشته تكميشا أعجلته. والمراد جد السير في مهلة الحياة (٣) أي رغب فيما ينبغي طلبه وذهب وانصرف عما يجب الهروب منه (٤) القدم بفتحيتين السابق أي نظر إلى ما يتقدم أمامه من الأعمال ويروى قدما بضميتين وهو المضى أمام أي مضى متقدما (٥) الكتاب القرآن. وحجيجا وخصيما أي مقنعا لمن خالفه بأنه جلب الهلاك على نفسه، وقد يراد من الكتاب ما أحصى من الأعمال على العامل إذا عرض عليه يوم الحساب (٦) أعذر بما أنذر ما مصدرية أعذر أي سلب عذر المعتذر بإنذاره إياه بعواقب العمل وقامت له الحجة على الضالين بما نهج وأوضح من طرق الخير والفضيلة (٧) ذلك العدو هو الشيطان ونفذ في الصدور الخ تمثيل لدقة مجاري وسوسته في الأنفس فهو فيما يسوله

وزين سيئات الجرائم. وهون موبقات العظائم. حتى إذا استدرج
قرينته (١) واستغلق رهينته أنكر ما زين (٢) واستعظم ما هون وحذر
ما أمن.

ومنها في صفة خلق الإنسان أم هذا الذي أنشأه في ظلمات
الأرحام (٣) وشغف الأستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا. وجنينا وراضعا، ووليدا
ويافعا (٤). ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا. ليفهم معتبرا.
ويقصر مزدجرا. حتى إذا قام اعتداله واستوى مثاله (٥) نفر مستكبرا
وخبط سادرا (٦). ماتحا في غرب هواه (٧)، كادحا سعيًا لندياه. في لذات

يجري مجرى الأنفاس ويسلك بما يأتي من مسالك الأصدقاء كأنه نجى يسارك وينفث
في أذنك بما تظنه خيرا لك. واردي أهلك. ووعد فمنى أي صور الأمانى كذبا (١) القرينة
النفس التي يقارنها بالوسوسة. واستدرجها أنزلها من درجة الرشد إلى درجته من
الضلالة، واستغلق الرهن جعله بحيث لا يمكن تخليصه (٢) أنكر الخ بيان لعمل الشيطان
وبرأته ممن أغواه عندما تحقق كلمة العذاب (٣) أم بمعنى بل الانتقالية بعد ما بين وصف
الشيطان انتقل لبيان صفة الإنسان، وشغف الأستار جمع شغاف هو في الأصل غلاف
القلب استعاره للمشيمة (٤) دهاقا متتابعًا دهقها أي صبها بقوة وقد تفسر الدهاق
بالممتلئة أي ممتلئة من جرائم الحياة وعلقة محاقا أي خفي فيها ومحق كل شكل
وصورة.

والجنين الولد بعد تصويره ما دام في بطن أمه، واليافع الغلام راهق العشرين
ويقصر يكف عن الرذائل ممتنعا عنها بالعقل والروية (٥) استوى مثاله أي بلغت
قامته حد ما قدر لها من النمو (٦) خبط البعير إذا ضرب بيديه الأرض لا يتوقى شيئا
والسادر المتحير والذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع (٧) متح الماء نزرعه وهو في أعلى البئر
والماتح الذي ينزل البئر إذا قل مأوها فيملاً الدلو. والغرب الدلو العظيمة أي لا يستقي

طربه، وبدوات أربه لا يحتسب رزية (١) ولا يخشع تقية. فمات في
فنتته غريرا، وعاش في هفوته يسيرا. لم يفد (٢) عوضا ولم يقض مفترضا.
دهمته فجعات المنية في غبر جماحه، وسنن مراجه (٣)، فظل سادرا (٤) وبات
ساهرا. في غمرات الآلام. وطوارق الأوجاع والأسقام. بين أخ
شقيق ووالد شقيق. وداعية بالويل جزعا. والأدمة للصدر قلعا (٥).
والمرء في سكرة ملهية. وغمرة كارثة (٦) وأنة موجهة. وجذبة
مكربة. وسوقة متعبة. ثم أدرج في أكفانه مبلسا (٧) وجذب منقادا

إلا من الهوى. والكدح شدة السعي، والبدوات جمع بدأة وهي ما بدا من الرأي أي
ذاهبا فيما يبدو له من رغائبه غير متقيد بشريعة ولا ملتزم صدور فضيلة (١) لا يحتسب
رزية أي لا يظنها ولا يفكر في وقوعها ولا يخشع من التقية والخوف من الله تعالى
وغريرا براءين مهملتين أي مغرورا، ويروى عزيزا بمعجمتين أي شابا وهي رواية
ضعيفة غير ملائمة سياق النظم وعاش في هفوته الخ عاش في خطأته وخطيئاته الناشئة
عن الخطأ في تقدير العواقب زمنا يسيرا وهو مدة الأجل ويروى أسيرا (٢) لم يفد أي
لم يستفد ثوبا (٣) دهمته غشيته وغبر بضم فتشديد جمع غابر أي باقي أي في بقايا تعنته
على الحق وعدم انقياده له. والسنن الطريقة، والمرح شدة الفرح والبطر (٤) ظل
سادرا أي حائرا وذلك بعد ما غشيته فجعات المنية وهي عوارض الأمراض المهلكة
التي تفضي إلى الموت (٥) اللادمة الضاربة (٦) الغمرة الشدة تحيط بالعقل والحواس.
والكارثة القاطعة للآمال أو من كربه الغم إذا اشتد عليه، والأنة بفتح فتشديد
الواحدة من الآن أي التوقع. وجذبة مكربة أي جذبات الأنفاس عند الاحتضار،
والسوقة من ساق المريض نفسه عند الموت سوقا وسياقا وسبق على المجهول شرع في
نزع
للروح (٧) أبلس يبلس يئس فهو مبلس. وسلسا أي سهلا لعدم قدرته على الممانعة

سلسا. ثم ألقى على الأعواد. رجيع وصب (١) ونضو سقم تحمله حفدة
الولدان (٢) وحشدة الإخوان، إلى دار غربته. ومنقطع زورته (٣) حتى
إذا انصرف المشيع. ورجع المتفجع أقعد في حفرته نجيا لبهته السؤال
وعشرة الامتحان (٤). وأعظم ما هنالك بلية نزول الحميم (٥) وتصلية
الحميم وفورات السعير وسورات الزفير. لا فترة مريحة (٦). ولا دعة
مريحة. ولا قوة حاجزة. ولا مودة ناجزة. ولا سنة مسلية بين
أطوار الموتات (٧) وعذاب الساعات إنا بالله عائدون
عباد الله أين الذين عمروا فنعموا (٨) وعلموا ففهموا وأنظروا
فلهموا (٩)

(١) الرجيع من الدواب ما رجع به من سفر إلى سفر فكل. والوصب التعب، ونضو
بالكسر مهزول (٢) الحفدة الأعوان، والحشدة المسارعون في التعاون (٣) منقطع
الزورة حيث لا يزار (٤) النجي من تحادثه سرا والميت لا يسمع كلامه سوى الملائكة
المكلمين له. وبهته السؤال حيرته (٥) الحميم في الأصل الماء الحار، والتصلية الاحراق
والمراد هنا دخول جهنم. والسورة الشدة. والزفير صوت النار عند توقدها (٦) الفترة
السكون أي لا يفتر العذاب حتى يستريح المعذب من الألم، ولا تكون دعة أي راحة
حتى تزيح ما أصابه من التعب، وليست له قوة تحجز عنه وترد غواشي العذاب
ولا بموته يجد مودة حاضرة تذهب بإحساسه عن الشعور بتلك الآلام. والناجز الحاضر
والسنة بالكسر والتخفيف أوائل النوم، مسلية ملهية عن الألم (٧) أطوار الموتات الخ
كل نوبة من نوب العذاب كأنها موت لشدتها. وأطوار هذا الموتات ألوانها وأنواعها
(٨) عمروا الخ عاشوا فتنعموا (٩) أمهلوا فألهاهم المهل عن العمل وذلك بعد أن

وسلموا فنسوا (١). أمهلوا طويلا. ومنحوا جميلا. وحذروا أليما.
ووعدوا جسيما. احذروا الذنوب المورطة والعيوب المسخطة (٢)
أولي الأبصار والأسماع. والعافية والمتاع. هل من مناص أو
خلاص. أو معاذ أو ملاذ. أو فرار أو محار (٣) أم لا فأني تؤفكون (٤)
أم أين تصرفون. أم بما ذا تغترون وإنما حظ أحدكم من الأرض ذات
الطول والعرض. قيد قده (٥) متعفرا على خده الآن. عباد الله والخناق
مهم (٦) والروح مرسل. في فينة الإرشاد (٧) وراحة الأجساد وباحة
الاحتشاد (٨). ومهل البقية. وأنف المشية (٩). وإنظار التوبة وانفساح
الحوبة (١٠) قبل الضنك والمضيق. والروع والزهوق (١١) وقبل قدوم
الغائب المنتظر (١٢) وأخذة العزيز المقتدر

علموا ففهموا وكان مقتضى الفهم أن لا يغتروا بالمهلة ويضيعوا الفرصة (١) سلمت
عاقباتهم وأرزاقهم فنسوا نعمة الله في السلامة (٢) المورطة المهلكة (٣) محار أي
مرجع إلى الدنيا بعد فراقها (٤) تؤفكون تغترون أي تنقلبون (٥) قيد قده بكسر
القاف وفتحها من اللفظ الأول وفتحها من الثاني مقدار طوله يريد مضجعه من القبر
(٦) الخناق الحبل الذي يخنق به وإهماله عدم شدة على العنق مدى الحياة، أي وأنتم
في قدرة من العمل وسعة من الأمل (٧) الفينة بالفتح الحال والساعة والوقت ويروى
فينة الارتياح بمعنى الطلب (٨) باحة الدار ساحتها. والاحتشاد الاجتماع أي أنتم في ساحة
يسهل عليكم فيها التعاون على البر باجتماع بعضكم على بعض (٩) أنف بضمين
مستأنف المشيئة لو أردتم استئناف مشيئة وإرادة حسنة لأمكنكم (١٠) الحوبة الحالة
أو الحاجة (١١) الروع الخوف. والزهوق الاضمحلال (١٢) الغائب المنتظر الموت

وفي الخبر أنه عليه السلام لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها
الجلود. وبكت العيون ورجفت القلوب. ومن الناس من يسمى
هذه الخطبة الغراء

٨٤ - ومن خطبة له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص
عجبا لابن النابغة (١) يزعم لأهل الشام أن في دعاية (٢) وأناي امرؤ
تلعابة أعافس وأمارس (٣) لقد قال باطلا ونطق آثما. أما وشر القول
الكذب إنه ليقول فيكذب. ويعد فيخلف. ويسأل فيلحف (٤)
ويسأل فيبخل. ويخون العهد. ويقطع الإل (٥) فإذا كان عند الحرب
فأي زاجر وأمر هو. ما لم تأخذ السيوف مأخذها (٦) فإذا كان ذلك
كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سبته (٧) أما والله إني ليمنعني
من اللعب ذكر الموت. وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة.

(١) النابغة المشهورة فيما لا يليق بالنساء من نبغ إذا ظهر (٢) الدعاية بالضم المزاح
واللعب. وتلعابة بالكسر كثير اللعب (٣) أعافس أعالج الناس وأضاربهم مزاحا. ويقال
المعافسة معالجة النساء بالمغازلة. والممارسة كالمعافسة (٤) فيلحف أي يلح. ويسأل ههنا
مبني للفاعل. ويسأل في الجملة بعدها للمفعول (٥) الإل بالكسر القراية والمراد أنه
يقطع الرحم (٦) أي أنه في الحرب زاجر وأمر عظيم أي محرض حاث ما لم تأخذ
السيوف مأخذها فعند ذلك يجبن كما قال فإذا كان ذلك الخ (٧) السبة بالضم الاست
تقريع له بفعلته عندما نازل أمير المؤمنين في واقعة صفين فصال عليه وكاد يضرب

إنه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتية أتية ويرضخ له على ترك الدين رضىخة (١)

٨٥ - ومن خطبة له عليه السلام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. الأول لا شئ قبله. والآخر لا غاية له. لا تقع الأوهام له على صفة ولا تقعد القلوب منه على كيفية (٢) ولا تناله التجزئة والتبعيض. ولا تحيط به الأبصار والقلوب (منها) فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع. واعتبروا بالآي السواطع (٣) وازدجروا بالنذر البوالغ (٤) وانتفعوا بالذكر والمواعظ. فكأن قد علقتم منخالب المنية. وانقطعت منكم علائق الأمنية. ودهمتكم مفضعات الأمور (٥) والسياسة إلى الورد المورود (٦) وكل نفس معها سائق وشهيد. سائق يسوقها إلى محشرها

عنقه فكشف عورته فالتفت أمير المؤمنين عنه وتركه (١) الآتية العطية ورضخ له أعطاه قليلا والمراد بالآتية والرضيخة ولاية مصر (٢) تقعد مجاز عن استقرار حكمها أي ليست له كيفية فتحكم بها (٣) الآي جمع آية وهي الدليل. والسواطع الظاهرة الدلالة (٤) البوالغ جمع البالغة غاية البيان لكشف عواقب التفريط. والنذر جمع نذير بمعنى الانذار أو المخوف والمراد إنذار المنذرين (٥) المفضعات من أفضع الأمر إذا اشتد ويقال أفضع الرجل للمجهول إذا نزلت به الشدة (٦) الورد بالكسر الأصل فيه

وشاهد يشهد عليها بعملها
(ومنها في صفة الجنة) درجات متفاوتات. ومنازل متفاوتات.
لا ينقطع نعيمها ولا يظعن مقيمها. ولا يهرم خالدها. ولا يبأس
ساكنها (١).

٨٦ - ومن خطبة له عليه السلام
قد علم السرائر. وخبر الضمائر. له الإحاطة بكل شيء. والغلبة
لكل شيء والقوة على كل شيء. فليعمل العامل منكم في أيام مهله
قبل إرهاب أجله (٢) وفي فراغة قبل أوان شغله. وفي متنفسه قبل أن
يؤخذ بكظمه (٣) وليمهد لنفسه وقدمه. وليتزود من دار ظعنه لدار
إقامته. فالله الله أيها الناس فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم
من حقوقه. فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى
ولم يدعكم في جهالة ولا عمى. قد سمى آثاركم (٤) وعلم أعمالكم
وكتب آجالكم. وأنزل عليكم الكتاب تبياناً لكل شيء

الماء يورد للري والمراد به الموت أو المحشر (١) بئس كسمع اشتدت حاجته (٢) إرهاب
الأجل أن يعجل المفراط عن تدارك ما فاتته من العمل أي يحول بينه وبينه (٣) الكظم
بالتحريك الحلق أو مخرج النفس، والأخذ بالكظم كناية عن التضييق عند مداركة
الأجل (٤) بين لكم أعمالكم وحددها

وعمر فيكم نبيه أزمانا (١) حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه وأنهى إليكم على لسانه محابه من الأعمال ومكارهه (٢) ونواهيه وأوامره. فألقى إليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة. وقدم إليكم بالوعيد. وأنذركم بين يدي عذاب شديد. فاستدركوا بقية أيامكم. واصبروا لها أنفسكم (٣) فإنها قليل في كثير الأيام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة. ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص فيها مذاهب الظلمة (٤) ولا تدهنوا فيهم بكم (٥) الأدهان على المصيبة. عباد الله إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه. وإن أغشهم لنفسه أعصاهم لربه والمغبون من غبن نفسه (٦) والمغبوط من سلم له دينه (٧). والسعيد من وعظ بغيره والشقي من انخدع لهواه. واعلموا أن يسير الرياء شرك (٨) ومجالسة أهل الهوى منساة للإيمان (٩). ومحضرة للشيطان. جانبوا الكذب فإنه بجانب للإيمان. الصادق على شرف منجاة وكرامة. والكاذب على شفا مهواة

(١) عمر نبيه مد في أجله (٢) محابه مواضع حبه وهي الأعمال الصالحة (٣) اصبروا أنفسكم
اجعلوا لأنفسكم صبرا فيها (٤) الظلمة جمع ظالم (٥) المداينة إظهار خلاف ما في الطوية
والادهان مثله (٦) المغبون المخدوع (٧) والمغبوط المستحق لتطلع النفوس إليه والرغبة
في نيل مثل نعمته (٨) الرياء أن تعمل ليراك الناس وقلبك غير راغب فيه (٩) منساة

ومهانة ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب. ولا تباغضوا فإنها الحالقة (١). واعلموا أن الأمل يسهي العقل وينسي الذكر (٢) فأكذبوا الأمل فإنه غرور. وصاحبه مغرور ٨٧ - ومن خطبة له عليه السلام

عباد الله إن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف (٣) فزهر مصباح الهدى في قلبه وأعد القرى ليومه النازل به (٤) فقرب على نفسه البعيد وهون الشديد (٥). نظر فأبصر. وذكر فاستكثر (٦) وارتوى من عذب فرات. سهلت له

للإيمان موضع لنسيانه وداعية للذهول عنه، ومحضرة للشيطان مكان لحضوره وداع له (١) فإنها

أي المباغضة الحالقة أي الماحية لكل خير وبركة (٢) الأمل الذي يذهل العقل وينسي ذكر الله وأوامره ونواهيه هو استقرار النفس على ما وصلت إليه غير ناظرة إلى تغير الأحوال ولا آخذة بالحزم في الأعمال (٣) استشعر لبس الشعار وهو ما يلي البدن من اللباس، وتجلبب لبس الجلباب وهو ما يكون فوق جميع الثياب، والحزن العجز عن الوفاء بالواجب وهو قلبي لا يظهر له أثر في العمل الظاهر، أما الخوف فيظهر أثره في البعد عما يغضب الله والمسارة للعمل فيما يرضيه وذلك أثر ظاهر. وزهر مصباح الهدى تاللاً وأضاء (٤) القرى بالكسر ما يهياً للضيف وهو هنا العمل الصالح يهيؤه للقاء الموت وحلول الأجل (٥) جعل الموت على بعده قريباً منه فعمل له ولذلك هان عليه الصبر عن اللذائذ الفانية والأخذ بالجد في إحراز الفضائل السامية وذلك هو الشديد (٦) ذكر الله فاستكثر من العمل في

موارده فشرب نهلا (١) وسلك سبيلا جددا (٢) قد خلع سراييل الشهوات
وتخلى من الهموم إلا هما واحدا انفرد به (٣) فخرج من صفة العمى
ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق
أبواب الردى. قد أبصر طريقه. وسلك سبيله. وعرف مناره. وقطع
غماره (٤) استمسك من العرى بأوثقها. ومن الحبال بأمتنها. فهو من
اليقين على مثل ضوء الشمس. قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع
الأمر من إصدار كل وارد عليه. وتصيير كل فرع إلى أصله (٥)
مصباح ظلمات. كشاف عشاوات. مفتاح مبهمات. دفاع معضلات (٦)
دليل فلوات (٧). يقول فيفهم ويسكت فيسلم. قد أخلص لله
فاستخلصه. فهو من معادن دينه. وأوتاد أرضه. قد ألزم نفسه العدل

رضاه والعذب والفرات مترادفان (١) النهل أول الشرب والمراد أخذ حظا لا يحتاج
معه إلى العلل وهو الشرب الثاني (٢) الجدد بالتحريك الأرض الغليظة أي الصلبة
المستوية ومثلها يسهل السير فيه (٣) الهم الواحد هو هم الوقوف عند حدود الشريعة
(٤) جمع غمر بالفتح معظم البحر والمراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة
(٥) لأن من كان همه التزام حدود الله في أوامره ونواهيه نفذت بصيرته إلى حقائق
سر الله في ذلك فصار من درجات العرفان بحيث لا يرد عليه أمر إلا أصدره على وجهه
ولا يعرض له فرع إلا رده إلى أصله (٦) عشاوات جمع عشاوة سوء البصر أو العمى
أي أنه يكشف عن ذوي العشاوات عشاواتهم، ويروى عشاوات جمع عشاوة بتثنية
الأول وهي الأمر الملتمس. والمعضلات الشدائد والأمور لا يهتدى لوجهها (٧) الفلوات

فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه. يصف الحق ويعمل به. لا يدع للخير غاية إلا أمها (١) ولا مظنة إلا قصدها (٢). قد أمكن الكتاب من زمامه (٣) فهو قائده وإمامه. يحل حيث حل ثقله (٤) وينزل حيث كان منزله. وآخر قد تسمى عالما وليس به (٥). فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال. ونصب للناس شركا من حبائل غرور وقول زور. قد حمل الكتاب على آرائه. وعطف الحق على أهوائه (٦) يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم. يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع. واعتزل البدع وبينها اضطجع. فالصورة صورة إنسان. والقلب قلب حيوان. لا يعرف باب الهدى فيتبعه. ولا باب العمى فيصد عنه. فذلك ميت الأحياء فأين تذهبون. وأنى تؤفكون (٧). والأعلام

جمع فلاة الصحراء الواسعة مجاز عن مجالات العقول في الوصول إلى الحقائق (١) أمها قصدها (٢) مظنة أي موضع ظن لوجود الفائدة (٣) الكتاب القرآن. وأمكنه من زمامه تمثيل لانقياده لأحكامه كأنه مطية والكتاب يقوده إلى حيث شاء (٤) ثقل المسافرين محرقة متاعه وحشمه، وثقل الكتاب ما يحمل من أوامر ونواه (٥) وآخر الخ هذا عبد آخر غير العبد الذي وصفه بالأوصاف السابقة يخالف في وصفه وصفه، واقتبس استفاد، جهائل جمع جهالة ويراد منها هنا تصور الشئ على غير حقيقته ولا يستفاد من الجهال إلا ذلك، والأضاليل الضلالة جمع أضلولة ويقال لا واحد لها من لفظها وهو الأشهر، والضلال بضم فتشديد جمع ضال (٦) عطف الحق الخ حمل الحق على رغبته أي لا يعرف حقا إلا إياها (٧) تؤفكون تقلبون وتصرفون بالبناء للمجهول. والأعلام الدلائل على الحق من معجزات ونحوها، والمنار جمع منارة والمراد هنا

قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة فأين يتاه بكم (١). بل كيف
تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق وأعلام الدين
والسنة الصديق. فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن (٢) وردوهم ورود
الهيم العطاش (٣)

أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله
إنه يموت من مات منا وليس بميت (٤) ويلى من بلى منا وليس ببال
فلا تقولوا بما لا تعرفون. فإن أكثر الحق فيما تنكرون (٥)
واعذروا من لا حجة لكم عليه. وأنا هو. ألم أعمل فيكم بالثقل
الأكبر (٦) وأترك فيكم الثقل الأصغر. وركزت فيكم راية
الإيمان ووقفتم على حدود الحلال والحرام. وألبستم العافية من

ما أقيم علامة على الخير والشر (١) يتاه بكم من التيه بمعنى الضلال والحيرة. وتعمهون
تتحIRON، وعترة الرجل نسله ورهطه (٢) أي أحلوا عترة النبي من قلوبكم محل القرآن
من التعظيم والاحترام. وإن القلب هو أحسن منازل القرآن (٣) هلموا إلى بحار علومهم
مسرعين كما تسرع الهيم أي الإبل العطشى إلى الماء (٤) خذوا هذه القضية عنه وهي
أنه يموت الميت من أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت لبقاء روحه ساطع النور في
عالم الظهور (٥) الجاهل يستغمض الحقيقة فينكرها وأكثر الحقائق دقائق (٦) الثقل
هنا بمعنى النفيس من كل شئ وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله قال تركت فيكم
الثقلين كتاب الله
وعترتي أي النفيسين. وأمير المؤمنين قد عمل بالثقل الأكبر وهو القرآن ويترك الثقل

عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي (١) وأريتمكم كرائم الأخلاق من نفسي. فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا تتغلغل إليه الفكر (منها) حتى يظن الظان أن الدنيا معقولة على بني أمية (٢) تمنحهم درها. وتوردهم صفوها. ولا يرفع عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها. وكذب الظان لذلك، بل هي مجة من لذيذ العيش (٣) يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة ٨٨ - ومن خطبة له عليه السلام

أما بعد فإن الله لم يقصم جباري دهر قط (٤) إلا بعد تميل ورخاء. ولم يجبر عظم أحد من الأمم إلا بعد أزل وبلاء (٥) وفي دون ما استقبلتم من عتب وما استدبرتم من خطب معتبر (٦). وما كل ذي

الأصغر وهو ولداه ويقال عترته قدوة للناس (١) فرشتكم بسطت لكم (٢) مقصورة عليهم مسخرة لهم كأنهم شدوها بعقال كالناقة تمنحهم درها أي لبنها (٣) مجة بضم الميم

واحدة المج بضمها أيضا نقط العسل أي قطرة عسل تكون في أفواههم كما تكون في فم النحلة يذوقونها زمانا ثم يقذفونها. وهذا التفسير أفضل من تفسير المجة بالفتح بالواحدة من مصدر مج التراب من فيه إذا رمى به (٤) يقصم يهلك. القصم الكسر (٥) جبر العظم طبه بعد الكسر حتى يعود صحيحا، والأزل بالفتح الشدة (٦) العتب بسكون التاء يريد منه عتب الزمان مصدر عتب عليه إذا وجد عليه، وإذا وجد الزمان على شخص اشتد عليه وقره، والأصح أنه بتحريك التاء إما مفرد بمعنى الأمر الكريه

قلب بلييب. ولا كل ذي سمع بسميع. ولا كل ناظر ببصير. فيا عجبي
- ومالي لا أعجب - من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها.
لا يقتصون أثر نبي. ولا يقتدون بعمل وصي. ولا يؤمنون بغيب. ولا
يعفون عن عيب (١). يعملون في الشبهات ويسيروا في الشهوات. المعروف
عندهم ما عرفوا. والمنكر عندهم ما أنكروا (٢). مفزعهم في المعضلات
إلى أنفسهم. وتعويلهم في المبهمات على آرائهم كأن كل امرئ منهم
إمام نفسه قد أخذ منها فيما يرى بعري ثقات وأسباب محكمات
٨٩ - ومن خطبة له عليه السلام

أرسله على حين فترة من الرسل. وطول هجعة من
الأمم واعتزام من الفتن (٣) وانتشار من الأمور. وتلظ من

والفساد أو جمع عتبة بالتحريك بمعنى الشدة يقال ما في هذا الأمر رتبة ولا عتبة.
أي شدة أي أنكم لجديرون أن تعتبروا بأقل من الشدة المقبلة عليكم بعد ضعف
أمركم وأقل من الخطب العظيم الذي مر بكم فكيف يمثل هذه الأمور الجسام فأنتم
أجدر أن تعتبروا بها (١) ولا يعفون بكسر العين وتشديد الفاء من عففت عن الشيء
إذا كففت عنه (٢) أي يستحسنون ما بدا لهم استحبابه ويستقبحون ما خطر لهم
قبحه بدون رجوع إلى دليل بين أو شريعة واضحة، يثق كل منهم بخواطر نفسه
كأنه أخذ منها بالعروة الوثقى على ما بها من جهل ونقص (٣) اعتزام من قولهم
اعتزم الفرس إذا مر جامحا أي وغلبة من الفتن، ويروى اعتزام بالراء المهملة يقال

الحروب (١) والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور. على حين اصفرار من ورقها (٢) وإياس من ثمرها. واغورار من مائها. قد درست منار الهدى. وظهرت أعلام الردى. فهي متجهمه لأهلها (٣) عابسة في وجه طالبها ثمرها الفتنة. وطعامها الجيفة. وشعارها الخوف وذئارها السيف (٤) فاعتبروا عباد الله. واذكروا تيك التي آباؤكم وإخوانكم بها مرتهنون (٥). وعليها محاسبون. ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود. ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب والقرون (٦) وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلاهم ببيعيد والله ما أسمعهم الرسول شيئا إلا وها أنا ذا اليوم مسمعكموه. وما أسمعكم اليوم بدون أسماعهم بالأمس. ولا شقت لهم الأبصار ولا جعلت لهم الأفئدة في ذلك

اعتزم الفرس سطا ومال (١) وتلظ أي تلهب (٢) هذا وما بعده تمثيل لتغيير الدنيا وإشرافها على الزوال ويأس الناس من التمتع بها أيام الجاهلية، واغورار الماء ذهابه ويروى أعوار مائها بالمهملة من قوله فلاة عوراء لا ماء بها (٣) من تجهمه أي استقبله بوجه كرية (٤) ثمرها الفتنة أي ليست لها نتيجة سوى الفتنة، والجيفة إشارة إلى أكل العرب للميتة من شدة الاضطراب. والشعار من الثياب ما يلي البدن، والدثار فوق الشعار. ولما كان الخوف يتقدم السيف كان الخوف شعارا والسيف دثارا وأيضا فالخوف باطن والسيف ظاهر (٥) تيك إشارة إلى سيئات الأعمال وبواطل العقائد وقبائح العوائد. وهم بها مرتهنون أي محبوسون على عواقبها في الدنيا من الذل والضعف (٦) الأحقاب جمع حقب بالضم وبضميتين قيل ثمانون سنة وقيل أكثر وقيل

الأوان إلا وقد أعطيتهم مثلها في هذا الزمان. والله ما بصرتهم بعدهم شيئاً جهلوه. ولا أصفيتهم به وحرموه (١) ولقد نزلت بكم البلية جائلاً خطامها (٢) رخوا بطانها. فلا يغرنكم ما أصبح فيه أهل الغرور. فإنما هو ظل ممدود إلى أجل معدود ٩٠ - ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله المعروف من غير رؤية. والخالق من غير رؤية (٣) الذي لم يزل قائماً دائماً إذ لا سماء ذات أبراج. ولا حجب ذات أرتاج (٤) ولا ليل داج. ولا بحر ساج. ولا جبل ذو فجاج. ولا فج ذو اعوجاج. ولا أرض ذات مهاد. ولا خلق ذو اعتماد. ذلك مبتدع الخلق

هو الدهر (١) يريد أن حالهم كحال من سبقهم وأن من السابقين من اهتدى بهدى الرسول فنجا من سوء عاقبة ما كان فيه. ومنهم من جهل فحل به من النكال ما حل. والإمام اليوم مع هؤلاء كما كان الرسول مع أولئك. وحال السامعين في المدارك كحال السابقين وليس هؤلاء مختصين بشئ حرمه أولئك ولا عالمين بأمر جهلوه. فأصفيتهم أي خصصتهم مبني للمجهول (٢) الخطام ما جعل في أنف البعير لينقاد به. وجولان الخطام حركته وعدم استقراره لأنه غير مشدود. والعبارة تصوير لانطلاق الفتنة تأخذ فيهم مآخذها لا مانع لها ولا مقاوم. وبطان البعير حزام يجعل تحت بطنه ومتى استرخى كان الراكب على خطر السقوط (٣) روية فكر وإمعان نظر (٤) الأرتاج جمع رتج بالتحريك الباب العظيم. والداجي المظلم. والساجي الساكن. والفجاج جمع فج بمعنى الطريق الواسع بين جبلين، والمهاد الفراش والخلق بمعنى المخلوق، وذو اعتماد

ووارثه (١) وإله الخلق ورازقه. والشمس والقمر دائبان في مرضاته (٢) ييليان كل جديد ويقربان كل بعيد. قسم أرزاقهم. وأحصى آثارهم وأعمالهم وعدد أنفاسهم وخائنة أعينهم. وما تخفي صدورهم من الضمير (٣). ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام والظهور. إلى أن تتناهى بهم الغايات. هو الذي اشتدت نغمته. على أعدائه في سعة رحمته. واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نغمته. قاهر من عازيه (٤) ومدمر من شاقه ومذل من ناواه وغالب من عاداه. ومن توكل عليه كفاه. ومن سألَه أعطاه ومن أقرضه قضاؤه (٥). ومن شكره جزاه عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا. وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا. وتنفسوا قبل ضيق الخناق. وانقادوا قبل أنف السياق (٦)

أي بطش وتصرف بقصد وإرادة (١) مبتدع الخلق منشئه من العدم المحض ووارثه الباقي بعده (٢) دائبان تثنية دائب وهو المجد المجتهد، وصفهما بذلك لتعاقبهما على حال واحدة لا يفتران ولا يسكنان وذلك كما أراد سبحانه (٣) من الضمير بيان لما تخفي الصدور وذلك أخفى من خائنة الأعين وهي ما يسارق من النظر إلى ما لا يحل وتلك أخفى مما قبلها. من الأرحام والظهور أي فيها، أو تكون من للتبويض أي الجزء الذي كانوا فيه من أرحام الأمهات وظهور الآباء (٤) عازيه رام مشاركته في شئ من عزته. وشاقه نازعه. وناواه خالفه (٥) جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين إظهارا لتحقيق الجزاء على العمل قال تعالى " من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة " (٦) العنف ضد الرفق أي

واعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر
لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ (١)

٩١ - ومن خطبة له عليه السلام
تعرف بخطبة الأشباح وهي من جلائل خطبه عليه السلام
وكان سأل سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه عيانا
فغضب عليه السلام لذلك

الحمد لله الذي لا يفره المنع والجمود (٢) ولا يكديه الاعطاء
والجود. إذ كل معط منتقص سواه. وكل مانع مذموم ما خلاه.
وهو المنان بفوائد النعم. وعوائد المزيد والقسم. عياله الخلق.
ضمن أرزاقهم وقدر أقواتهم. ونهج سبيل الراغبين إليه. والطالبين
ما لديه. وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل. الأول الذي لم
يكن له قبل فيكون شيء قبله. والآخر الذي ليس له بعد

انقادوا إلى ما يطلب منكم بالحث الرفيق قبل أن تساقوا إليه بالعنف الشديد (١) من
لم يعن مبني للمجهول أي من لم يساعده الله على نفسه حتى يكون لها من وجدانها
منبه لم ينفعه تنبيه غيره، ويجوز أن يكون للفاعل أي من لم يعن الزواجر على نفسه
بالتذكير والاعتبار لم تؤثر فيه (٢) لا يفره لا يزيد ما عنده من البخل والجمود وهو

فيكون شيء بعده. والرادع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه (١). ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال. ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال (٢) وضحكت عنه أصداف البحار من فلز اللجين والعقيان (٣) ونشارة الدر وحصيد المرجان ما أثر ذلك في جوده. ولا أنفد سعة ما عنده ولكان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنعام (٤) لأنه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا ييخله إلحاح الملحدين (٥) فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به (٦).

أشد البخل، ولا يكديه أي لا يفقره (١) أناسي جمع إنسان، وإنسان البصر هو ما يرى وسط الحدقة ممتازا عنها في لونها (٢) أبدع الإمام في تسمية انفلاق المعادن عن الجواهر تنفسا فإن أغلب ما يكون من ذلك بل كله عن تحرك المواد الملتهبة في جوف الأرض إلى الخارج وهي في تبخرها أشبه بالنفس، كما أبدع في تسمية انفتاح الصدف عن الدر ضحكا (٣) الفلز بكسر الفاء واللام الجوهر النفيس، واللجين الفضة الخالصة، والعقيان ذهب ينمو في معدنه، ونشارة الدر بالضم منشورة، وفعالة بالضم فاش للجيد المختار كالخلاصة، وللأساقط المتروك كالقلامة، وحصيد المرجان محصوده يشير إلى أن المرجان نبات وقد حققته كاشفات الفنون جديدها وقديمها (٤) أنفده بمعنى أفناه، ونفد كفرح أي فنى (٥) يغيض بفتح حرف المضارعة من غاض المتعدى: يقال غاض الماء لازما وغاضه الله متعديا، ويقال أغاضه أيضا وكلاهما بمعنى أنقصه وأذهب ما عنده. وييخله بالتخفيف من أبخلت فلانا وجدته بخيلا، أما بخله بالتشديد فمعناه رماه بالبخل (٦) ائتم به أي اتبعه فصفه كما وصفه اقتداء به

واستضىء بنور هدايته. وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه. فإن ذلك منتهى حق الله عليك. واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب (١)، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما. وسمي تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا. فاقصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين. هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته (٢) وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوسوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته (٣) وتولت القلوب إليه (٤) لتجري في كيفية صفاته (٥) وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته (٦) ردعها وهي تجوب مهاوي سدف

(١) السدد جمع سدة باب الدار، والاقرار فاعل أغناهم (٢) ارتمت الأوهام ذهبت أمام الأفكار

كالطليعة لها. ومنقطع الشيء ما إليه ينتهي (٣) المبرأ الخ أما الملابس لهذه الخطرات فمعلوم أنه لا يصل إلى شيء لوقوفه عند وسوسه (٤) تولت القلوب إليه اشتد عشقها وميلها لمعرفة كنهه (٥) لتجري الخ لتجول ببصائرها في تحقيق كيف قامت صفاته بذاته أو كيف اتصف سبحانه بها (٦) وغمضت الخ أي خفيت طرق الفكر ودقت

الغيوب متخلصة إليه سبحانه فرجعت إذ جبهت (١) معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته (٢) ولا تخطر ببال أولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته (٣) الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله (٤) ولا مقدار احتذى عليه من خالق معهود كان قبله. وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمسالك قدرته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته (٥) وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته وأعلام

وبلغت في الخفاء والدقة إلى حد لا يبلغه الوصف (١) ردعها الخ جواب للشرط في قوله إذا ارتمت الخ. وردعها كفها وردها، والمهاوي المهالك، والسدف بضم ففتح جمع سدف وهي القطعة من الليل المظلم، وجبهت من جبهه إذا ضرب جبهته والمراد ردت بالخيبة (٢) الجور العدول عن الطريق، والاعتساف سلوك على غير جادة وسلوك العقول في أي طريق طلبا لا كتنه ذاته وللوقوف على ما لم تكلف الوقوف عليه من كيفية صفاته يعد جورا وعدولا عن الجادة، فإن العقول الحادثة ليس في طبيعتها ما يؤهلها للإحاطة بالحقائق الأزلية، اللهم إلا ما دلت عليه الآثار وذلك هو الوصف الذي جاء في الكتاب والسنة، وكنه معرفته نائب فاعل ينال (٣) الرويات جمع روية الفكر (٤) ابتدع الخلق أوجده من العدم المحض على غير مثال سابق امتثله أي حاذاه، ولا مقدار سابق احتذى عليه أي قاس وطبق عليه، وكان ذلك المثال أو المقدار من خالق معروف سبقه بالخلقة أي لم يقتد بخالق آخر في شئ من الخلقة إذ لا خالق سواه (٥) المسالك كسحاب - ويكسر - ما به يمسك الشئ كالملاك ما به يملك " إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا " وقد جعل الحاجة الظاهرة من المخلوقات إلى إقامة وجودها بما يمسكها من قوته بمنزلة الناطق بذلك المعترف به، وقوله باضطرار

حكيمته. فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه، وإن كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير ناطقة. ودلالته على المبدع قائمة. وأشهد أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك. وتلاحم حقائق مفاصلهم (١) المحتجبة لتدبير حكمتك. لم يعقد غيب ضميره على معرفتك (٢). ولم يياشر قلبه اليقين بأنه لا ند لك وكأنه لم يسمع تبرأ التابعين من المتبوعين إذ يقولون " تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين " كذب العادلون بك (٣) إذ شبهوك بأصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم (٤). وجزءوك تجزئة المجسمات بخواطيرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى (٥) بقرائع عقولهم. وأشهد

متعلق بدلنا، وعلى معرفته متعلق به أيضا، أي دلنا على معرفته بسبب أن قيام الحجة اضطرنا لذلك. وما دلنا مفعول لأرانا. وظهرت في البدائع الخ معطوف على أرانا (١) الحقائق جمع حق بضم الحاء رأس العظم عند المفصل، واحتجاب المفاصل استتارها باللحم والجلد وذلك الاستتار مما له دخل في تقوية المفاصل على تأدية وظائفها التي هي الغاية من وضعها في تدبير حكمة الله في خلقة الأبدان، والمراد من شبهه بالإنسان ونحوه (٢) غيب الضمير باطنه، والمراد منه هنا العلم واليقين، أي لم يحكم بيقينه في معرفتك بما أنت أهل له (٣) العادلون بك الذين عدلوا بك غيرك أي سووه بك وشبهوك به (٤) نحلوك أعطوك، وحلية المخلوقين صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية وما يتبعها، أي وصفوك بصفات المخلوقين، وذلك إنما يكون من الوهم الذي لا يصل إلى غير الأجسام ولواحقها دون العقل الذي يحكم فيما وراء ذلك (٥) قدروك قاسوك

أن من ساواك بشئ من خلقك فقد عدل بك. والعدل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك. ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك. وأنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا (١) ولا في روياي خواطرها فتكون محدودا مصرفا (٢). (ومنها) قدر ما خلق فأحكم تقديره. ودبره فألطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته. ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته ولم يستصعب إذ أمر بالمضي على إرادته (٣). وكيف وإنما صدرت الأمور عن مشيئته. المنشئ أصناف الأشياء بلا روية فكر آل إليها ولا قريحة غريزة أضمر عليها (٤) ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور (٥) ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور فتم خلقه وأذن لطاعته. وأجاب إلى دعوته ولم يعترض دونه ريث المبطل (٦)

(١) أي لم تكن متناهايا محدود الأطراف حتى تحيط بك العقول فتكيفك بكيفية مخصوصة

(٢) مصرفا أي تصرفك العقول بأفهامها في حدودك (٣) استصعب المركوب لم ينقد في السير

لراكبه. وكل مخلوق خلقه الله لأمر أراده بلغ الغاية مما أراد الله منه ولم يقصر دون ذلك منقادا غير مستصعب (٤) غريزة: طبيعة ومزاج، أي ليس له مزاج كما للمخلوقات الحساسة فينبعث عنه إلى الفعل، بل هو انفعال بماله بمقتضى ذاته لا بأمر عارض (٥) أفادها استفادها (٦) لم يعترض دونه أي دون الخلق وإجابة دعوة الله. والريث التثاقل عن الأمر أي أجاب الخلق دعوة الخالق فيما وجهت إليه فطرته بدون مهل

ولا أناة الممتلكي (١) فأقام من الأشياء أودها (٢). ونهج حدودها (٣) ولاءم بقدرته بين متضادها. ووصل أسباب قرائنها (٤). وفرقها أجناسا مختلفات في الحدود والأقدار والغرائز والهيئات (٥). بدايا خلائق أحكم صنعها (٦) وفطرها على ما أراد وابتدعها (منها في صفة السماء) ونظم بلا تعليق رهوات فرجها (٧). ولاحم صدوع انفراجها (٨) ووشج بينها وبين أزواجها (٩). وذلل للهابطين بأمره والصاعدين بأعمال خلقه حزونة معراجها (١٠). ناداها بعد إذ هي دخان. فالتحمت

(١) الأناة تؤدة تمازجها روية في اختيار العمل وتركه، والممتلكي المتعلل، يقول أجاب الخلق ربه طائعا مقهورا بلا تلكؤ (٢) أودها اعوجاجها (٣) نهج عين ورسم (٤) قرائنها جمع قرينة وهي النفس، أي وصل حبال النفوس وهي من عالم النور بالأبدان وهي من عالم الظلمة (٥) الغرائز الطباع (٦) بدايا جمع بدئ أي مصنوع (٧) رهوات جمع رهوة أي المكان المرتفع ويقال للمنخفض أيضا، والفرج جمع فرجة. يقول قد فرج الله ما بين جرم وآخر من الأجرام السماوية ونظمها على ذلك بدون تعليق أحدها بالآخر وربطه به بألة حسية (٨) لاحم الخ ما كان في الجرم الواحد منها من صدع لحمه سبحانه وأصلحه فسواه، وذلك كما كان في بدء خلقة الأرض وانفصالها عن الأجرام السماوية وانفراج الأجرام عنها، فما تصدع بذلك أصلحه الله "أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما" (٩) من وشج محمله إذا شبكه بالأربطة حتى لا يسقط منه شيء، أي أنه سبحانه شبك بين كل سماء وأجرامها وبين أزواجها أي أمثالها وقرنائها من الأجرام الأخرى في الطبقات العليا والسفلى عنها بروابط الماسكة المعنوية العامة، وهي من أعظم المظاهر لقدرته (١٠) الهابطين

والصاعدين الأرواح العلوية والسفلية. والحزونة الصعوبة. وقوله ناداها الخ رجوع إلى بيان بعض ما كانت عليه قبل النظم. يقول كانت السماوات هباء مائرا

عرى أشراجها. وفتق بعد الارتفاق صوامت أبوابها (١). وأقام رصدًا من الشهب الثواقب على نقابها (٢) وأمسكها من أن تمور في خراق الهواء بأيده (٣). وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره. وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها (٤) وقمرها آية محوثة من ليلها (٥) فأجراها في مناقل مجراها. وقدر سيرهما في مدارج درجهما. ليميز بين الليل والنهار بهما. وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما. ثم علق في

أشبه بالدخان منظرا وبالبخار مادة فتجلى من الله فيها سر التكوين فالتحمت عرى أشراجها، والأشراج جمع شرح بالتحريك هو العروة وهي مقبض الكوز والدلو وغيرهما. وأشار بإضافة العرى للأشراج إلى أن كل جزء من مادتها عروة للآخر يجذبه إليه ليتماسك به، فكل ماسك وممسوك، وكل عروة وله عروة (١) بعد أن كانت جسما واحدا فتق الله رتقه، وفصلها إلى أجرام بينها فرج وأبواب، وأفرغ ما بينها بعد ما كانت صوامت أي لا فراغ فيها (٢) النقاب جمع نقب وهو الخرق. والشهب الثواقب أي الشديدة الضياء. والرصد القوم يرصدون كالحرس، وكون الرصد من الشهب في أصل تكوين الخلقة كما قال الإمام دليل على ما أثبتته العلم من أن الشهب مقذيان لبعض أجرام الكواكب (*) ما نظمه لها من التفاتق فما نقب وخرق من جرم عوض بالشهاب، وذلك أمر آخر غير ما جاء في الكتاب العزيز فما جاء في الكتاب بمعنى آخر (٣) وأمسكها عن أن تمور أي تضطرب في الهواء بأيده أي بقوته، وأمرها أن تقف أي تلزم مراكزها لا تفارق مداراتها، لا بمعنى أن تسكن (٤) مبصرة أي جعل شمس هذه الأجرام السماوية مضيئة يبصر بضوئها مدة النهار كله دائما (٥) محوثة يمحي ضؤها في بعض أطراف الليل في أوقات من الشهر، وفي جميع الليل أياما منه. ومناقل مجراها الأوضاع التي ينقلان فيها من مداريهما

* العبارة فيها تحريف في الأصل، والمعنى أن كلام الإمام دليل على ما أثبتته العلم الحديث من أن الشهب جعلت لتسد ما يحصل في بعض أجرام الكواكب من خروق، كما يدل عليه آخر العبارة

جوها فلكها (١). وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصاييح كواكبها (٢) ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها وأجراها على إذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها. ونحوسها وسعودها (٣) (منها في صفة الملائكة عليهم السلام) ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته. وعمارة الصفيح الأعلى (٤) من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته ملأ بهم فروج فجاجها. وحشى بهم فتوق أجوائها (٥). وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد (٦). ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها (٧). فتقف خاسئة على حدودها (٨). أنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات. أولي أجنحة تسبح جلال

(١) فلكها هو الجسم الذي ارتكزت فيه وأحاط بها وفيه مدارها. وناط بها أي علق بها وأحاطها.

ودراريها كواكبها وأقمارها. والإذلال جمع ذل بالكسر وهو محجة الطريق أي على الطرق التي سخرها فيها (٢) نجومها الصغار (٣) نحوسها وسعودها من أقفار بعضها في علله ويريع بعضها على كونه (*) (٤) الصفيح السماء (٥) الأجواء جمع جو (٦) الزجل رفع الصوت. والخطائر جمع حظيرة موضع يحاط عليه لتأوى إليه الغنم والإبل توقيا من البرد والريح، وهو مجاز هنا عن المقامات المقدسة للأرواح الطاهرة. والسترات جمع سترة ما يستتر به. والسرادقات جمع سرادق وهو ما يمد على صحن البيت فيغطيه (٧) الرجيج الزلزلة والاضطراب. وتستك منه أي تصم منه الآذان لشدته. وسبحات نور أي طبقات نور وأصل السبحات الأنوار نفسها (٨) خاسئة مدفوعة مطرودة عن الترامي إليها

* هذه العبارة طبق الأصل، وهي غير واضحة. وفي شرح ابن أبي الحديد ما يفيد أن النجوم تدل بنحسها وسعدها على أمور عامة مما لا تخص أحدا بعينه كأن تدل على قحط عام أو مرض عام أو نحو ذلك

عزته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعته. ولا يدعون أنهم يخلقون شيئاً مما انفرد به. بل عباد مكرمون " لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه. وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه. وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته. وأمدهم بفوائد المعونة. وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينة (١) وفتح لهم أبواباً ذللاً (٢) إلى تماجيده. ونصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده (٣). لم تثقلهم موصرات الآثام (٤). ولم تترحلهم عقب الليالي والأيام (٥). ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم (٦). ولم تعترك الظنون على معاهد يقينهم (٧) ولا قدحت قاذحة الإحن فيما بينهم (٨). ولا سلبتهم

(١) الاخبات الخضوع والخشوع (٢) جمع ذلول خلاف الصعب (٣) قال بعض أهل اللغة إن منارة تجمع على منار وإن لم يذكره صاحب القاموس. وأرى أن مناراً ههنا جمع منارة بمعنى المسرجة وهي ما يوضع فيه المصباح. والأعلام ما يقام للاهتداء على أفواه الطرق ومرتفعات الأرض والكلام تمثيل لما أنار به مداركهم حتى انكشف لهم سر توحيده (٤) مثقلاتها (٥) ارتحله وضع عليه الرحل ليركبه. والعقب جمع عقبة هي النوبة. والليل والنهار [عقيان] لتعاقبهما، أي لم يتسلط عليهم تعاقب الليل والنهار فيفنيهم أو يغيرهم (٦) النوازع جمع نازعة وهي النجم أو القوس، وعلى الأول المراد منها الشهب وعلى الثاني تكون الباء في بنوازعها بمعنى من (٧) جمع معقد محل العقد بمعنى الاعتقاد (٨) الإحن جمع إحنة حي الحقد والضغينة

الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم (١). وما سكن من عظمته
وهيبة جلالته في أثناء صدورهم. ولم تطمع فيهم الوسوس فتتزعج
برينها على فكرهم (٢) منهم من هو في خلق الغمام الدلح (٣) وفي
عظم الجبال الشمخ وفي فترة الظلام الأبهم (٤) ومنهم من خرقت
أقدامهم تخوم الأرض السفلى. فهي كرايات بيض قد نفذت في
مخارق الهواء (٥). وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من
الحدود المتناهية. قد استفرغتهم أشغال عبادته (٦) ووصلت حقائق
الإيمان بينهم وبين معرفته. وقطعهم الايقان به إلى الوله إليه (٧)
ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره. قد ذاقوا حلاوة معرفته
وشربوا بالكأس الروية من محبته (٨) وتمكنت من سويدهاء
قلوبهم (٩) وشيخة خيفته (١٠) فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم.

(١) لاق لصق (٢) تتزعج من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة. والرين بفتح الراء الدنس وما
يطبع
على القلب من حجب الجهالة (٣) جمع دالح وهو الثقيل بالماء من السحاب (٤) القتره
هنا الخفاء
والبطون. ومنها قالوا أخذه على فترة أي من حيث لا يدري. والأبهم بباء موحدة بعد
الهمزة
أصله من لا يعقل ولا يفهم، وصف به الليل وصفا للشئ بما ينشأ عنه، فإن الظلام الحال ك
يوقع
في الحيرة ويأخذ بالفهم عن رشاده (٥) مواضع ما خرقت أقدامهم (٦) جعلتهم فارغين
من الاشتغال بغيرها (٧) شدة الشوق إليه (٨) الروية التي تروي وتطفئ العطش (٩) محل
الروح الحيواني من مضغة القلب (١٠) الوشيخة أصلها عروق الشجرة أراد منها

ولم ينفذ طول الرغبة إليه مادة تضرعهم (١) ولا أطلق عنهم عظيم
الزلفة ربق خشوعهم (٢) ولم يتولهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف
منهم. ولا تركت لهم استكانة الاجلال (٣) نصيبا في تعظيم
حسناتهم. ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم ولم تغض رغباتهم (٤)
فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم (٥)
ولا ملكتهم الأشغال فتقطع بهمس الجوار إليه أصواتهم (٦) ولم
تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم (٧). ولم يثنوا إلى راحة التقصير
في أمره رقابهم. ولا تعدو (٨) على عزيمة جدهم بلادة الغفلات ولا
تنتضل في همهم خدائع الشهوات (٩). قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة
ليوم فاقتهم (١٠). ويمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم (١١)

هنا بواعث الخوف من الله (١) أي أن شدة رجائهم لم تفن مادة خوفهم وتذلهم
(٢) جمع ربة بالكسر والفتح وهي العروة من عرى الربق بكسر الراء وهو حبل فيه عدة
عرى تربط فيه البهم (٣) الاستكانة ميل للسكون من شدة الخوف ثم استعملت في
الخضوع (٤) دأب في العمل بالغ في مداومته حتى أجهده (٥) لم تنقص. وأسلة اللسان
طرفه أي لم تبيس أطراف ألسنتهم فتقف عن ذكره (٦) الهمس الخفي من الصوت.
والجوار رفع الصوت بالتضرع أي لم يكن لهم عن الله شاغل يضطرهم للهمس والإخفاء
وخفض جوارهم بالدعاء إليه (٧) المقاوم جمع مقام، والمراد الصفوف (٨) لا تسطو (٩)
انتضلت

الإبل رمت بأيديها في السير بسرعة. وخدائع الشهوات للنفس [بما تزينه لها.] أي لم
تسلك

خدائع الشهوات طريقا في همهم (١٠) حاجتهم (١١) يمموه قصدوه بالرغبة والرجاء
عندما

لا يقطعون أمد غاية عبادته. ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته (١) إلا إلى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته (٢). لم تنقطع أسباب الشفقة منهم (٣) فينوا في جدهم (٤) ولم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهداهم (٥). ولم يستعظموا ما مضى من أعمالهم. ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم (٦). ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم. ولم يفرقهم سوء التقاطع. ولا تولاهم غل التحاسد. ولا شعبتهم مصارف الريب (٧) ولا اقتسمتهم أخياف الهمم (٨). فهم أسراء إيمان. لم يفكهم من ربقة زيغ ولا عدول ولا وني ولا فتور (٩). وليس في أطباق السماوات

انقطعت الخلق سواهم إلى المخلوقين (١) الاستهتار التولع (٢) مواد جمع مادة: أصلها من مد البحر إذا زاد، وكل ما أعنت به غيرك فهو مادة، ويريد بها البواعث المعينة على الأعمال، أي كلما تولعوا بطاعته زادت بهم البواعث عليها من الرغبة والرغبة (٣) الشفقة الخوف (٤) وني يني تأني (٥) وشيك السعي مقاربه وهينه، أي أنه لا طمع لهم في غيره فيختاروا هين السعي على الاجتهاد الكامل (٦) الشفقات تارات الخوف وأطواره، وهو فاعل نسخ والرجاء مفعول. والوجل الخوف أيضا (٧) شعبتهم فرقته صروف الريب جمع ريبة وهي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق (٨) جمع خيف بالفتح هو في الأصل ما انحدر عن سفح الجبل، والمراد هنا سواقط الهمم،

فإن التفرق والاختلاف كثيرا ما يكون من انحطاط الهمة بل أعظم ما يكون منه ينشأ عن ذلك. وقد يكون الخيف بمعنى الناحة أي متطرفات الهمم (٩) وني مصدر وني

موضع إهاب (١) إلا وعليه ملك ساجد. أو ساع حافد (٢). يزدادون على طول الطاعة بربهم علما. وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما. (ومنها) في صفة الأرض ودحوها على الماء (٣). كبس الأرض (٤) على مور أمواج مستفحلة. ولجج بحار زاخرة (٥). تلتطم أواذي أمواجها (٦) وتصطفق متقاذفات أثاباجها (٧) وترغو زبدا كالفحول عند هياجها. فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها. وسكن هيج ارتمائيه إذ وطئته بكلكلها (٨). وذلل مستخدنيا (٩) إذ تمعكت عليه بكواهلها (١٠) فأصبح بعد اصطخاب أمواجه (١١) ساجيا مقهورا (١٢). وفي حكمة الذل منقادا أسيرا (١٣). وسكنت الأرض مدحوة في لجة تياره. وردت من نخوة بأوه واعتلائه (١٤) وشموخ أنفه وسمو

كتعب أي تأنى (١) جلد حيوان (٢) خفيف سريع (٣) دحوها بسطها (٤) كبس النهر والبئر أي طمهما بالتراب وعلى هذا كان حق التعبير كبس بها مور أمواج لكنه أقام الآلة مقام المفعول لأنها المقصود بالعمل. والمور التحرك الشديد. والمستفحلة الهائجة يصعب التغلب عليها (٥) ممتلئة (٦) جمع آذى أعلى الموج (٧) اصطفقت الأشجار اهتزت بالريح. والأثاباج جمع ثبج بالتحريك هو في الأصل ما بين الكاهل والظهر أو صدر القطة استعاره لأعالي الموج والمتقاذفات التي يقذف بعضها بعضا (٨) هو في الأصل الصدر استعاره لما لاقى الماء من الأرض (٩) منكسرا مسترخيا (١٠) من تمعكت الدابة أي تمرغت في التراب (١١) اصطخاب افتعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت (١٢) ساجيا ساكنا (١٣) الحكمة محركة ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه وفيها العذاران (١٤) البأ والكبر والزهو

غلوائه (١) وكعمته (٢) على كظة جريته (٣) فهمد بعد نزقانه (٤). ولبد بعد زيفان وثباته (٥). فلما سكن هياج الماء من تحت أكنافها (٦) وحمل شواحق الجبال الشمخ البذخ على أكتافها (٧) فجر ينابيع العيون من عرانيين أنوفها (٨). وفرقها في سهوب بيدها وأحاديدها (٩) وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها (١٠) وذوات الشناخيب الشم (١١). من صياخيدها (١٢). فسكنت من الميدان (١٣) لرسوب الجبال في قطع أديمها (١٤)، وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها (١٥)، وركوبها أعناق

(١) بضم الغين وفتح اللام النشاط وتجاوز الحد (٢) كعم البعير كمنع شد فاه لثلا يعض أو يأكل، وما يشد به كعام ككتاب (٣) الكظة بالكسر ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام، ويراد بها هنا ما يشاهد في جري الماء من ثقل الاندفاع (٤) النزق والنزقان الطيش (٥) الزيفان التبخر في المشية. ولبد كفرح ونصر. أي قام وثبت (٦) نواحيها (٧) البذخ بمعنى الشمخ جمع شامخ وباذخ أي عال ورفيع. غير أنني أجد من لفظ الباذخ معنى أخص وهو الضخامة مع الارتفاع. وحمل عطف على أكناف (٨) عرانيين جمع عرنيين بالكسر ما صلب من عظم الأنف والمراد أعالي الجبال، غير أن الاستعارة من ألطف أنواعها في هذا المقام (٩) السهوب جمع سهب بالفتح أي الفلاة. والبيد جمع بيداء. والأخاديد جمع أخدود الحفر المستطيلة في الأرض. والمراد منها مجاري الأنهار (١٠) الضمير للأرض كما يظهر من بقية الكلام. والجلاميد جمع جلمود الحجر القاسي (١١) الشناخيب جمع شنخوب وهو رأس الجبل. والشم الرفيعة (١٢) جمع صيخود وهو الصخرة الشديدة (١٣) بالتحريك الاضطراب (١٤) سطحها (١٥) التغلغل المبالغة في الدخول ومتسربة أي داخلية. والجوبات جمع جوبة بمعنى الحفرة. والخياشيم جمع خيشوم هو منفذ الأنف إلى الرأس أو مارق من العضاريف الكائنة

سهول الأرضين وجراثيمها (١) وفسح بين الجو وبينها. وأعد الهواء متنسما لساكنها. وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها (٢) ثم لم يدع جرز الأرض (٣) التي تقصر مياه العيون عن روابيها (٤) ولا تجد جداول الأنهار ذريعة إلى بلوغها (٥) حتى أنشأ لها ناشئة سحب تحيي مواتها (٦) وتستخرج نباتها. ألف غمامها بعد افتراق لمعه (٧) وتباين قزعه (٨)، حتى إذا تمخضت لجة المزن فيه (٩). والتمع برقه في كفه (١٠) ولم ينم وميضه في كنهور ربابه (١١) ومتراكم سحابه أرسله سحا

فوق قصبة الأنف متصلة بالرأس، وضمير تغلغلها للجبال. وخياشيمها للأرض والمجاز ظاهر (١) ركوب الجبال أعناق السهول استعلاؤها عليها. وأعناقها سطوحها وجراثيمها ما سفلى عن السطوح من الطبقات الترايبية، واستعلاء الجبال عليها ظاهر (٢) مرافق البيت ما يستعان به فيه وما يحتاج إليه في النعش خصوصا ما يكون من الأماكن، أو هو ما يتم به الانتفاع بالسكنى كمصاب المياه والطرق الموصلة إليه والأماكن التي لا بد منها للساكنين فيه لقضاء حاجاتهم وما يشبه ذلك (٣) الأرض الجرز بضمير التي تمر عليها مياه العيون فتنبت (٤) مرتفعاتها (٥) ذريعة وسيلة (٦) الموات من الأرض ما لا يزرع (٧) جمع لمعة بضم اللام: في الأصل القطعة من النبات مالت لليبس استعارها لقطع السحاب، والمشابهة في لونها وذهابها إلى الاضمحلال لولا تأليف الله إياها مع غيرها (٨) جمع قزعة محركة وهي القطعة من الغيم (٩) تمخضت تحركت تحركا شديدا كما يتحرك اللبن في السقاء بالمخض. والضمير في فيه راجع إلى المزن أي تحركت اللجة التي يحملها المزن فيه. ويصح أن يرجع للغمام في أول العبارة (١٠) جمع كفة بضم الكاف وهي الحاشية والطرف لكل شئ أي جوانبه (١١) نامت النار همدت. والوميض اللمعان. والكنهور كسفرجل القطع العظيمة من السحاب

متداركا. قد أسف هيدبه، تمرية الجنوب درر أهاضييه (٢) ودفع
شآبييه (٣) فلما ألفت السحاب برك بوانيها (٤)، وبعا ع ما استقلت به (٥)
من العبء المحمول عليها (٦) أخرج به من هوامد الأرض النبات (٧)
ومن زعر الجبال الأعشاب (٨)، فهي تبهج بزينة رياضها (٩) وتزدهي (١٠)
بما ألبسته من ريط (١١) أزاهيرها (١٢) وحلية ما سمطت به (١٣) من ناضر

أو المتراكم منه. والرباب كسحاب الأبيض المتلاحق منه، أي لم يمهد لمعان البرق في
ركام

هذا الغمام (١) صبا متلاحقا متواصلا (٢) أسف الطائر دنا من الأرض، والهيدب
كجعفر السحاب المتدلى أو ذيله، وقوله تمرية من مري الناقة أي مسح على ضرعها
ليحلب لبنها. والدرر كغلل جمع درة بالكسر اللبن. والأهاضيي جمع هضاب وهو
جمع هضبة كضربة وهي المطرة، أي دنا السحاب من الأرض لثقله بالماء وريح الجنوب
تستدره الماء كما يستدر الحالب لبن الناقة، فإن الريح تحركه فيصب ما فيه (٣) جمع
شؤبوب ما ينزل من المطر بشدة (٤) البرك بالفتح في الأصل ما يلي الأرض من جلد
صدر البعير كالبركة. والبواني هي أضلاع الزور. وشبه السحاب بالناقة إذا بركت
وضربت بعنقها على الأرض ولاطمتها بأضلاع زورها. واشتبه ابن أبي الحديد في معنى
المبرك والبواني فأخرج الكلام عن بلاغته (٥) بعاع عطف على برك. والبعاع
بالفتح ثقل السحاب من الماء. وألقى السحاب بعاعه أمطر كل ما فيه (٦) العبء
الحمل (٧) الهوامد من الأرض ما لم يكن بها نبات (٨) زعر جمع زاعر وهو من
المواضع القليل النبات (٩) بهج كمنع سر وأفرح (١٠) تعجب (١١) جمع
ريطة بالفتح وهي كل ثوب رقيق لين (١٢) جمع زهار الذي هو جمع زهرة بمعنى النبات
(١٣) سمط من سمط الشيء علق عليه السموط وهي الخيوط تنظم فيها القلادة

أنوارها (١) وجعل ذلك بلاغا للأنام (٢) ورزقا للأنعام. وخرق
الفجاج في آفاقها وأقام المنار للسالكين على جواد طرقها. فلما مهد
أرضه وأنفذ أمره اختار آدم عليه السلام خيرة من خلقه. وجعله
أول جبلته (٣) وأسكنه جنته وأرغد فيها أكله، وأوعز إليه فيما نهاه
عنه. وأعلمه أن في الإقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة
بمنزلته. فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه، فأهبطه بعد التوبة
ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده. ولم يخلهم بعد أن قبضه
مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته، ويصل بينهم وبين معرفته، بل
تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه، ومتحملي ودائع
رسالاته، قرنا فقرنا حتى تمت بنينا محمد صلى الله عليه وآله حجته،
وبلغ المقطع عذره ونذره (٤). وقدر الأرزاق فكثرها وقللها. وقسمها
على الضيق والسعة فعدل فيها لئبتي من أراد بميسورها ومعسورها.
وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها. ثم قرن بسعتها

(١) الأنوار جمع نور بفتح النون وهو الزهر بالمعنى المعروف أي حلية القلائد التي
علقت عليها من أزهار نباتها. وفي رواية شمطت بالشين وتخفيف الميم من شمطه
إذا خلط لونه بلون آخر. والشميط من النبات ما كان فيه لون الخضرة مختلطا بلون
الزهر (٢) البلاغ ما يتبلغ به من القوت (٣) خلقتها (٤) المقطع النهاية التي ليس وراءها

عقاييل فاقتها (١)، وبسلامتها طوارق آفاتها، وبفرج أفراحها (٢) غصص أتراحها (٣)، وخلق الآجال فأطالها وقصرها. وقدمها وأخرها. ووصل بالموت أسبابها (٤). وجعله خالجا لأشطانها (٥) وقاطعا لمرائر أقرانها (٦). عالم السر من ضمائر المضميرين. ونجوى المتخافتين (٧). وخواطر رجم الظنون (٨)، وعقد عزيمات اليقين (٩). ومسارق إيماض الجفون (١٠). وما ضمنته أكنان القلوب وغيابات الغيوب (١١)، وما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع (١٢)، ومصائف الذر (١٣) ومشاتي الهوام (١٤) ورجع الحنين

غاية (١) العقاييل الشدائد جمع عقبولة بضم العين. والفاقة الفقر (٢) الفرج جمع فرجة وهي التفصي من الهم (٣) جمع طرح بالتحريك الغم والهلاك (٤) حبالها (٥) خالجا جاذبا لأشطانها جمع شطن كسبب: الحبل الطويل، شبه به الأعمار الطويلة (٦) المرائر جمع مريرة الحبل يفتل على أكثر من طاق أو الشديد الفتل. والأقران جمع قرن بالتحريك وهو الحبل يجمع به بغيران، وذكره لقوته أيضا. وإضافة المرائر للأقران بعد استعمالها في الشديدة بلا قيد أن تكون حبالا (٧) التخافت المكالمة سرا (٨) رجم الظنون ما يخطر على القلب أنه وقع أو يصح أن يقع بلا برهان (٩) العقد جمع عقدة ما يرتبط القلب بتصديقه لا يصدق نقيضه ولا يتوهمه. والعزيمات جمع عزيمة ما يوجب البرهان الشرعي أو العقلي تصديقه والعمل به (١٠) جمع مسرق مكان مسارقة النظر أو زمانها أو البواعث عليها أو فلان يسارق فلانا النظر أي ينتظر منه غفلة فينظر إليه. والإيماض اللمعان وهو أحق أن ينسب إلى العيون لا إلى الجفون، ونسبته إلى الجفون لأنه ينبعث من بينها (١١) ضمنته حوته. والأكنان جمع كن كل ما يستتر فيه. وغيابات الغيوب أعماقها (١٢) استراق الكلام استماعه خفية. والمصائخ جمع مصاخ مكان الاصاخة وهو ثقبه الأذن (١٣) صغار النمل، ومصائفها محل إقامتها في الصيف، وهو وما بعده عطف على ضمائر المضميرين (١٤) مشاتيها محل إقامتها في الشتاء

من المولهاات (١) وهمس الأقدام (٢). ومنفسح الثمرة من ولائج غلف
الأكام (٣)، ومنقمع الوحوش من غيران الجبال وأوديتها (٤). ومختبأ
البعوض بين سوق الأشجار وألحيها (٥)، ومغرز الأوراق من الأفنان (٦)،
ومحط الأمشاج من مسارب الأصلاب (٧)، وناشئة الغيوم ومتلاحمها.
ودرور قطر السحاب في متراكمها. وما تسفي الأعاصير بذيولها (٨) وتعفو
الأمطار بسيولها (٩). وعوم نبات الأرض في كثنان الرمال (١٠)، ومستقر
ذوات الأجنحة بذرى شناخيب الجبال (١١)، وتغريد ذوات المنطق في
دياجير الأوكار (١٢)، وما أوعبته الأصداف (١٣)، وحضنت عليه أمواج
البحار (١٤)

(١) الحزينات، ورجع الحنين تردیده (٢) الهمس أخفى ما يكون من صوت القدم
على الأرض (٣) منفسخ الثمرة مكان نموها من الولايج جمع وليجة بمعنى البطانة
الداخلية. والغلف جمع غلاف. والأكام جمع كم بالكسر وهو غطاء النوار ووعاء
الطلع (٤) منقمع الوحوش موضع انقماها أي اختفائها. والغيران جمع غار (٥) سوق
جمع ساق أسفل الشجرة تقوم عليه فروعها. والألحية جمع لحاء قشرة الشجرة
(٦) الغصون (٧) الأمشاج النطف. سميت أمشاجا - جمع مشيج - من مشج إذا
خلط، لأنها مختلطة من جراثيم مختلفة كل منها يصلح لتكوين عضو من أعضاء البدن.
ومسارب الأصلاب ما يتسرب المني فيها عند نزوله أو عند تكونه (٨) سفت الريح
التراب ذرته أو حملته. والأعاصير جمع إعصار ريح تثير السحاب أو تقوم على الأرض
كالعمود (٩) تعفو تمحو (١٠) الكثنان جمع كثيب: التل (١١) الذرى جمع ذروة
أعلى الشئ. والشناخيب رؤوس الجبال (١٢) تغريد الطائر رفع صوته بالغناء وهو نطقه.
والدياجير المظلمة (١٣) أوعبته جمعته (١٤) حضنت عليه ربته فتولد في حضنها كالعنبر

وما غشيته سدفة ليل (١) أو ذر عليه شارق نهار (٢). وما اعتقبت عليه أطباق الدياجير (٣) وسبحات النور. وأثر كل خطوة. وحس كل حركة ورجع كل كلمة. وتحريك كل شفة، ومستقر كل نسمة، ومثقال كل (ذرة)، وهماهم كل نفس هامة (٤). وما عليها من ثمر شجرة (٥)، أو ساقط ورقة أو قرارة نطفة (٦) أو نقاعة دم ومضغة (٧). أو ناشئة خلق وسلالة. لم تلحقه في ذلك كلفة. ولا اعترضته في حفظ ما ابتدعه من خلقه عارضة (٨). ولا اعتورته في تنفيذ الأمور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة (٩). بل نفذ فيهم علمه، وأحصاهم عدده، ووسعهم عدله، وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله.

اللهم أنت أهل الوصف الجميل والتعداد الكثير (١٠). إن تؤمل فخير مؤمل: وإن ترج فأكرم مرجو. اللهم وقد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك، ولا أثني به على أحد سواك، ولا أوجهه إلى معادن

ونحوه (١) سدفة ظلمة (٢) ذر طلع (٣) اعتقبت تعاقبت: وتوالت. والأطباق الأغطية. والدياجير الظلمات. وسبحات النور درجاته وأطواره (٤) هماهم: هموم مجاز من الهمهمة ترديد الصوت في الصدر من الهم (٥) عليها أي على الأرض (٦) قرارتها مقرأها (٧) نقاعة عطف على نطفة. ونقاعة الدم ما ينقع منه في أجزاء البدن. والمضغة عطف على نقاعة أي يعلم مقر جميع ذلك (٨) هي ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله (٩) اعتورته تداولته وتناولته (١٠) المبالغة في عد كمالاتك إلى ما لا ينتهي.

الحيية ومواضع الريية (١). وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين.
والثناء على المربوبين المخلوقين. اللهم ولكل مشن على من أثنى عليه
مثنوبة (٢) من جزاء أو عارفة من عطاء، وقد رجوتك دليلا على ذخائر
الرحمة وكنوز المغفرة. اللهم وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي
هو لك ولم ير مستحقا لهذه المحامد والممادح غيرك. وبني فاقة إليك
لا يجبر مسكنتها إلا فضلك ولا ينعش من خلقتها إلا منك وجودك (٣)،
فهب لنا في هذا المقام رضاك، وأغننا عن مد الأيدي إلى سواك إنك
على كل شيء قدير.

٩٢ - ومن خطبة له عليه السلام
لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه
دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان.
لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول (٤). وإن الآفاق قد أغامت
والمحجة (٥) قد تنكرت. واعلموا أنني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم

(١) هم المخلوقون (٢) ثواب وجزاء (٣) الخلة بالفتح الفقر. والمن الاحسان (٤) لا
تصبر
له ولا تطيق احتماله (٥) غطيت بالغيم. والمحجة الطريق المستقيمة. تنكرت أي تغيرت
علائمها فصارت مجهولة، وذلك أن الأطماع كانت قد تنبعت في كثير من الناس على
عهد

ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب. وإن تركتموني فأنا كأحدكم
و لعلني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم. وأنا لكم وزيراً
خير لكم مني أميراً.

٩٣ - ومن خطبة له عليه السلام
أما بعد أيها الناس. فأنا فقأت عين الفتنة (١)، ولم تكن لي جراً
عليها أحد غيري بعد أن ماج غيبتها (٢) واشتد كلبها (٣). فاسألوني قبل
أن تفقدوني. فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم
وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها (٤)
وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً،

عثمان رضي الله عنه بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء فلا يسهل عليهم فيما بعد أن يكونوا
في مساواة مع غيرهم، فلو تناولهم العدل انفلتوا منه وطلبوا طائشة الفتنة طمعاً في
نيل رغباتهم، وأولئك هم أغلب الرؤساء في القوم، فإن أقرهم الإمام على ما كانوا عليه
من الامتياز فقد أتى ظلماً وخالف شرعاً، والناقمون على عثمان قائمون على المطالبة
بالنصفة إن لم ينالوها تحرشوا للفتنة، فأين اتحجه للوصول إلى الحق على أمن من الفتن.
وقد كان بعد بيعته ما تفرس به قبلها (١) شققها وقلعتها تمثيل لتغلبه عليها، وذلك
كان بعد انقضاء أمر النهروان وتغلبه على الخوارج (٢) الغييب الظلمة. وموجها
شمولها وامتدادها (٣) الكلب محرقة: داء معروف يصيب الكلاب، فكل من عضته
أصيب به فجن ومات، شبه به اشتداد الفتنة حتى لا تصيب أحداً إلا أهلكته (٤) الداعي

ويموت منهم موتاً. ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور (١) وحوازب الخطوب (٢) لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين. وذلك إذا قلصت حربكم (٣) وشمרת عن ساق، وضافت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون معه أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم. إن الفتن إذا أقبلت شبهت (٤) وإذا أدبرت نبهت (٥). ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات. يحمن حول الرياح يصبن بلداً ويخطئن بلداً. ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها (٦) وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها (٧)، وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي. كالناب الضروس (٨) تعذب بفيها وتخبط بيدها، وتزبن برجلها، وتمنع درها. لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم حتى

إليها، من نعق بغنمه صاح بها لتجتمع (١) الكرائه جمع كرية (٢) الحوازب جمع حازب وهو الأمر الشديد، حزبه الأمر إذا اشتد عليه (٣) قلصت بتشديد اللام تبادت واستمرت. وبتخفيفها وثبت (٤) اشتبه فيها الحق بالباطل (٥) لأنها تعرف بعد انقضائها وتنكشف حقيقتها فتكون عبرة (٦) الخطة بالضم الأمر أي شمل أمرها لأنها رئاسة عامة. وخصت بليتها آل البيت لأنها اغتصاب لحقهم (٧) من عرف الحق فيها نزل به بلاء الانتقام من بني أمية (٨) الناب الناقة المسنة. والضروس السيئة

لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه. والصاحب من مستصحبه (١). ترد عليكم فتنهم شوهاء مخشية (٢) وقطعا جاهلية. ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى (٣) نحن أهل البيت منها بمنجاة (٤) ولسنا فيها بدعاة. ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الأديم (٥) بمن يسومهم خسفا (٦) ويسوقهم عنفا، ويسقيهم بكأس مصبرة (٧) لا يعطيهم إلا السيف. ولا يحلسهم إلا الخوف (٨). فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يروني مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور (٩) لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونني ٩٤ - ومن خطبة له عليه السلام فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم. ولا يناله حسن الفطن. الأول الذي لا غاية له فينتهي. ولا آخر له فينقضي (منها في وصف

الخلق تعض حالبًا. وتعذب من عذب الفرس إذا أكل بجفاء أو عض. وتزبن أي تضرب. ودرها لبنها. والمراد خيرها (١) التابع من متبوعه، أي انتصار الأذلاء وما هو بانتصار (٢) شوهاء قبيحة المنظر. ومخشية مخوفة مرعبة (٣) دليل يهتدى به (٤) بمكان النجاة من إثمها (٥) كما يسلخ الجلد عن اللحم (٦) يلزمهم ذلا. وقوله بمن متعلق بيفرجها (٧) مملوءة إلى أصبارها جمع صبر بالضم والكسر بمعنى الحرف أي إلى رأسها (٨) من أحلس البعير إذا ألبسه الحلس بكسر الحاء وهو كساء يوضع على ظهره تحت البرذعة، أي لا يكسوهم إلا خوفا (٩) الجزور الناقة المجزورة، أو هو البعير

الأنبياء) فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر.
تناسختهم كرائم الأصلاب (١) إلى مطهرات الأرحام. كلما مضى منهم
سلف قام منهم بدين الله خلف. حتى أفضت كرامة الله سبحانه
إلى محمد صلى الله عليه وآله، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا (٢) وأعز
الأرومات مغرسا (٣). من الشجرة التي صدع منها أنبياءه (٤) وانتخب
منها أمناه (٥). عترته خير العتر (٦)، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير
الشجر. نبتت في حرم وبسقت في كرم (٧)، لها فروع طوال وثمره
لا تنال. فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى. سراج لمع ضوؤه.
وشهاب سطع نوره، وزند برق لمعه. سيرته القصد (٨) وسنته
الرشد. وكلامه الفصل. وحكمه العدل. أرسله على حين فترة
من الرسل (٩)، وهفوة عن العمل (١٠)، وغباوة من الأمم. اعملوا رحمكم

مطلقا، أو الشاة المذبوحة، أي ولو مدة ذبح البعير أو الشاة (١) تناسختهم تناقلتهم
(٢) كمجلس موضع النبات ينبت فيه (٣) الأرومات جمع أرومة الأصل. والمغرس
موضع الغرس (٤) صدع فلانا قصده لكرمه، أي اختصهم بالنبوة من بين فروعها
وهي شجرة إبراهيم عليه السلام (٥) انتخب اختار (٦) عترته آل بيته. وأسرة الرجل
رهطه الأدنون (٧) بسقت ارتفعت (٨) الاستقامة (٩) الفترة الزمان بين الرسولين
(١٠) هفوة زلة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على ألسنة الأنبياء السابقين

الله على أعلام بينة. فالطريق نهج (١) يدعو إلى دار السلام. وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ (٢). والصحف منشورة. والأقلام جارية. والأبدان صحيحة. والألسن مطلقة. والتوبة مسموعة. والأعمال مقبولة

٩٥ - ومن خطبة له عليه السلام

بعثه والناس ضلال في حيرة. وخابطون في فتنة. قد استهوتهم الأهواء، واستزلتهم الكبرياء (٣)، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء (٤). حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل. فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة

٩٦ - ومن خطبة أخرى

الحمد لله الأول فلا شئ قبله. والآخر فلا شئ بعده. والظاهر فلا شئ فوقه. والباطن فلا شئ دونه (منها في ذكر الرسول صلى الله

(١) واضح قويم. ويدعو إلى دار السلام يوصل إليها (٢) مستعتب بفتح التاءين طلب العتبي. أي الرضا من الله بالأعمال النافعة (٣) استزلتهم أدت بهم للزلل والسقوط في المضار، وتأنيث الفعل على تأويل أن الكبرياء صفة. وفي رواية واستزلهم الكبراء أي أضلهم كبراًؤهم وسادتهم (٤) استخفتهم طيشتهم. والجاهلية حالة العرب قبل نور

عليه وآله) مستقره خير مستقر. ومنبته أشرف منبت. في معادن الكرامة، ومماهد السلامة (١). قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار، وثنيت إليه أزمة الأبصار (٢). دفن به الضغائن (٣). وأطفأ به الثوائر (٤). ألف به إخوانا، وفرق به أقرانا (٥). أعز به الذلة (٦)، وأذل به العزة. كلامه بيان وصمته لسان

٩٧ - ومن خطبة له عليه السلام ولئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه (٧). وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه. وبموضع الشجى من مساغ ريقه (٨). أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقي. ولقد أصبحت

العلم الاسلامي. والجهلاء وصف لها للمبالغة (١) المماهد جمع ممهد كمقعد ما يمهد أي يبسط

فيه الفراش ونحوه، أي أنه ولد في أسلم موضع وأنقاه من دنس السفاح (٢) الأزمة كأزمة جمع زمام. وانشاء الأزمة إليه عبارة عن تحولها نحوه (٣) الأحقاد، فهو رسول الألفة، وأهل دينة المتآلفون المتعاونون على الخير. ومن لم يكن في عروة الألفة منهم فهو - والله أعلم - خارج عنهم (٤) جمع ثائرة وهي العداوة الواثبة بصاحبها على أخيه ليضره إن لم يقتله (٥) وفرق به أقران الألفة على الشرك (٦) ذلة الضعفاء من أهل الفضل المستترين بحجب الخمول، وأذل به عزة الشرك والظلم والعدوان (٧) لا يذهب عنه أن يأخذه (٨) الشجى ما يعترض في الحلق من عظم وغيره. ومساغ الريق ممره

الأمم تخاف ظلم رعاتها. وأصبحت أخاف ظلم رعيتي. استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا. وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا. أشهود كغياب (١) وعبيد كأرباب؟ أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها. وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها. وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سبا (٢) ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم. أقومكم غدوة وترجعون إلي عشية كظهر الحية (٣)، عجز المقوم وأعضل المقوم (٤) أيها الشاهدة أبدانهم. الغائبة عقولهم. المختلفة أهواؤهم. المبتلى بهم أمراؤهم. صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه. وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه. لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم. يا أهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنين: صم ذوو أسماع،

من الحلق. والكلام تمثيل لقرب السطوة الإلهية من الظالمين (١) شهود جمع شاهد بمعنى الحاضر. وغياب جمع غائب (٢) قالوا إن سبا هو أبو عرب اليمن كان له عشرة أولاد جعل منهم ستة يمينا له وأربعة شمالا تشبيها لهم باليدين، ثم تفرق أولئك الأولاد أشد التفرق (٣) القوس (٤) أعضل استعصى واستصعب

وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار. لا أحرار صدق عند اللقاء (١) ولا إخوان ثقة عند البلاء. تربت أيديكم. يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر. والله لكأنني بكم فيما إخال (٢) أن لو حمس الوغى وحمي الضراب وقد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها (٣). وإني لعلى بينة من ربي، ومنهاج من نبيي. وإني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطا (٤). انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم (٥) واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى. فإن لبدوا فالبدوا (٦) وإن نهضوا فانهضوا. ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا. لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحدا يشبههم، (*) لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا (٧) وقد باتوا سجدا وقياما يراو حون بين

(١) هاته وما بعدها هما الثنتان، وما قبلها هي الثلاثة (٢) إخال أظن. وحمس كفرح اشتد. والوغى الحرب (٣) انفراج المرأة عن قبلها عند الولادة أو عندما يشرع عليها سلاح. والمشابهة

في العجز والدناءة في العمل (٤) اللقط أخذ الشئ من الأرض. وإنما سمي اتباعه لمنهاج الحق لقطا لأن الحق واحد والباطل ألوان مختلفة، فهو يلتقط الحق من بين ضروب الباطل (٥) السمت بالفتح طريقهم أو حالهم أو قصدهم (٦) لبد كنصر أقام، أي أن أقاموا فأقيموا (٧) شعثا جمع أشعث هو المغبر الرأس، والغبر جمع أغبر، والمراد أنهم

* في بعض النسخ "فما أرى أحدا منهم يشبهه".

جباههم وخذودهم (١) ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم. كأن
بين أعينهم ركب المعزى (٢) من طول سجودهم. إذا ذكر الله
هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم. ومادوا كما يمد الشجر يوم الريح
العاصف خوفاً (٣) من العقاب ورجاء الثواب
٩٨ - ومن كلام له عليه السلام

والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه (٤) ولا
عقداً إلا حلوه. وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله
ظلمهم (٥) ونبا به سوء رعيهم (٦) وحتى يقوم الباكيان يكيان
باك يكي لدينه وباك يكي لديناه. وحتى تكون نصره أحدكم

كانوا متقشفين (١) المراوحة بين العملين أن يعمل هذا مرة، وهذا مرة. وبين الرجلين أن
يقوم بالعمل كل منهما مرة، وبين جباههم وخذودهم أن يضعوا الخدود مرة والجباه أخرى
على الأرض خضوعاً لله وسجوداً (٢) ركب جمع ركبة موصل الساق من الرجل
بالفخذ. وإنما خص ركب المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة، أي أنهم لطول
سجودهم يطول سهودهم، وكأن بين أعينهم جسم خشن يدور فيها فيمنعهم عن
النوم والاستراحة (٣) مادوا اضطربوا وارتعدوا (٤) الكلام في بني أمية. والمحرم
ما حرمه الله. واستحلاله استباحته (٥) بيوت المدر المبنية من طوب وحجر ونحوها،
وبيوت الوبر الخيام (٦) أصله من نبا به المنزل إذا لم يوافقه فارتحل عنه، وأن البيوت
تستو بل سوء الحكومة فتأخذ عنه منجاة فيخسر العمران، ولا تتبوأ الحكومة الظالمة

من أحدهم كنصرة العبد من سيده. إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه. وحتى يكون أعظمكم فيها غناء أحسنكم بالله ظنا. فإن أتاكم الله بعافية فأقبلوا. وإن ابتليتم فاصبروا. فإن العاقبة للمتقين ٩٩ - ومن خطبة له عليه السلام

نحمده على ما كان ونستعينه من أمرنا على ما يكون. ونسأله المعافاة في الأبدان عباد الله أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها. والمبلية لأجسامكم وإن كنتم تحبون تجديدها. فإنما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلا فكأنهم قد قطعوه (١) وأموا علما (٢) فكأنهم قد بلغوه. وكم عسى المجري إلى الغاية أن يجري إليها (٣) حتى يبلغها. وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها (٤) فلا تنافسوا

إلا خرابا تنعق فيه فلا يجيبها إلا صدى نعيقها (١) السفر بفتح فسكون جماعة المسافرين، أي إنكم في مسافة العمر كالمسافرين في مسافة الطريق فلا يلبثون أن يأتوا على نهايتها لأنها محدودة (٢) أموا قصدوا (٣) الذي يجري فرسه إلى غاية معلومة أي مقدار من الجري يلزمه حتى يصل لغايته (٤) يحدوه يتبعه ويسوقه

في عز الدنيا وفخرها. ولا تعجبوا بزيتها ونعيمها. ولا تجزعوا
من ضرائها وبؤسها. فإن عزها وفخرها إلى انقطاع. وإن زيتها
ونعيمها إلى زوال، وضرائها وبؤسها إلى نفاذ (١). وكل مدة فيها إلى
انتهاء. وكل حي فيها إلى فناء. أوليس لكم في آثار الأولين
مزدجر (٢) وفي آباءكم الماضين تبصرة ومعتبر إن كنتم تعقلون.
أو لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون. وإلى الخلف الباقيين
لا يبقون. أو لستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال
شتى، فميت يبكى وآخر يعزى، وصريع مبتلى. وعائد يعود وآخر
بنفسه يجود (٣). وطالب للدنيا والموت يطلبه. وغافل وليس بمغفول
عنه. وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي
ألا فاذكروا هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وقاطع
الأمنيات. عند المساورة للأعمال القبيحة (٤). واستعينوا الله على أداء

(١) فناء (٢) مكان للانزجار والارتداع (٣) من جاد بنفسه إذا قارب أن يقضى نحبه كأنه
يسخو بها ويسلمها إلى خالقها (٤) عند متعلق بذكروا. والمساورة المواثبة كأن العمل
القبيح لبعده عن ملاءمة الطبع الإنساني بالفطرة الإلهية ينفر من مقتطفه كما ينفر
الوحش فلا يصل إليه المغبون إلا بالوثبة عليه وهو في غائلته على مجترمه كالضاريات
من الوحوش فهو يشب على موائبه ليهلكه فما ألطف التعبير بالمساورة في هذا الموضع

واجب حقه. وما لا يحصى من أعداد نعمه وإحسانه
١٠٠ - ومن خطبة له أخرى

الحمد لله الناشر في الخلق فضله. والباسط فيهم بالجوود يده.
نحمده في جميع أموره. ونستعينه على رعاية حقوقه. ونشهد أن لا إله
غيره وأن محمدا عبده ورسوله. أرسله بأمره صادعا (١)، وبذكره
ناطقا. فأدى أمينا ومضى رشيدا. وخلف فينا راية الحق من تقدمها
مرق (٢)، ومن تخلف عنها زهق (٣). ومن لزمها لحق دليلها مكيث
الكلام (٤). بطئ القيام، سريع إذا قام. فإذا أنتم ألنتم له رقابكم
وأشركتم إليه بأصابعكم، جاءه الموت فذهب به، فلبثتم بعده
ما شاء الله، حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم (٥).
فلا تطمعوا في غير مقبل (٦)، ولا تيأسوا من مدبر. فإن المدبر

(١) فالقا به جدران الباطل فهادمها (٢) خرج عن الدين. والذي يتقدم راية الحق هو
من يزيد على ما شرع الله أفعالا وعقائد يظنها مزية للدين ومتممة له ويسميها
بدعة حسنة (٣) اضمحل وهلك (٤) رزين في قوله لا يبادر به عن غير روية،
بطئ القيام لا ينبعث للعمل بالطيش وإنما يأخذ له عدة إتمامه، فإذا أبصر منه وجه
الفوز قام فمضى إليه مسرعا، وكأنه يصف بذلك حال نفسه كرم الله وجهه (٥) يصل
متفرقكم (٦) الإقبال والإدبار في الجملتين لا يتواردان على جهة واحدة، فالمقبل بمعنى
المتوجه إلى الأمر الطالب له الساعي إليه، والمدبر بمعنى من أدبرت حاله واعترضته الخيبة

عسى أن تزل إحدى قائمتيه (١)، وتثبت الأخرى وترجعا حتى تثبتا جميعا. ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم (٢)، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون
١٠١ - ومن خطبة له أخرى

الأول قبل كل أول. والآخر بعد كل آخر. بأوليته وجب أن لا أول له. وبآخريته وجب أن لا آخر له. وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان أيها الناس لا يجرمنكم شقاقي (٣)، ولا يستهوينكم عصياني، ولا تتراموا بالأبصار عندما تسمعونني (٤). فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة إن الذي أنبئكم به عن النبي الأمي صلى الله عليه وآله. ما كذب المبلغ ولا جهل السامع. ولكأنني أنظر إلى ضليل (٥) قد

في عمله وإن كان لم يزل طالبا (١) رجليه (٢) خوى غاب (٣) لا يكسبنكم، والمفعول محذوف أي خسرا، أي لا تشاقوني فيكسبكم الشقاق خسرا، ولا تعصوني فيتية بكم عصياني في ضلال وحيرة (٤) لا ينظر بعضكم إلى بعض تغامزا بالإنكار لما أقول (٥) ضليل كشرير: شديد الضلال مبالغ في الضلال

نعق بالشام، وفحص براياته (١) في ضواحي كوفان (٢). فإذا فغرت
فاغرتة (٣)، واشتدت شكيمته (٤)، وثقلت في الأرض وطأته عضت
الفتنة أبنائها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها. وبدا من الأيام
كلوحها (٥)، ومن الليالي كدوحها (٦). فإذا أነع زرعه (٧)، وقام على
ينعه (٨). وهدرت شقاشقه، وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن
المعضلة، وأقبلن كالليل المظلم، والبحر الملتطم. هذا وكم
يخرق الكوفة من قاصف (٩)، ويمر عليها من عاصف. وعن قليل
تلتف القرون بالقرون (١٠)، ويحصد القائم ويحطم المحصود

(١) من فحص القطا التراب إذا اتخذ فيه أفحوصا بالضم وهو مجثمه، أي المكان الذي
يقيم

فيه عندما يكون على الأرض، يريد أنه نصب له رايات بحثت لها في الأرض مراكز
(٢) هي الكوفة، أي أنه كاد يصل الكوفة حيث أن راياته انتشرت على بعض
بلدان من حدودها وهو ما أشار إليه بالضواحي (٣) فغر الفم كمنع انفتح، وفغرتة،
فهو لازم ومتعد، أي إذا انفتحت فاغرتة وهي فمه (٤) الشكيمة الحديدية المعترضة في
اللجام في فم الدابة ويعبر بقوتها عن شدة البأس وصعوبة الانقياد
(٥) عبوسها (٦) جمع كدح بالفتح وهو الخدش وأثر الجراحات (٧) نضج وحن
قطافه (٨) حالة نضجه (٩) هو ما اشتد صوته من الرعد والرياح وغيرهما. والعاصف
ما اشتد من الرياح، والمراد مزعجات الفتن (١٠) يكون الاشتباك بين قواد الفتنة وبين
أهل الحق كما تشتبك الكباش بقرونها عند النطاح. وما بقي من الصلاح قائما يحصد،
وما كان قد حصد يحطم ويهشم، فلا يبقى إلا شر عام وبلاء تام إن لم يقم للحق أنصار

١٠٢ - ومن كلام له يجري مجرى الخطبة
وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لنقاش الحساب (١)
وجزاء الأعمال، خضوعاً قياماً قد ألجمهم العرق، ورجفت بهم الأرض.
فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً ولنفسه متسعاً (منه) فتن
كقطع الليل المظلم. لا تقوم لها قائمة (٢)، ولا ترد لها راية،
تأتيكم مزمومة مرحولة، يحفزها قائدتها ويجهدها راكبها. أهلها
قوم شديد كلبهم، قليل سلبهم (٣). يجاهدكم في سبيل الله قوم أذلة
عند المتكبرين. في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون. فويل
لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نعم الله لا رهج له ولا حس (٤).

(١) نقاش الحساب الاستقصاء فيه (٢) لا تثب لمعارضتها قائمة خيل، وقوائم الفرس
رجلاه أو أنه لا يتمكن أحد من القيام لها وصددها. وقوله مزمومة مرحولة قادها وزمها
وركبها برحلتها أقوام زحفوا بها عليكم، يحفزونها أي يحثونها ليقروا بها في دياركم
وفيكم يحطون الرحال (٣) السلب محرقة ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه
في الحرب، أي ليسوا من أهل الثروة (٤) الرهج بسكون الهاء، ويحرك: الغبار، والحس
بفتح الحاء الجلبة والأصوات المختلطة. قالوا يشير إلى فتنة صاحب الزنج وهو علي بن
محمد

ابن عبد الرحيم من بني عبد القيس ادعى أنه علوي من أبناء محمد بن أحمد بن عيسى
ابن زيد بن علي بن الحسين، وجمع الزوج الذين كانوا يسكنون السباخ في نواحي
البصرة وخرج بهم على المهدي العباسي في سنة خمس وخمسين ومائتين، واستفحل
أمره وانتشرت أصحابه في أطراف البلاد للسلب والنهب، وملك إبلة عنوة وفتك بأهلها،

وسيتلى أهلك بالموت الأحمر والجوع الأغبر

١٠٣ - ومن خطبة له عليه السلام

انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، الصادفين عنها (١). فإنها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن (٢)، وتفجع المترف الآمن (٣). لا يرجع ما تولى منها فادبر، ولا يدري ما هو آت منها فينتظر. سرورها مشوب بالحزن. وجلد الرجال فيها إلى الضعف والوهن. فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها، لقلة ما يصحبكم منها رحم الله امرأ تفكر فاعتبر. واعتبر فأبصر. فكأن ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن (٤)، وكأن ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل. وكل معدود منقوض، وكل متوقع آت، وكل آت قريب دان (منها) العالم من عرف قدره. وكفى بالمرء جهلاً

واستولى على عبادان والأهواز، ثم كانت بينه وبين الموفق في زمن المعتمد حروب انجلى فيها عن الأهواز وسلم عاصمة ملكه، وكان سماها المختارة - بعد محاصرة شديدة - وقتله

الموفق أخو الخليفة المعتمد سنة سبعين ومائتين، وفرح الناس بقتله لانكشاف رزئه عنهم (١) الصادفين المعرضين (٢) الثاوي المقيم (٣) المترف بفتح الراء المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع (٤) فإن الذي هو موجود في الدنيا بعد قليل كأنه لم يكن، وإن الذي هو كائن في الآخرة بعد قليل كأنه كان لم يزل، فكأنه وهو في الدنيا من سكان الآخرة

ألا يعرف قدره. وإن من أبغض الرجال إلى الله لعبدا وكله الله إلى نفسه.
جائرا عن قصد السبيل، سائرا بغير دليل. إن دعي إلى حرث
الدنيا عمل، وإن دعي إلى حرث الآخرة كسل، كأن ما عمل له واجب
عليه (١)، وكأن ما ونى فيه ساقط عنه (٢)
(منها) وذلك زمان لا ينجو فيه إلا كل مؤمن نومة (٣) إن شهد
لم يعرف وإن غاب لم يفتقد. أولئك مصابيح الهدى، وأعلام السرى (٤).
ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر أولئك يفتح الله لهم أبواب
رحمته. ويكشف عنهم ضراء نقمته
أيها الناس سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ
الإناء بما فيه. أيها الناس إن الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم، ولم
يعذكم من أن يبتليكم (٥) وقد قال جل من قائل " إن في ذلك لآيات وإن
كنا لمبتلين ". أما قوله عليه السلام (كل مؤمن نومة) فإنما أراد به
الخامل الذكر القليل الشر. والمساييح جمع مسياح وهو الذي يسبح

(١) ما عمل له هو حرث الدنيا (٢) ونى فيه: تراخى فيه، وهو حرث الآخرة (٣) نومة
بضم ففتح كثير النوم، يريد به البعيد عن مشاركة الأشرار في شرورهم، فإذا رأوه
لا يعرفونه منهم وإذا غاب لا يفتقدونه (٤) السرى كالهدي السير في ليالي المشاكل.
وبقية الألفاظ يأتي شرحها بعد أسطر لصاحب الكتاب (٥) ليتبين الصادق من

بين الناس بالفساد والنمائم. والمذاييع جمع مذياع: وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوه بها. والبذر جمع بذور: وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه (١)

١٠٤ - ومن خطبة له عليه السلام

وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية

أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتابا، ولا يدعي نبوة ولا وحيا. فقاتل بمن أطاعه من عصاه. يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير (٢) ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته إلا هالكا لا خير فيه. حتى أراهم منجاتهم، وبوأهم محلثهم فاستدارت رحاهم (٣)، واستقامت قناتهم. وأيم الله لقد كنت من

الكاذب والمخلص من المريب، فتكون لله الحجة على خلقه (١) الذي في القاموس أن البذور بالفتح كالبذير هو النمام (٢) من حسر البعير كضرب إذا أعيا وكل، والكسير المكسور، أي أن من ضعف اعتقاده أو كلت عزيمته فتراخى في السير على سبيل المؤمنين، أو طرقت الوسوس فهشمت قوائمه همته بزلزال في عقيدته فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقيم على ملاحظته وعلاجه حتى ينصل من مرضه هذا ويلحق بالمخلصين إلا من كان ناقص الاستعداد خبيث العنصر فلا ينجع فيه الدواء فيهلك (٣) كناية عن وفرة أرزاقهم، فإن الرحا إنما تدور على ما تطحنه من الحب. أو كناية عن قوة

ساقته حتى تولت بحذافيرها، واستوسقت في قيادها، ما ضعفت ولا
جبت، ولا خنت ولا وهنت. وأيم الله لأبقرن الباطل (١) حتى أخرج
الحق من خاصرته

١٠٥ - ومن خطبة له عليه السلام
حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله شهيدا وبشيرا ونذيرا: خير البرية طفلا، وأنجبها
كهلا. أظهر المطهرين شيمة، وأجود
المستمطرين ديمة (٢). فما احلوت لكم الدنيا، في لذتها ولا تمكنتم
من رضاع أخلافها (٣)، إلا من بعد ما صادفتموها جائلا خطامها (٤)،
قلقا وضينها. قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود (٥)،

سلطانهم على غيرهم. والرحا رحا الحرب يطحنون بها. والقناة الرمح. واستقامتها
كناية عن صحة الأحوال وصلاحها (١) البقر بالفتح الشق أي لشقن جوف الباطل
بقهر أهله فانتزع الحق من أيدي المبطلين. والتمثيل في غاية من اللطف (٢) الديمة
بالكسر المطر يدوم في سكون. والمستمطر بفتح الطاء من يطلب منه المطر. والمراد
هنا النجدة والمعونة. فالنبي صلى الله عليه وسلم أغزر الناس فيضا للخير على طلابه (٣)
جمع خلف

بالكسر حلمة ضرع الناقة (٤) الخطام ككتاب ما يوضع في أنف البعير ليقاد به.
والوضين بطن عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للرحل كالحزام للسرّج.
وجولان الخطام وقلق الوضين إما كناية عن الهزال، وإما كناية عن صعوبة القيادة. فإن
الخطام الجائل لا يشتد على البعير فيجذبه، وعن قلق الراكب وعدم اطمئنانه لاضطراب
الرحل بقلق الوضين (٥) السدر بالكسر شجر النبق والمخضود المقطوع الشوك أو

وحلالها بعيدا غير موجود. وصادفتموها والله ظلا ممدودا إلى أجل معدود. فالأرض لكم شاغرة (١)، وأيديكم فيها مبسوطة، وأيدي القادة عنكم مكفوفة، و سيوفكم عليهم مسلطة، وسيوفهم عنكم مقبوضة. ألا إن لكل دم ثائرا (٢)، ولكل حق طالبا. وإن الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه (٣). وهو الله الذي لا يعجزه من طلب، ولا يفوته من هرب. فأقسم بالله يا بني أمية عما قليل لتعرفنها في أيدي غيركم وفي دار عدوكم. ألا وإن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفه. ألا إن أسمع الأسماع ما وعى التذكير وقبله أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ. وامتاحوا من صفو عين قد روقت من الكدر (٤) عباد الله لا تركنوا إلى جهالتكم، ولا تنقادوا لأهوائكم، فإن النازل بهذا المنزل (٥) نازل بشفا جرف هار، ينقل الردى على

منشئ الأغصان من ثقل الحمل. والتشبيه في اللذة (١) أي بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم شغرت لكم الأرض، أي لم يبق فيها من يحميها دونكم ويمنعكم عن خيرها (٢) تأره طلب بدمه وقتل قاتله (٣) الطالب بدمائنا ينال تأره حتما كأنه هو القاضي بنفسه لنفسه ليس هناك من يحكم عليه فيمانعه عن حقه (٤) امتاحوا: استقوا وانزعوا الماء لري عطشكم من عين صافية صفت من الكدر وهي عين علومه عليه السلام (٥) منزل الركون إلى الجهالة والانقياد للهوى. وشفا الشئ حرفه. والجرف بضمين ما جرفته السيول

ظهره من موضع إلى موضع (١) لرأي يحدثه بعد رأي، يريد أن يلصق ما لا يلتصق ويقرب ما لا يتقارب. فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكي شجوكم (٢)، ولا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم. إنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه. الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقيها، وإصدار السهمان على أهلها (٣). فبادروا العلم من قبل تصويح نبتة (٤)، ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستشار العلم من عند أهله (٥). وانهاؤا عن المنكر وتناهوا عنه، فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي

وأكلته من الأرض. والهارى كالهائر: المنهدم أو المشرف على الانهدام، أي أنه بمكان التهور في الهلكة (١) أي أنه إذا نقل حمل المهلكات فإنما ينقله من موضع من ظهره إلى موضع آخر منه، فهو حامل لها دائماً، وإنما يتعب في نقلها من أعلاه لوسطه أو أسفله بآرائه وبدعه، فهو في كل رأي ينتقل من ضلالة إلى ضلالة حيث أن مبنى الكل على الجهالة والهوى (٢) يقال أشكاه إذا أزال مشتكاه، والشجو الحاجة. يقول إن ما تسوله لكم الجهالات والأهواء من الحاجات يلزمكم أن تنصرفوا عن خيالها ولا تشكوها إلي، فإنني لا أتبع أهواءكم ولا أقضي هذه الرغبات الفاسدة ولا أستطيع أن أنقض برأيي ما أبرم لكم في الشريعة الغراء (٣) السهمان بالضم جمع سهم بمعنى الحظ والنصيب، وإصدار السهمان إعادتها إلى أهلها المستحقين لها لا ينقصهم منها شيئاً. وسماه إصداراً لأنها كانت منعتها أربابها بالظلم في بعض الأزمان ثم ردت إليهم، كالصدور وهو رجوع الشاربة من الماء إلى أعطانها (٤) التصويح التحفيف، أي سابقوا إلى العلم وهو في غضارته قبل أن يجف فلا تستطيعون إحياءه بعد ييسه (٥) مستشار اسم مفعول

١٠٦ - (ومن خطبة له عليه السلام)

الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده، وأعز أركانه على من غالبه فجعله أمنا لمن علقه (١)، وسلمنا لمن دخله (٢)، وبرهانا لمن تكلم به، وشاهدا لمن خاصم به، ونورا لمن استضاء به، وفهما لمن عقل، ولبا لمن تدبر، وآية لمن توسم، وتبصرة لمن عزم، وعبرة لمن اتعظ، ونجاة لمن صدق، وثقة لمن توكل، وراحة لمن فوض، وجنة لمن صبر (٣). فهو أبلغ المناهج (٤) واضح الولايج (٥)، مشرف المنار (٦)، مشرق الجواد (٧)، مضئ المصاييح كريم المضممار (٨)، رفيع الغاية، جامع الحلبة (٩)، متنافس السبقة (١٠) شريف الفرسان. التصديق منهاجه، والصالحات مناره، والموت

بمعنى المصدر. والاستشارة طلب الثور وهو السطوع والظهور (١) علقه كعلمه: تعلق به (٢) من دخله لا يحارب (٣) جنة بالضم أي وقاية وصونا (٤) أشد الطرق وضوحا وأنورها (٥) الولايج جمع وليجة هي الدخيلة وهي المذهب (٦) مشرف بفتح الراء هو المكان ترتفع عليه فتطلع من فوقه على شيء. ومنار الدين هي دلائله من العمل الصالح يطلع منها البصير على حقائق العقائد ومكارم الأخلاق (٧) جمع جادة: الطريق الواضح (٨) كريم المضممار أي إذا سوبق سبق (٩) الحلبة خيل تجمع من كل صوب للنصرة. والاسلام جامعها يأتي إليه الكرائم والعناق (١٠) السبقة بالضم جزاء السابقين

(٢٠٣)

غايته (١). والدنيا مضماره (٢)، والقيامة حليته، والجنة سبقتة (٣)
(منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله) حتى أوري قبسا
لقابس (٤)، وأنار علما لحابس (٥)، فهو أمينك المأمون، وشهيدك يوم
الدين وبعيثك نعمة (٦). ورسولك بالحق رحمة. اللهم أقسم له مقسما
من عدلك (٧)، واجزه مضاعفات الخير من فضلك. اللهم أعل على بناء
الباين بناءه، وأكرم لديك نزله (٨)، وشرف لديك منزلته. وآته
الوسيلة وأعطه السناء والفضيلة (٩)، واحشرنا في زمرة غير خزايا (١٠)
ولا نادمين ولا ناكبين (١١)، ولا ناكثين (١٢)، ولا ضالين، ولا
مضلين، ولا مفتونين (وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم إلا أننا

(١) يريد الموت عن الشهوات البهيمية والحياة بالسعادة الأبدية كما يعلم من قوله
رفيع الغاية، وإلا فالموت المعروف غاية كل حي (٢) لأنها مزرعة الآخرة من سبق فيها
سبق في الأخرى (٣) سبقتة: جزاء السابقين به (٤) أوري أوقد. والقبس بالتحريك
الشعلة من النار تقتبس من معظم النار. والقابس آخذ النار من النار. والمراد أن
النبي أفاد طلاب الحق ما به يستضيئون لاكتشافه (٥) الحابس من حبس ناقتة وعقلها
حيرة منه لا يدري كيف يهتدي فيقف عن السير. وأنار له علما أي وضع له نارا في
رأس جبل ليستنقذه من حيرته (٦) بعيثك مبعوثك (٧) المقسم كمقعد ومنبر: النصيب
والحظ (٨) النزول بضميتين ما هي للضيف لأن ينزل عليه (٩) السناء كسحاب الرفعة
(١٠) خزايا جمع خزيان من خزي إذا خجل من قبيح ارتكبه (١١) عادلين عن
طريق الحق (١٢) ناكثين ناقضين للعهد

كررناه ههنا لما في الروايتين من الاختلاف) (منها في خطاب أصحابه)
وقد بلغتكم من كرامة الله لكم منزلة تكرم بها إماءكم، وتوصل
بها جيرانكم، ويعظمكم من لا فضل لكم عليه، ولا يد لكم
عنده، ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة، ولا لكم عليه إمرة.
وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون، وأنتم لنقض ذمم آبائكم
تأنفون. وكانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم
ترجع. فمكنتكم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمتمكم
وأسلمتم أمور الله في أيديهم. يعملون في الشبهات، ويسيروا في
الشهوات. وأيم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله
لشر يوم لهم (١)

١٠٧ - ومن خطبة له عليه السلام في بعض أيام صفيين
وقد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم، تحوزكم
الجفافة الطغام (٢)، وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم العرب (٣) ويأفخ

(١) أي أنكم ستجتمعون لقهر الظالمين ولن يكون في طاقتهم أن يفرقوكم،
حتى لو شتتوكم تشتت الكواكب في السماء لاجتماعهم لقتالهم. وقيل إنه يريد أن البلاء
سيعم حتى لو فرقكم بنو أمية تحت كل كوكب طلبا لخلاصكم من البلاء لجمعكم الله
لشر
يوم لهم حتى يأخذكم البلاء كما يأخذهم (٢) الطغام كجراد: أوغاد الناس (٣) لهاميم
جمع
لهميم بالكسر وهو السابق الجواد من الخيل والناس

الشرف (١) والأنف المقدم، والسنام الأعظم. ولقد شفى وحاوح صدري (٢)
أن رأيكم بأخرة (٣) تحوزونهم كما حازوكم، وتزيلونهم عن مواقفهم
كما أزالوكم. حسا بالنضال (٤)، وشجرا بالرماح (٥). تركب أولاهم
أخراهم، كالإبل الهيم المطرودة (٦) ترمى عن حياضها. وتزداد عن
مواردها.

١٠٨ - ومن خطبة له عليه السلام

وهي من خطب الملاحم
الحمد لله المتجلي لخلقته بخلقته، والظاهر لقلوبهم بحجته. خلق
الخلق من غير روية، إذ كانت الرويات لا تليق إلا بذوي الضمائر
وليس بذوي ضمير في نفسه. خرق علمه باطن غيب السترات (٧)،
وأحاط بغموض عقائد السريرات (منها في ذكر النبي صلى الله عليه
 وآله) اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء (٨)، وذؤابة

اليأفخ جمع يافوخ: هو من الرأس حيث يلتقي عظم مقدمه مع مؤخره
(٢) الوحاوح جمع وحوحة صوت معه بحح يصدر عن المتألم. والمراد حرقه الغيظ (٣)
الأخرة

محركة: آخر الأمر. وجملة أن رأيكم فاعل شفى (٤) الحس بالفتح القتل. والنضال
المباراة في الرمي. وفي رواية النضال بالصاد (٥) الشجر كالضرب: الطعن (٦) الهيم
بالكسر العطاش. وتزداد: تمنع (٧) جمع سترة ما يستر به أيا كان (٨) المشكاة كل كوة

(٢٠٦)

العلياء (١) وسرة البطحاء (٢). ومصاييح الظلمة، وينايع الحكمة (منها)
طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه (٣). يضع
ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي، وأذان صم، وألسنة بكم.
متبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة. لم يستضيئوا بأضواء
الحكمة (٤)، ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة. فهم في ذلك كالانعام
السائمة، والصخور القاسية. قد انجابت السرائر لأهل البصائر (٥). ووضحت
محجة الحق لخابطها (٦)، وأسفرت الساعة عن وجهها، وظهرت العلامة
لمتوسمها. مالي أراكم أشباحا بلا أرواح، وأرواحا بلا أشباح، ونساكا بلا
صلاح، وتجارا بلا أرباح. وأيقاظا نوما، وشهودا غيبا، وناظرة
عميا، وسامعة صما، وناطقة بكما. رأيت ضلالة قد قامت على قطبها (٧)،

غير نافذة ومن العادة أن يوضع فيها المصباح (١) الذؤابة الناصية أو منبتها من
الرأس (٢) ما بين أخشبي مكة كانت تسكنه قبائل من قريش، ويقال لهم قريش
البطاح (٣) مواسمه جمع ميسم بالكسر وهو المكواة، يجمع على مواسم ومياسم
(٤) قوله لم يستضيئوا، يحكي حال من لم ينجع فيهم الدواء ممن صار الفساد من مقومات
أمزجتهم (٥) انجابت من قولهم انجابت الناقة إذا مدت عنقها للحلب، أي أن السرائر
خضعت لنور البصائر فهو يكشفها ويملكها. وأهل البصائر يصرفون السرائر
إلى ما يريدون (٦) خابطها: السائر عليها (٧) قامت على قطبها تمثيل لانتظام أمرها

وتفرقت بشعبها (١)، تكيلكم بصاعها (٢)، وتخبطكم بباعها (٣).
قائدها خارج من الملة، قائم على الضلة. فلا يبقى يومئذ منكم إلا
ثفالة كثفالة القدر (٤)، أو نفاضة كنفاضة العكم (٥). تعر ككم
عرك الأديم (٦)، وتدوسكم دوس الحصيد (٧)، وتستخلص المؤمن
من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة (٨) من بين هزيل الحب. أين
تذهب بكم المذاهب، وتتيه بكم الغياهب، وتخدعكم الكواذب.
ومن أين تؤتون وأنى تؤفكون. فلكل أجل كتاب، ولكل غيبة،
إياب. فاستمعوا من ربانيكم (٩)، وأحضروا قلوبكم، واستيقظوا
إن هتف بكم (١٠). وليصدق رائد أهله (١١)، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه.

واستحكام قوتها (١) جمع شعبة، أي انتشرت بفروعها (٢) تكيلكم أي تأخذكم
للهلاك جملة كما يأخذ الكيال ما يكيله من الحب (٣) تخبطكم، من خبط الشجرة ضربها
بالعصى ليتناثر ورقها، أو من خبط البعير بيده الأرض أي ضربها. وعبر بالباع ليفيد
استطالتها عليهم وتناولها لقرييهم وبعيدهم (٤) الثفالة بالضم كالثفل. والثافل
ما استقر تحت الشيء من كدرة. وثفالة القدر ما يبقى في قعره من عكارة. والمراد
الأرذال والسفلة (٥) النفاضة ما يسقط بالنفض. والعكم بالكسر العدل بالكسر أيضا،
ونمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها. والمراد ما يبقى بعد تفريغه في خلال نسيجه فينفض
لينظف (٦) العرك كالنصر: شديد الدلك. وعركه حكه حتى عفاه. والأديم الجلد
(٧) المحصود (٨) البطينة السمينة (٩) الرباني بتشديد الباء المتأله العارف بالله عز وجل
(١٠) صاح بكم (١١) الرائد من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلاء ويتعرف
سهولة الوصول إليها من صعوبته. وفي المثل "لا يكذب الرائد أهله". يأمر الهداة

فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة، وقرفه قرف الصمغة (١). فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه، وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطاغية، وقلت الداعية. وصال الدهر صيال السبع العقور. وهدر فنيق الباطل بعد كظوم (٢). وتواخى الناس على الفجور. وتهاجروا على الدين. وتحابوا على الكذب. وتباغضوا على الصدق. فإذا كان ذلك كان الولد غيظا (٣)، والمطر قيظا، وتفيض اللئام فيضا، وتغيض الكرام غيضا (٤). وكان أهل ذلك الزمان ذئابا، وسلاطينه سباعا، وأوساطه أكالا، وفقراؤه أمواتا. وغار الصدق، وفاض الكذب: واستعملت المودة باللسان. وتشاجر الناس بالقلوب. وصار الفسوق نسبا، والعفاف عجبا. ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا

١٠٩ - ومن خطبة له عليه السلام
كل شيء خاشع له. وكل شيء قائم به. غني كل فقير. وعز كل

والدعاة الذين يتلقون عنه ويوصيهم بالصدق في النصيحة (١) قرف الصمغة قشرها، وخص هذا بالذكر لأن الصمغة إذا قشرت لا يبقى لها أثر كذا قالوا (٢) الفنيق الفحل من الإبل. وبعد كظوم أي إمساك وسكون (٣) يغيظ والده لشبوبه على العقوق، ويكون المطر قيظا لعدم فائدته فإن الناس منصرفون عن فوائدهم والانتقاع بما يفيض الله عليهم من خير إلى إضرار بعضهم ببعض، ما أشبه هذه الحال بحال هذا الزمان (٤) تغيض: من غاض الماء إذا غار في الأرض وجفت

ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف. من
تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه
رزقه. ومن مات فإليه منقلبه. لم ترك العيون فتخبر عنك. بل
كنت قبل الواصفين من خلقك لم تخلق الخلق لوحشة، ولا
استعملتهم لمنفعة. ولا يسبقك من طلبت، ولا يفلتك من أخذت (١).
ولا ينقص سلطانك من عصاك، ولا يزيد في ملكك من أطاعك،
ولا يرد أمرك من سخط قضاءك، ولا يستغني عنك من تولى عن
أمرك. كل سر عندك علانية، وكل غيب عندك شهادة. أنت
الأبد لا أمد لك، وأنت المنتهى لا محيص عنك، وأنت الموعد
لا منجا منك إلا إليك. بيدك ناصية كل دابة، وإليك مصير كل
نسمة. سبحانه ما أعظم ما نرى من خلقك وما أصغر عظيمه في جنب
قدرتك، وما أهول ما نرى من ملكوتك، وما أحقر ذلك فيما غاب
عنا من سلطانك، وما أسبغ نعمك في الدنيا. وما أصغرها في نعم
الآخرة.
(منها) من ملائكة أسكنتهم سمواتك ورفعتهم عن أرضك،

ينابيعه (١) لا يفلتك: لا ينفلت منك

هم أعلم خلقك بك، وأخوفهم لك، وأقربهم منك. لم يسكنوا
الأصلاب، ولم يضمنوا الأرحام، ولم يخلقوا من ماء مهين (١)، ولم
يشعبهم ريب المنون (٢). وإنهم على مكانهم منك، ومنزلتهم عندك،
واستجماع أهوائهم فيك، وكثرة طاعتهم لك، وقلة غفلتهم عن أمرك،
لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك لحقروا أعمالهم، ولزروا على
أنفسهم (٣). ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك، ولم يطيعوك حق
طاعتك. سبحانه خالقا ومعبودا بحسن بلائك عند خلقك (٤). خلقت
دارا وجعلت فيها مأدبة (٥): مشربا ومطعما وأزواجا وخداما وقصورا
وأنهارا وزروعا وثمارا. ثم أرسلت داعيا يدعو إليها. فلا الداعي
أجابوا، ولا فيما رغبت رغبوا، ولا إلى ما شوقت إليه اشتاقوا.
أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبها، ومن عشق
شيئا أعشى بصره (٦)، وأمراض قلبه. فهو ينظر بعين غير صحيحة،

(١) المهين: الحقير، يريد النطفة (٢) المنون الدهر. والريب صرفه. أي لم تفرقهم صروف
الزمان (٣) زرى عليه كرمى: عابه (٤) البلاء يكون نعمة ويكون نقمة، ويتعين الأول
بإضافة الحسن إليه، أي ما عبدوك إلا شكرا لنعمك عليهم (٥) المأدبة بفتح الدال
وضمها ما يصنع من الطعام للمدعوين في عرس ونحوه، والمراد منها نعيم الجنة
(٦) أعشاه أعماه

ويسمع بأذن غير سمیعة. قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولّته عليها نفسه. فهو عبد لها، ولمن في يده شيء منها. حيثما زالت زال إليها وحيثما أقبلت أقبل عليها. ولا يزدجر من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ. وهو يرى المأخوذین على الغرة (١) - حيث لا إقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون. فغير موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت. ففترت لها أطرافهم، وتغيرت لها ألوانهم. ثم ازداد الموت فيهم ولوجا (٢). فحیل بین أحدهم و بین منطقته، وإنه لبین أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه، على صحة من عقله، وبقاء من لبه. يفكر فيم أفنى عمره، وفيم أذهب دهره. ويتذكر أموالا جمعها أغمض في مطالبتها (٣)، وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها. قد لزمته تبعات جمعها (٤)، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها. فيكون المهناً لغيره (٥)،

(١) على الغرة بالكسر: بغتة وعلى غفلة (٢) ولوجا: دخولا (٣) أغمض لم يفرق بين حلال وحرام، كأنه أغمض عينيه فلا يميز. أو أغمض أي طلبها من أدق الوجوه وأخفاها فضلا عن أظهرها وأجلاها (٤) تبعاتها بفتح فكسر ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها، وما يحاسبه به الله من منع حقه منها وتخطي حدود شرعه في جمعها (٥) المهناً ما أتاك من خير بلا مشقة

والعبء على ظهره (١). والمرء قد غلقت رهونه بها (٢). فهو يعرض يده ندامة على ما أصحر له عند الموت من أمره (٣)، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره. ويتمنى أن الذي كان يغطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه. فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه سمعه. (٤). فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجوع كلامهم. ثم ازداد الموت التياطا به (٥). فقبض بصره كما قبض سمعه. وخرجت الروح من جسده، فصار جيفة بين أهله قد أوحشوا من جانبه، وتباعدوا من قربه. لا يسعد باكيها، ولا يجيب داعيها. ثم حملوه إلى مخطط في الأرض، وأسلموه فيه إلى عمله، وانقطعوا عن زورته (٦). حتى إذا بلغ الكتاب أجله، والأمر مقاديره وألحق آخر الخلق بأوله، وجاء من أمر الله ما يريد من تجديد خلقه، أماد السماء وفطرها (٧) وأرج الأرض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها. ودك بعضها بعضا من

(١) العبء: الحمل والثقل (٢) غلقت رهونه: استحقها مرتهنها، وأعوزته القدرة على تخليصها

كناية عن تعذر الخلاص (٣) أصحر له: من أصحر إذا برز في الصحراء، أي على ما ظهر له وانكشف من أمره (٤) خالط لسانه سمعه: شارك السمع اللسان في العجز عن أداء وظيفته (٥) التياطا أي التصاقا به (٦) زيارته (٧) أماد: جواب إذا بلغ الكتاب الخ.

هيبة جلالته ومخوف سطوته. وأخرج من فيها. فجددهم بعد أخلاقهم (١) وجمعهم بعد تفرقهم ثم ميزهم لما يريد من مسألتهم عن خفايا الأعمال وخبايا الأفعال. وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء. فأما أهل طاعته فأثابهم بجواره، وخلدهم في داره، حيث لا يظعن النزال، ولا تتغير بهم الحال. ولا تنوبهم الأفراع (٢)، ولا تنالهم الأسقام، ولا تعرض لهم الأخطار، ولا تشخصهم الأسفار (٣). وأما أهل المعصية فأنزلهم شر دار، وغل الأيدي إلى الأعناق، وقرن النواصي بالاقدام، وألبسهم سراويل القطران (٤)، ومقطعات النيران (٥). في عذاب قد اشتد حره، وباب قد أطبق على أهله في نار لها كلب ولجب (٦)، ولهب ساطع وقصيف هائل (٧)، لا يظعن مقيمها، ولا يفادي أسيرها ولا تفصم كبولها (٨). لا مدة للدار فتفى، ولا أجل للقوم فيقضى، (منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله) قد حقر الدنيا وصغرها

وأما دها حركها على غير انتظام. وفطرها صدعها (١) أخلاقهم بالفتح: من قولهم ثوب أخلاق إذا كانت الخلقة شاملة له كله. والخلقة البلى (٢) لا تنوبهم الأفراع: جمع فزع بمعنى الخوف (٣) أشخصه: أزعجه (٤) السربال: القميص. والقطران معروف (٥) المقطعات كل ثوب يقطع كالقميص والجبة ونحوها، بخلاف ما لا يقطع كالإزار والرداء. والمقطعات أشمل للبدن وأشد استحكاما في احتوائه (٦) عبر بالكلب محركا عن هيجانها. واللجب الصوت المرتفع (٧) القصيف أشد الصوت (٨) جمع كبل

وأهون بها وهونها. وعلم أن الله زواها عنه اختيارا (١)، وبسطها لغيره احتقارا. فأعرض عنها بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها ريشا (٢)، أو يرجو فيها مقاما. بلغ عن ربه معذرا (٣)، ونصح لأمته منذرا، ودعا إلى الجنة مبشرا نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة (٤)، ومعادن العلم، وينايع الحكم. ناصرنا ومحبا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة

١١٠ - ومن خطبة له عليه السلام

إن أفضل ما توصل به المتوصلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله، فإنه ذروة الاسلام، وكلمة الاخلاص فإنها الفطرة. وإقام الصلاة فإنها الملة. وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة. وصوم شهر رمضان فإنه جنة من العقاب. وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب (٥). وصلة الرحم،

بفتح فسكون: القيد. وتفصم تنقطع (١) زواها: قبضها (٢) الرياش: اللباس الفاخر (٣) معذرا: مبنيا لله حجة تقوم مقام العذر في عقابهم إن خالفوا أمره (٤) مختلف الملائكة بفتح اللام محل اختلافهم أي ورود واحد منهم بعد آخر، فيكون الثاني كأنه خلف للأول وهكذا (٥) رحمه - كمنعه - غسله

فإنها مثرة في المال، ومنسأة في الأجل (١). وصدقة السر فإنها تكفر
الخطيئة. وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء. وصنائع المعروف
فإنها تقي مصارع الهوان
أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر. وارغبوا فيما وعد
المتقين فإن وعده أصدق الوعد. واقتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل الهدى.
واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن. وتعلموا القرآن فإنه أحسن
الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه
شفاء الصدور. وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، فإن العالم العامل
بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه
أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم (٢)
١١١ - ومن خطبة له عليه السلام
أما بعد فإنني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات
وتحبت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلت بالآمال، وتزينت

(١) منسأة: مطال فيه ومزيد (٢) ألوم: أشد لوما لنفسه بين أيدي الله لأنه لا يجد منها
عذرا يقبل أو يرد

بالغرور. لا تدوم حبرتها (١)، ولا تؤمن فجعتها. غرارة ضرارة. حائلة زائلة (٢) نافذة بائدة (٣)، أكالة غوالة (٤). لا تعدو - إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضاء بها (٥) - أن تكون كما قال الله تعالى سبحانه " كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح (٦) وكان الله على كل شيء مقتدرا " لم يكن امرؤ منها في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة (٧)، ولم يلق في سرائها بطنا (٨) إلا منحتة من ضرائها ظهرا. ولم تطله فيها ديمة رخاء (٩) إلا هتنت عليه منزنة بلاء. وحرى إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكرة وإن جانب منها اعذوذب واحلولى أمر منها جانب فأوبى (١٠). لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا (١١) إلا أرهقته من نوائبها تعباً (١٢).

-
- (١) الحبرة بالفتح السرور والنعمة (٢) حائلة: متغيرة (٣) نافذة: فانية. بائدة أي هالكة (٤) غوالة: مهلكة (٥) أي أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانهم فلا تتجاوز الوصف الذي ذكره الله في قوله كماء الخ. فقله أن تكون مفعول لتعدو (٦) الهشيم: النبت اليابس المكسر (٧) بالفتح: الدمعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء في الصدر، أو الحزن بلا بكاء (٨) كنى بالطن والظهر عن الاقبال والادبار (٩) الطل: المطر الضعيف. وطلت السماء أمطرته. والديمة مطر يدوم في سكون لا رعد ولا برق معه. والرخاء السعة. وهتنت المزنة: انصبت (١٠) أوبى صار كثير الوباء. والوباء: هو المعروف بالريح الأصفر (١١) الغضارة النعمة والسعة. والرب - بالتحريك - الرغبة والمرغوب (١٢) أرهقته التعب: ألحقته به

ولا يمسي منها في جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف (١). غرارة
غرور ما فيها، فانية فإن من عليها. لا خير في شيء من أزوادها إلا
التقوى. من أقل منها استكثر مما يؤمنه. ومن استكثر منها
استكثر مما يوبقه (٢)، وزال عما قليل عنه. كم من واثق بها فجعته (٣)،
وذي طمأنينة إليها قد صرعه. وذي أبهة قد جعلته حقيرا (٤) وذي نخوة
قد رده ذليلا (٥). سلطانها دول (٦)، وعيشها رنق (٧)، وعذبها أجاج (٨)
وحلوها صبر (٩)، وغذاؤها سمّام (١٠)، وأسبابها رمام (١١). حيها بعرض
موت. وصحيحها بعرض (*) سقم. ملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب
ومفورها منكوب (١٢). وجارها محروب (١٣). ألستم في مساكن
من كان قبلكم أطول أعمارا، وأبقى آثارا وأبعد آمالا، وأعد
عديدا، وأكثف جنودا. تعبدوا للدنيا أي تعبد، وآثروها أي إيثار.

(١) القوادم - جمع قادمة - الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدم جناح الطائر، وهي

القوادم (٢) يهلكه (٣) أوجعته بفقد ما يعز عليه (٤) أبهة بضم فتشديد: عظمة
(٥) النخوة بالفتح: الافتخار (٦) جمع دولة: هي انقلاب الزمان (٧) رنق - بفتح
فكسر - كدر (٨) مالح شديد الملوحة (٩) الصبر - ككتف - عصارة شجر مر (١٠)
جمع رسم

مثلث السنين، وهو من المواد ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه (١١) جمع رمة
بالضم

وهي القطعة البالية من الحبل، أي ما يتمسك به منها فهو بال منقطع (١٢) موفورها
ما كثر منها مصاب بالنكبة، وهي المصيبة، أي في معرض لذلك (١٣) من حربه حربا

* في نسخة: بضم العين وسكون الراء.

ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع (١) فهل بلغكم أن الدنيا سحت لهم نفسا بفدية (٢)، أو أعانتهم بمعونة أو أحسنت لهم صحبة. بل أرهقتهم بالقوادح (٣)، وأوهنتهم بالقوارع، وضععتهم بالنوائب (٤) وعفرتهم للمناخر (٥)، ووطئتهم بالمناسم (٦)، وأعانت عليهم ريب المنون. فقد رأيتكم تنكرها لمن دان لها (٧)، وآثرها وأخلد لها (٨)، حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد (٩). وهل زودتهم إلا السغب (١٠)، أو أحلتهم إلا الضنك (١١)، أو نورت لهم إلا الظلمة (١٢)، أو أعقبتهم إلا الندامة. أفهذه تؤثرن أم إليها تطمئنون؟ أم عليها تحرصون؟ فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا - وأنتم تعلمون - بأنكم تاركوها وظاعنون عنها. واتعظوا فيها بالذين قالوا "من أشد منا قوة". حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا (١٣)،

بالتحريك إذا سلب ماله

(١) ظهر قاطع: راحلة تركب لقطع الطريق (٢) أي سحت نفسها لهم بفداء (٣) أرهقتهم: غشيتهم بالقوادح بالقاف جمع قادح وهو أكال يقع في الشجر والأشنان، أي بما ينهكهم ويمزق أجسادهم. وفي نسخة القوادح بالفاء من فدحه الأمر إذا أثقله (٤) وضععتهم: ذللتهم (٥) كبتهم على مناخرهم في العفر وهو التراب (٦) جمع منسم وهو مقدم خف البعير أو الخف نفسه (٧) دان لها: خضع (٨) ركن إليها (٩) أي فراق مدته لا نهاية لها (١٠) السغب - محركة - الجوع (١١) الضنك الضيق (١٢) أو نورت لهم الخ لم يكن لهم مما ظنوه نورا لها إلا الظلام (١٣) لا يقال لهم

وأنزلوا الأحداث (١). فلا يدعون ضيفانا. وجعل لهم من الصفيح
أجنان (٢)، ومن التراب أكفان (٣)، ومن الرفات جيران (٤)، فهم
جيرة لا يحييون داعيا، ولا يمتنعون ضيما، ولا يبالون مندبة. إن جيدوا
لم يفرحوا (٥)، وإن قحطوا لم يقنطوا. جميع وهم آحاد، وجيرة
وهم أبعاد. متدانون لا يتزاورون (٦)، وقریبون لا يتقاربون. حلماء قد
ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم. لا يخشى فجعهم (٧)، ولا
يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الأرض بطنا، وبالسعة ضيقا، وبالأهل
غربة، وبالنور ظلمة. فجاءوها كما فارقوها (٨)، حفاة عراة. قد ظعنوا
عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية، كما قال سبحانه " كما
بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين "

ركبان جمع راكب لأن الراكب من يكون مختارا وله التصرف في مركوبه (١) القبور
(٢) الصفيح: وجه كل شئ عريض، والمراد وجه الأرض. والأجنان جمع جنن محركة
وهو القبر (٣) لأن أكفانهم تبلى ولا يغشى أبدانهم سوى التراب (٤) الرفات
العظام المندقة المحطومة (٥) جيدوا: مطروا (٦) متقاربون لا يزور بعضهم بعضا
(٧) لا تخاف منهم أن يفجعوك بضرر (٨) جاءوا إلى الأرض واتصلوا بها بعد ما
فارقوها وانفصلوا عنها في بدء خلقتهم، فإنهم خلقوا منها كما قال تعالى " منها خلقناكم
وفيها نعيدكم " وقوله قد ظعنوا عنها يشير إلى أنهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم
إما إلى نعيم وإما إلى شقاء، أو الظعن عنها هو البعث منها يوم القيامة ومفارقتها
إما إلى الجنة وإما إلى النار كما يرشد إليه الاستشهاد بالآية

١١٢ - ومن خطبة له عليه السلام
ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس
هل تحس به إذا دخل منزلاً؟، أم هل تراه إذا توفى أحداً؟، بل كيف
يتوفى الجنين في بطن أمه. أيلج عليه من بعض جوارحها (١)؟، أم
الروح أجابته بإذن ربها؟ أم هو ساكن معه في أحشائها؟. كيف يصف
إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله
١١٣ - ومن خطبة له عليه السلام

وأحذركم الدنيا فإنها منزل قلعة (٢)، وليست بدار نجعة (٣). قد
تزينت بغرورها، وغرت بزینتها. دار هانت على ربها، فخلط حلالها بحرامها
وخيرها بشرها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرها. لم يصفها الله تعالى
لأوليائه، ولم يضمن بها على أعدائه. خيرها زهيد، وشرها عتيد (٤).
وجمعها ينفد، وملكها يسلب، وعامرها يخرّب. فما خير دار تنقض

(١) يلج: يدخل (٢) القلعة كهمة وطرفة ودجنة: من لا يثبت على السرج، أو من
يزل قدمه عند الصراع، أي هي منزل من لا يستقر (٣) النجعة بالضم طلب الكالأ
في موضعه، أي ليست محط الرحال ولا مبلغ الآمال (٤) حاضر

نقض البناء، وعمر يفنى فناء الزاد، ومدة تنقطع انقطاع السير.
اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم (١)، واسألوه من أداء حقه
ما سألكم. وأسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم. إن
الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم وإن ضحكوا، ويشتد حزنهم وإن
فرحوا، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رزقوا (٢). قد غاب
عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال. فصارت
الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة،
وإنما أنتم إخوان على دين الله ما فرق بينكم إلا خبث السرائر،
وسوء الضمائر. فلا توازرون ولا تناصحون، ولا تباذلون ولا توادون.
ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم
الكثير من الآخرة تحرمونه. ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم
حتى يتبين ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عما زوي منها عنكم (٣)
كأنها دار مقامكم. وكأن متاعها باق عليكم. وما يمنع أحدكم

(١) مطلوبكم، أي اجعلوا الفرائض من مطالبكم التي تسعون لئيلها، واسألوا الله أن
يمنحكم ما سألكم من أداء حقه، أي أن يمن عليكم بالتوفيق لأداء حقه (٢) اغتبطوا:
غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق (٣) قلة صبركم عطف على وجوهكم. وزوي من
زواه إذا نحاه

أن يستقبل أخاه بما يخاف من عيبه إلا مخافة أن يستقبله بمثله. قد تصافيتم على رفض الآجل وحب العاجل، وصار دين أحدكم لعقة على لسانه (١). صنيع من قد فرغ من عمله وأحرز رضا سيده ١١٤ - ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر. نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه. ونستعينه على هذه النفوس البطاء عما أمرت به (٢)، السراع إلى ما نهيت عنه. ونستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه: علم غير قاصر وكتاب غير مغادر (٣). ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود، إيماننا نفى إخلاصه الشرك ويقينه الشك. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل. لا يخف ميزان توضعان فيه، ولا يثقل ميزان ترفعان عنه أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاد: زاد

(١) عبر باللعقة عن الإقرار باللسان مع ركون القلب إلى مخالفته (٢) البطاء بالكسر جمع بطيئة. والسراع جمع سريعة (٣) غير تارك شيئا إلا أحاط به

مبلغ ومعاد منجح. دعا إليها أسمع داع واع (١). فأسمع
داعيها وفاز واعيهها

عباد الله إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه (٢). وألزمت قلوبهم
مخافته، حتى أسهرت ليلهم، وأظلمات هواجرهم (٣). فأخذوا الراحة
بالنصب (٤)، والري بالظماً. واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذبوا
الأمل فلاحظوا الأجل. ثم إن الدنيا دار فناء وعناء وغير وعبر فمن
الفناء أن الدهر موتر قوسه (٥)، لا تخطئ سهامه، ولا توسى جراحه (٦).
يرمي الحي بالموت، والصحيح بالسقم، والناجي بالعطب. أكل
لا يشبع، وشارب لا ينقع (٧). ومن العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل
ويبني ما لا يسكن. ثم يخرج إلى الله لا مالا حمل، ولا بناء نقل.
ومن غيرها (٨) أنك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوما ليس
ذلك إلا نعيما زل (٩)، وبؤسا نزل. ومن عبرها أن المرء يشرف على

(١) وعاءها فهمها وحفظها (٢) حمى الشيء منعه أي منعته ارتكاب محرماته
(٣) أظلماتها بالصيام (٤) التعب (٥) فمن أسباب الفناء كون الدهر قد أوتر قوسه
ليرمي بها أبناءه (٦) توسى تداوى من أسوت الجرح داويته (٧) لا ينقع - كينفع -
لا يشتهي من العطش بالشرب (٨) غيرها بكسر ففتح قلبها. والمرحوم الذي ترق
له وترحمه لسوء حاله يصبح مغبوطا على ما تجدد له من نعمة (٩) من زل فلان
زليلا وزلولا إذا مر سريعا. والمراد انتقل. أو هو الفعل اللازم من أزل إليه نعمة أسداها

أمله فيقطعه حضور أجله. فلا أمل يدرك ولا مؤمل يترك، فسبحان الله ما أغر سرورها وأظماً ريتها وأضحى فيئها (١). لا جاء يرد (٢)، ولا ماض يرتد. فسبحان الله ما أقرب الحي من الميت للحاقه به، وأبعد الميت من الحي لانقطاعه عنه

إنه ليس شيء بشر من الشر إلا عقابه، وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه. وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه. وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه. فليكنفكم من العيان السماع، ومن الغيب الخبر. واعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا. فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر. إن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه. وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم. فذروا ما قل لما كثر، وما ضاق لما اتسع. قد تكفل لكم بالرزق وأمرتم بالعمل، فلا يكونن المضمون لكم طلبه أولى (٣) بكم من المفروض عليكم عمله، مع أنه والله لقد اعترض الشك ودخل اليقين (٤)،

(١) أضحى كضحى كدعى: برز للشمس. والفى الظل بعد الزوال أو مطلقاً (٢) الجائي يريد به الموت (٣) طلبه مبتدأ خبره أولى وجملتهما خبر يكون (٤) دخل -

حتى كأن الذي ضمن لكم قد فرض عليكم، وكأن الذي قد فرض عليكم قد وضع عنكم. فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجي من رجعة العمر ما يرجي من رجعة الرزق (١). ما فات من الرزق رجي غدا زيادته. وما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته. الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي. فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
١١٥ - (ومن خطبة له عليه السلام)

في الاستسقاء

اللهم قد انصاحت جبالنا (٢)، واغبرت أرضنا، وهامت دوابنا. وتحيرت في مرابضها، وعجت عجيج الثكالي على أولادها، وملت التردد في مراتعها، والحنين إلى مواردها. اللهم فارحم أنين الآنة، وحنين الحانة. اللهم فارحم حيرتها في مذهبها، وأنينها في موالجها (٣).

كفرح - خالطه فساد الأوهام (١) الذي يفوت من العمر لا يرجي رجوعه بخلاف الذي يفوت من الرزق فإنه يمكن تعويضه (٢) انصاحت جفت أعالي بقولها ويبست من الجذب. وليس من المناسب تفسير انصاحت بانشقت إلا أن يراد المبالغة في الحرارة التي اشتدت لتأخر المطر حتى اتقد باطن الأرض نارا وتنفست في الجبال فانشقت. وتفسير بقية الألفاظ يأتي في آخر الدعاء لصاحب الكتاب (٣) مداخلها في

اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حداير السنين، وأخلفتنا
مخائل الجود (١). فكنت الرجاء للمبتئس (٢)، والبلاغ للملتمس.
ندعوك حين قنط الأنام، ومنع الغمام، وهلك السوام (٣)، أن
لا تؤاخذنا بأعمالنا، ولا تأخذنا بذنوبنا. وانشر علينا رحمتك بالسحاب
المنبثق (٤)، والربيع المغدق (٥)، والنبات المونق (٦). سحا وابلا (٧)
تحيي به ما قد مات، وترد به ما قد فات. اللهم سقيا منك محيية
مروية، تامة عامة، طيبة مباركة، هنيئة مريضة (٨). زاكيا
نبتها (٩)، ثامرا فرعها، ناظرا ورقها، تنعش بها الضعيف من عبادك،
وتحيي بها الميت من بلادك. اللهم سقيا منك تعشب بها نجادنا (١٠)،
وتجري بها وهادنا، ويخصب بها جنابنا (١١)، وتقبل بها ثمارنا،
وتعيش بها مواشيننا، وتندى بها أقاصينا (١٢)،

المرابض (١) مخايل جمع مخيلة - كمصيبة - هي السحابة تظهر كأنها ماطرة ثم لا
تمطر.

والجود بالفتح: المطر (٢) الذي مسته البأساء والضراء. والبلاغ الكفاية (٣) جمع سائمة
البهيمة الراعية من الإبل ونحوها (٤) انبعق المزن انفرج عن المطر كأنما هو حي
انشقت بطنه فنزل ما فيها (٥) أغدق المطر كثر ماؤه (٦) من آنقني إذا أعجبني. أو من
آنقه إذا سره وأفرحه (٧) سحا: صبا. والوابل الشديد من المطر الضخم القطر
(٨) المريضة بفتح الميم: الخصيئة (٩) زاكيا ناميا. وثمارا مثمرا آتيا بالثمر
(١٠) جمع نجد ما ارتفع من الأرض. والوهاد جمع وهدة ما انخفض منها (١١) الجناب
الناحية (١٢) القاصية الناحية أيضا، أو هي بمعنى البعيدة عنا من أطراف بلادنا في

وتستعين بها ضواحيننا (١). من بركاتك الواسعة، وعطاياك الجزيلة
على بريتك المرملة (٢)، ووحشك المهملة. وأنزل علينا سماء مخضلة (٣)
مدرارا هاطلة. يدافع الودق منها الودق (٤)، ويحفز القطر منها القطر (٥)
غير خلب برقها (٦)، ولا جهام عارضها (٧)، ولا قزع ربابها (٨)، ولا
شفان ذهابها (٩)، حتى يخصب لإمراعها المجدبون، ويحيى ببركتها
المستنون (١٠)، فإنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا، وتنشر رحمتك
وأنت الولي الحميد

تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب
قوله عليه السلام: (انصاحت جبالنا) أي تشققت من المحول،
يقال: انصاح الثوب إذا انشق. ويقال أيضا: انصاح النبات وصاح
وصوح إذ جف وييس. وقوله: (وهامت دوابنا) أي عطشت،
والهيام العطش. وقوله:

(حدابير السنين) - جمع حدبار - وهي

مقابلة جنابنا (١) ضاحية المال التي تشرب ضحى. والضواحي جمعها (٢) بصيغة
الفاعل: الفقيرة (٣) مخضلة من أخضله إذا بله (٤) الودق المطر (٥) يحفز: يدفع
(٦) البرق الخلب ما يطعمك في المطر ولا مطر معه (٧) الجهام بالفتح السحاب الذي
لا مطر فيه. والعارض ما يعرض في الأفق من السحاب (٨) الرباب السحاب الأبيض
(٩) جمع ذهبة بكسر الذال المطرة القليلة وهو المراد باللينة في تفسير صاحب الكتاب
(١٠) المقحطون

الناقة التي أنضأها السير، فشبه بها السنة التي فشا فيها الجذب،
قال ذو الرمة:

- حدابير ما تنفك إلا مناخة* على الخسف أو نرمي بها بلدا قفرا
وقوله: (ولا قزع ربابها) القزع القطع الصغار المتفرقة من
السحاب. وقوله: (ولا شفان ذهابها) فإن تقديره ولا ذات شفان
ذهابها. والشفان الريح الباردة، والذهاب الأمطار اللينة. فحذف
ذات لعلم السامع به

١١٦ - ومن خطبة له عليه السلام

أرسله داعيا إلى الحق وشاهدا على الخلق. فبلغ رسالات ربه
غير وان ولا مقصر (١)، وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر (٢).
إمام من اتقى، وبصر من اهتدى (منها) لو تعلمون ما أعلم مما طوي
عنكم غيبه، إذا لخرجتم إلى الصعدات (٣) تبكون على أعمالكم،
وتلتدمون على أنفسكم (٤). ولتركتكم أموالكم لا حارس لها ولا

(١) وان: متباطئ متثاقل (٢) واهن ضعيف. والمعذر من يعتذر ولا يثبت
له عذر (٣) الصعدات بضمعين جمع صعيد بمعنى الطريق، أي لتركتم منازلكم
وهمتم في الطرق من شدة الخوف (٤) الالتدام ضرب النساء صدورهن أو وجوههن

خالف عليها (١)، ولهمت كل امرئ نفسه (٢) لا يلتفت إلى غيرها.
ولكنكم نسيتم ما ذكرتم، وأمتتم ما حذرتكم، فتاه عنكم
رأيكم، وتشئت عليكم أمركم. ولوددت أن الله فرق بيني
وبينكم وألحقني بمن هو أحق بي منكم. قوم والله ميامين
الرأي (٣)، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، متاريك للبغي. مضوا قدما (٤)،
على الطريقة وأوجفوا على المحجة (٥)، فظهروا بالعقبى الدائمة والكرامة
الباردة (٦). أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال (٧).
يأكل خضرتكم ويذيب شحمتكم إيه أبا وذحة. (أقول:
الوذحة الخنفساء. وهذا القول يومئ به إلى الحجاج، وله مع الوذحة
حديث (٨) ليس هذا موضع ذكره)

للنياحة (١) الخالف من تتركه في أهلك ومالك إذا خرجت لسفر أو حرب (٢) همته:
حزنته وشغلته (٣) ميامين - جمع ميمون - المبارك. ومراجيح أي حلماء، من رجح إذا
ثقل ومال بغيره. والمراد الرزانة أي رزناء الحلم بكسر الحاء وهو العقل. ومقاويل - جمع
مقوال - من يحسن القول. ومتاريك - جمع متراك - المبالغ في الترك (٤) القدم بضممتين
المضني أمام، أي سابقين (٥) الوجيف ضرب من سير الخيل والإبل. وأوجف خيله
سيرها بهذا النوع، أي أسرعوا على الطريق المستقيمة (٦) من قولهم عيش بارد أي
هنيء (٧) الذيال الطويل القد الطويل الذيل المتبختر في مشيته (٨) قالوا إن الحجاج
رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها فعادت ثم طردها فعادت فأخذها بيده فلسعته
فورمت يده وأخذته حمى من اللسعة فأهلكته، قتله الله بأضعف مخلوقاته وأهونها

- ١١٧ - (ومن كلام له عليه السلام)
فلا أموال بذلتموها للذي رزقها، ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها.
تكرمون بالله على عباده (١)، ولا تكرمون الله في عباده. فاعتبروا
بنزولكم منازل من كان قبلكم، وانقطاعكم عن أوصل إخوانكم
١١٨ - ومن كلام له عليه السلام
أنتم الأنصار على الحق، والإخوان في الدين، والجنن يوم البأس (٢)،
والبطانة دون الناس (٣). بكم أضرب المدبر، وأرجو طاعة المقبل.
فأعينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب. فوالله إني
لأولى الناس بالناس
١١٩ - ومن كلام له عليه السلام
وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا (٤)
فقال عليه السلام: ما بالكم أمخرسون أنتم؟ (فقال قوم منهم: يا أمير

(١) كرم الشيء - كحسن يحسن - أي عز ونفس، أي أنكم تصيرون أعزاء بنسبتكم
للإيمان بالله ثم لا تبجلون الله ولا تعظمونه بالاحسان إلى عباده (٢) الجنن - بضم ففتح

جمع جنة بالضم وهي الوقاية. والبأس الشدة (٣) بطانة الرجل خواصه وأصحاب سره
(٤) قال بعضهم إن أمير المؤمنين قال هذا الكلام عندما كان يغير أهل الشام على

المؤمنين إن سرت سرنا معك، فقال عليه السلام: ما بالكم:
لا سددتم لرشد (١)، ولا هديتم لقصد، أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج؟
إنما يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسكم،
ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء
بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين، ثم أخرج في كتيبة أتبع
أخرى أتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ (٢)، وإنما أنا قطب الرحي
تدور علي وأنا بمكاني، فإذا فارقت استحار (٣) مدارها واضطرب ثفالها (٤)
هذا لعمر الله الرأي السوء. والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو
- لو قد حم لي لقاءه - (٥) لقربت ركابي (٦)، ثم شخصت عنكم فلا
أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال. إنه لا غناء في كثرة عددكم (٧)
مع قلة اجتماع قلوبكم. لقد حملتكم على الطريق الواضح التي لا

أطراف أعماله بعد واقعة صفين

(١) سددته: وفقه للسداد (٢) القدح بالكسر السهم
قبل أن يراش وينصل. والجفير الكنانة توضع فيها السهام. وإنما خص القدح لأنه
يكون أشد قلقلة من السهم المراه حيث أن حد الريش قد يمنعه من القلقلة أو يخففها
(٣) استحار: تردد واضطرب (٤) الثفال كغراب وكتاب: الحجر الأسفل من الرحي
وككتاب ما وقيت به الرحي من الأرض (٥) حم: قدر (٦) حزمت إبلي وأحضرتها
للكوب. وشخصت أي بعدت عنكم وتخليت عن أمر الخلافة (٧) الغناء - بالفتح
والمد - النفع

يهلك عليها إلا هالك (١)، من استقام في الجنة ومن زل في النار
١٢٠ - (ومن كلام له عليه السلام)

تالله لقد علمت تبليغ الرسالات، وإتمام العادات (٢)، وإتمام
الكلمات. وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضيء الأمر. ألا وإن
شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة (٣). من أخذ بها لحق وغنم،
ومن وقف عنها ضل وندم. اعملوا ليوم تذخر له الذخائر، وتبلى فيه
السرائر. ومن لا ينفعه حاضر ليه فعازبه عنه أعجز (٤)، وغائبه أعوز (٥).
واتقوا نارا حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليتها حديد، وشرابها
صديد (٦). ألا وإن اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له
من المال يورثه من لا يحمد (٧)
١٢١ - (ومن كلام له عليه السلام)
وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا

(١) الذي حتم هلاكه لتمكن الفساد من طبعه وجبلته (٢) جمع عدة
بمعنى الوعد (٣) مستقيمة (٤) عازبه: غائبه، أي من لم ينتفع بعقله الموهب له الحاضر في
نفسه فأولى به أن لا ينتفع بعقل غيره الذي هو غائب عن نفسه. أي ليس من صفاتها
بل من صفات الغير (٥) عوز الشيء كفرح: أي لم يوجد (٦) الصديد ماء الجرح
الرقيق والحميم (٧) اللسان الصالح: الذكر الحسن

بها فما ندري أي الأمرين أرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

هذا جزاء من ترك العقدة (١). أما والله لو أني حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا، فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى، ولكن بمن وإلى من؟ أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي، كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها (٢). اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي (٣)، وكلت النزعة بأشطان الركي (٤). أين القوم الذين دعوا إلى الاسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه. وهيجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها (٥)، وسلبوا السيوف أغمادها. وأخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا وصفا صفا. بعض هلك وبعض نجا. لا يبشرون بالأحياء (٦)، ولا

(١) ما حصل عليه التعاقد من حرب الخارجين عن البيعة حتى يكون الظفر أو الهزيمة (٢) الضلع بتسكين اللام الميل. وأصل المثل " لا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعها معها " يضرب للرجل يخاصم آخر ويستعين عليه بمن هو من قرابته أو أهل مشربه. ونقش الشوكة إخراجها من العضو تدخل فيه (٣) الدوي بفتح فكسر: المؤلم (٤) كلت: ضعفت. والنزعة جمع نازع. والأشطان جمع شطن وهو الحبل. والركي جمع ركية وهي البئر، أي ضعفت قوة النازعين لمياه المعونة من آبار هذه الهمم الغائضة الغائرة (٥) اللقاح جمع لقوح وهي الناقة. وولها إلى أولادها فزعها إليها إذا فارقتها. (٦) إذا قيل لهم نجا فلان فبقي حيا لا يفرحون لأن أفضل الحياة عندهم الموت في سبيل الحق. ولا يحزنون إذا قيل لهم مات فلان فإن الموت عندهم حياة السعادة الأبدية.

يعزون عن الموتى. مره العيون من البكاء (١). خمص البطون (٢) من الصيام. ذبل الشفاه من الدعاء (٣). صفر الألوان من السهر. على وجوههم غبرة الخاشعين. أولئك إخواني الذاهبون. فحق لنا أن نظماً إليهم ونعص الأيدي على فراقهم. إن الشيطان يسني لكم طرقة (٤)، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة، ويعطيكم بالجماعة الفرقة (٥). فاصدقوا عن نزغاته ونفثاته (٦). واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم (٧).

١٢٢ - ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة، فقال عليه السلام: أكلكم شهد معنا صفين؟ فقالوا: منا من شهد ومنا من لم يشهد. قال: فامتازوا فرقتين، فليكن من شهد صفين فرقة، ومن لم يشهدا فرقة حتى أكلم كلا بكلامه. ونادى الناس فقال: أمسكوا عن الكلام وانصتوا لقولي، وأقبلوا بأفئدتكم إلي، فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها. ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل (منه):

(١) مره بضم فسكون جمع أمره من مرهت عينه إذا فسدت أو ابيضت حماليقها (٢) خمص البطون ضوامرها (٣) ذبلت شفته جفت وييست لذهاب الريق (٤) يسني يسهل (٥) يعطيكم الفرقة بدل الجماعة كأنه يبيعهم الثانية بالأولى (٦) فاصدقوا، أي فاعرضوا عن وساوسه (٧) اعقلوها: احبسوها على أنفسهم لا تتركوها فتضيع منكم فتخسرون.

ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة، ومكرا وخديعة:
إخواننا وأهل دعوتنا، استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه،
فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم. فقلت لكم: هذا أمر ظاهره
إيمان وباطنه عدوان، وأوله رحمة وآخره ندامة. فأقيموا على شأنكم،
والزموا طريقكم، وعضوا على الجهاد بنواجذكم. ولا تلتفتوا إلى
ناعق نعق: إن أجيب أضل، وإن ترك ذل. وقد كانت هذه الفعلة،
وقد رأيتم أعطيتموها (١)، والله لئن أبيتها ما وجبت علي فريضتها،
ولا حملني الله ذنبها. ووالله إن جئتها إني للمحق الذي يتبع. وإن
الكتاب لمعي. ما فارقت مذ صحبتة. فلقد كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وآله وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقربات،
فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماناً، ومضياً على الحق، وتسليماً
للأمر، وصبراً على مضض الجراح. ولكننا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا
في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل.
فإذا طمعنا في خصلة (٢) يلم الله بها شعنا ونددنا بها إلى البقية فيما
بيننا رغبتنا فيها وأمسكنا عما سواها.

(١) أنتم الذين أعطيتم لها صورتها هذه التي صارت عليها برأيكم (٢) المراد من الخصلة
بالفتح هنا
الوسيلة. ولم شعته: جمع أمره. وندداني: نتقارب إلى ما بقي بيننا من علائق الارتباط.